الأوضاع العديمة النظير البديعة التحرير اذلم ينسج على منوالها ولاوصل الى على حسنها وكمالها أحد وقد شرحت شروحا كثيرة فقد شرحها الامام الجوجرى بشرحين وشرحها ابن قطيبع المالكى والشمس الحلبى والشيخ أبو الفضل المالكى والشيخ أحمد بن عبد الحق السنباطى والعارف بالله تعالى السيد مصطفى البكرى الصديقى والشيخ الفاضل فريد عصره الامام ابن حجر الهيتمى المكى وشرحه أحسن شروحها وأنفعها لكن رأيت فيه طولا تتقاصر عنه الهمم القاصرة فأحببت أن ألتقط منه بعض عبارات تتعلق بحل المتن ونقربه للكسالى وربما زدت على عباراته بعض عبارات من تقرير شيخنا الحفنى *(وسميتها الفتوحات الاحمدية بالمنح المحمدية)* فأقول وبالله التوفيق قدراعى المصنف رحمه الله تعالى أمرين مهمين أحدهما البداءة بالبسملة للحديث المشهور واقتداء بالكتاب العزيز فقال (بسم الله الرحمن الرحيم) ولم ينظر الى ماقيل ان الشعر لايبدأ بالبسملة لان محله على مافيه قبح ليس كهذه القصيدة لانها اشتملت على أفضل العلوم والمعلومات فهى أحق بالبداءة بالبسملة من كثير من التصانيف وثانيهما ماهو الاحق بالرعاية على كل بليغ من براعة المطلع وهو سهولة اللفظ وصحة السبك ووضوح المعنى ورقة التشبيب وتجنب الحشو وتناسب المعانى وعدم تعلق البيت بمابعده ويسمى أيضا حسن الابتداء وقد انتزعوا من هذا براعة الاستهلال فى النظم أو النثر بأن يكون مبدأ الافتتاح دالا على مابنى كلا النظم والنثر عليه من الغرض المسوق اليه وما افتتح به الناظم هذه القصيدة فيه جميع تلك الشروط وزيادة كما لايخفى على المتأمل لغرضه وهو ذكر أوصافه صلى الله عليه وسلم التى ارتقى فيها الى غاية لم يبلغها غيره فهذا البيت الاول الذى افتتح به أبلغها ومابعده من بقية القصيدة كالشرح والبيان لما تضمنه هذا البيت ووجه الانتزاع المذكور أن براعة الاستهلال مشتملة على جميع مافى براعة المطلع أى يعتبر فيها مايعتبر فى براعة المطلع من الامور السبعة المقررة عندهم التى من جملتها صحة السبك ووضوح المعنى وغير ذلك وتزيد براعة الاستهلال على براعة المطلع بكون براعة الاستهلال فيها اشارة الى المقصود (قوله كيف) هى فى الاصل اسم مبنى لتضمنه معنى حرف الشرط أو الاستفهام على حركة لالتقاء الساكنين وكانت فتحة لخفتها وهى هنا استفهامية والاستفهام غير حقيقى اذ القصد به الانكار والاستبعاد والتعجب فالمراد منه نفى رقيهم كرقيه والتعجب ممن يتشكك فى ذلك وهى فى محل نصب على الحال من فاعل ترقى أى على أى حالة ترقى الانبياء رقيك أى لايكون ذلك ولا كان وقوله ترقى يقال رقى بكسر القاف يرقى بفتحها فى المحسوسات كالسطح ويقال رقى يرقى بفتح القاف فيهما فى المعانى وهو التنقل من صفات الكمال الى أكمل ومصدر هذين رقى على فعول وفى المصباح رقيته أرقيه من باب رمى رقيا عوذته بالله والاسم الرقيا على فعلى اه والمراد هنا الاولان فالحسى رقيه صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء من بيت المقدس الى السموات السبع الى حيث شاء الله لكنه لم يتجاوز العرش على الراجح والمعنوى تنقله صلى الله عليه وسلم من كل صفة كمال الى أكمل منها وهو صلى الله عليه وسلم يترقى دائما وأبدا حيا وميتا كل لحظة الى مراتب يعلمها الله تعالى وكون المراد بالرقى هنا مايشمل المعنيين المذكورين من قبيل استعمال المشترك فى معنييه ان قلنا انه حقيقة فيهما أو من قبيل الجمع بين الحقيقة والمجاز ان قلنا انه حقيقة فى الحسى مجاز فى المعنوى عند من أجازه وأما عند المانع له فيكون من عموم المجاز بأن يقال المراد بالرقى مطلق العلو وكل من المعنيين فرد من أفراده تأمل وقوله الانبياء جمع نبى فعيل بمعنى فاعل أو مفعول من النبأ مهموز وقد لايهمز تخفيفا وهو الخبر لانه مخبر ومخبر عن الله تعالى أو من النبوة فلا يهمز لانه مرتفع أو مرفوع الرتبة على غيره من الخلق ونهيه صلى الله عليه وسلم عن المهموز بقوله لاتقولوا يانبىء الله بالهمز بل قولوا يانبى الله أى بلا همز لانه قد يرد بمعنى الطريد فخشى صلى الله عليه وسلم فى الابتداء سبق هذا المعنى الى بعض الاذهان فنهاهم عنه فلما قوى اسلامهم وتواترت به القراءة نسخ النهى عنه لزوال سببه فان قيل نفى رقى الانبياء رقيه لايستلزم نفى رقى الرسل رقيه لتصريحهم بأن

بسم الله الرحمن الرحيم

كيف ترقى رقيك الانبياء
ياسماء ماطاولتها سماء

(قوله لان محله الخ) قال البدر الصاوى فى شرحه لهذا الكتاب وقولهم الشعر لايجوز ابتداؤه بالبسملة محمول على ما اذا اشتمل على مدح من لايجوز مدحه أوذم من لايجوز ذمه وهو المعنى بقوله تعالى والشعراء يتبعهم الغاوون الآية وأما ماهنا فهو المعنى بقوله صلى الله عليه وسلم ان من الشعر لحكما وهذه القصيدة سماها المؤلف بام القرى فى مدح خير الورى تشبيها لها بمكة اه كلامه

قوله اسم أى لدخول الجار عليه ولابدال الاسم الصريح منه نحو كيف زيد أصحيح أم سقيم اه صاوى

(قوله مايشمل المعنيين) أى الحسى والمعنوى بخلاف الثالث الذى هو التحصين قال العلامة الصاوى فالاول عبارة عن الاسراء به قبل الهجرة بسنة على يقظة بالجسد والروح من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى ثم عرج به الى السموات العلا ثم الى سدرة المنتهى ثم الى المستوى ثم الى العرش والرفرف والثانى تكليم الله له ورؤيته له بعينى رأسه من غير كيف وسائر تنقلاته من الصفات الكاملة والاخلاق العظيمة الى صفات أخر أكمل منها لم يتصف بها غيره الخ ما قال اه

لم يساووك فى علاك وقد حا
ل سنى منك دونهم وسناء

الاعم لادلالة له على الاخص والمراد انما هو نفى رقى كل منهما رقيه ولم تف به عبارته قلنا ممنوع بل هى وافية بل مصرحة به لان قوله ماطاولتها سماء صريح فى نفى رقى الكل رقيه كما يعلم مما يأتى فى شرحه لان النكرة فى حيز النفى للعموم وفى أنه أراد بالانبياء هنا ما يشمل الرسل على أن المحقق الكمال بن الهمام نقل فى مسايرته أن المحققين على ترادف النبى والرسول فلعل الناظم ممن يرى ذلك وعلى هذا القول يشترط فى النبى أن يكون مبلغا فان لم يبلغ ما أمر به لم يكن نبيا ولا رسولا والرقى بمعنييه المذكورين خاص به صلى الله عليه وسلم أما الاول فواضح وكذا الثانى عند من تأمل آى القرآن والاحاديث الدالة على رفعه صلى الله عليه وسلم على سائر الانبياء والمرسلين فمن تلك الاحاديث حديث الترمذى أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وبيدى لواء الحمد ولا فخر وما من نبى آدم فمن سواه الا تحت لوائى وفى شرح الشفاء للشهاب ما نصه ثم ان البرهان ذكر عن ابن مسعود أن عبد الله بن سلام سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صفة لواء الحمد فقال طوله ألف سنة وستمائة سنة من ياقوتة حمراء وقضيبه من فضة بيضاء وزجه من زمردة خضراء له ثلاث ذوائب ذؤابة بالمشرق وذؤابة بالمغرب وذؤابة فى وسط الدنيا مكتوب عليه ثلاثة أسطر الاول بسم الله الرحمن الرحيم والثانى الحمد لله رب العالمين والثالث لا اله الا الله محمد رسول الله طول كل سطر مسيرة ألف عام قال صدقت يا محمد انتهى وما أفاده كلامه من جواز التفضيل بين الانبياء هو ما عليه عامة العلماء للادلة الصريحة فيه وأما قوله تعالى لا نفرق بين أحد منهم فهو باعتبار الايمان بهم وبما أنزل اليهم وأما الاحاديث الصحيحة لا تفضلوا بين الانبياء لا تفضلونى على الانبياء لا تخيرونى بين الانبياء فهى اما قبل علمه بالتفضيل وانه أفضلهم وامامحمول على التواضع لتصريحه بالتفضيل أو على تفضيل يؤدى الى تنقيص من مقام احدهم وعليه يدل سياق الحديث وعلى التفضيل فى ذات النبوة أو الرسالة فانهم كلهم مشتركون فى ذلك لا يتفاوتون فيه وانما يتفاوتون فى زيادة الاحوال والمعارف والخصوصيات والكرامات وقوله يا سماء باحرف نداء البعيد أو للقريب المنزل منزلته وهو هنا اشارة الى بعد مرتبته صلى الله عليه وسلم عن أن تلحق أو تداني والمراد بالسماء محمد صلى الله عليه وسلم كما سيأتى وهى نكرة مقصودة وما اشتهر من وجوب بنائها على الضم قيده النحاة بما اذا لم توصف بمفرد أو ظرف أو جملة والا وجب نصبها وكانت من قبيل الشبيه بالمضاف لتعذر الواقع ضابطه وهو ما تعلق به شئ من تمام معناه والصفة من تمام معنى الموصوف والنكرة هنا قد وصفت بجملة ماطاولتها سماء وقوله ماطاولتها سماء معناه أى ما غالبتها فى الطول والارتفاع وقد استفيد من الشطر الاول نفى مساواة أحدهم له ومن الثانى نفى زيادة أحدهم عليه قال فى القاموس طاولنى فطلته أى كنت أطول منه فالمراد من المفاعلة أصل الفعل أى يراد بقوله ماطاولتها ماطالتها أى ارتفعت عليها سماء وفيه استعارة لفظ السماء الاولى لنبينا صلى الله عليه وسلم والثانية لبقية الانبياء لان السماء أعلى ما يرى من الاجرام الحسية كما أنهم أعلى الخلق ورشح الاستعارة بذكر الارتقاء الملائم للمستعار منه (قوله لم يساووك) حال من فاعل ترقى أو مستأنف وقوله فى علاك اسم مفرد بمعنى الشرف أى لم يساووك فى شرفك ويصح أن يكون جمع عليا ككبرى تأنيث الاعلى من علا بالشئ يعلو علوا فى المكان وعلى بالكسر يعلى وعلى بالفتح يعلى علاء فى الشرف فيهما أى فى مراتبك العالية وهذا الشطر الاول من هذا البيت تأكيد للشطر الاول من البيت قبله اذ مفادهما نفى المساواة ومع كونه ذكره للتأكيد ذكره لنكتة أخرى وهى التوطئة للشطر الثانى الذى هو بمنزلة التعليل له فما سلكه من ذكر الجملة الاولى فى شطر البيت الاول والبرهان عليها بما فى الشطر الثانى ثم اعادتها بمعناها فى أول البيت الثانى والبرهان عليهما بما فى بقيته من بديع تصنيعه وكمل بلاغته وقوله وقد حال أى حجز ومنع جملة مستأنفة أو حالية من الفاعل أو المفعول وقوله سنى بالقصر وهو فى الاصل الضوء الحسى استعير هنا للعلوم التى خصه الله بها صلى الله عليه وسلم والتى أمره أن يسأله الزيادة منها ولما اختصه الله به من جماله الظاهر فى خلقه وخلقه والسنى هنا عبارة عن مجموع الامور

انما مثلوا صفاتك للنا
س كما مثل النجوم الماء
أنت مصباح كل فضل فماتصـ
ـدر الا عن ضوئك الاضواء

الثلاثة هكذا قال الشارح والاولى ابقاؤه على ظاهره وأن المراد بالسنى الضوء الحسى وهو صلى الله عليه وسلم
كان نورانيا بدليل ماذكره هو أنه لم يكن له ظل يظهر فى شمس ولا قمر تأمل وقوله منك فيه شبه تجريد أى ان
هذا السنى بعانيه المذكورة ناشئ منك وقوله وسناء أى شرف ورفعة ومعنى البيت انتفت مساواتهم له لمانع
منعهم عن اللحوق به وهو ما اختص به من ذلك النور وتلك الرفعة اللذين لم يصل أحد الى أدنى كمالهما فضلا عن
كنه (قوله انما) هى للحصر عند الجمهور وقيل بالمنطوق وقيل بالمفهوم ويقال له الاختصاص والقصر خلافا لمن
فرق وهو تخصيص أمر بآخر بطريق مخصوص ويعبر أيضا عنه بأنه اثبات الحكم المذكور ونفيه عمن سواه
وينقسم الى قصر الموصوف على الصفة وعكسه وكل اما حقيقى أو مجازى وقوله مثلوا أى صوروا وقرروا
وذكروا أى الواصفون والمتصدون لضبط صفاتك وشمائلك كعلى وهند بن أبى هالة وهذا المرجع أى
تفسير الضمير بالواصفين دل عليه السياق وان لم يتقدم لهم ذكر ويصح أن يرجع الضمير للانبياء والمعنى
عليه انما مثل الانبياء أى ذكروا لاممهم صفاتك وقرروها لهم الا كما مثل النجوم الماء أو المعنى عليه انما
ظهور صفاتك فيهم كظهور النجم فى الماء فصفاتك الظاهرة والباطنة كانت موجودة فى الانبياء فى الجملة على
سبيل التقريب كما مثل النجوم الماء وعلى هذا فاسناد التمثيل والتصوير للانبياء مجاز كما فى أنبت الربيع
البقل والاولى المعنى الحقيق عليه انما أظهر الله صفاتك فى الانبياء السابقين كاظهار صورة النجم فى الماء وقوله
صفاتك جمع صفة وهى المعنى القائم بالذات وقوله للناس من الانس فيختص ببنى آدم وأصله الاناس حذفت
همزته تخفيفا أو من نوس اذا تحرك فيعم الجن والذى فى القاموس الناس يكون من الانس ومن الجن جمع
انس أصله أناس جمع عزيز أدخل عليه أل وقوله كما نعت لمصدر محذوف وما مصدرية أى تمثيلا وتصويرا
مثل تمثيل الماء النجوم وقوله الماء أصله موه بالتحريك فهمزته بدل من الهاء وهو جوهر قيل لا لون له وانما
يتكيف بلون مقابله والحق خلافه فقيل أبيض وقيل أسود ومعنى البيت أن الصفات التى ذكرها الواصفون
لك وحكوها عنك ليست هى حقيقة صفاتك فى نفس الامر لان حقيقة صفاتك لم يعلمها الا خالقك كحقيقة ذاتك
وهذا كالماء يحكى صورة النجم وتظهر فيه وترى والمرئى فيه ليس حقيقة النجم وانما هى صورة تحاكى
صورته تقريبا وقد أشار لهذا المعنى فى بردة المديح بقوله أعيا الورى فهم معناه البيتين (قوله أنت مصباح
كل فضل) ظاهر التركيب تشبيه النبى صلى الله عليه وسلم نفسه بالمصباح تشبيها بليغا أى أنت كالمصباح وهو
صحيح من حيث انه صلى الله عليه وسلم مستمد من الكمالات كما تستمد المصابيح من المصباح والمراد بالفضل الكمال
والشرف الذى وجد فى غيره وآثر التشبيه بالسراج على القمرين لانه يقتبس منه الانوار بسهولة وتخلفه
فروعه فتبقى بعده ففيه اشارة بليغة الى أن خلفاءه صلى الله عليه وسلم المقتبسين من نوره باقية بعده عليه السلام
كما أن السراج الحقيق قد يؤخذ منه سراج غيره ثم ان السراج الاول يذهب ويبقى المصباح الذى أسرج منه
باقيا بعده وينتفع به وان ذهب المصباح الذى أوقد منه فكذلك صلى الله عليه وسلم فان خلفاءه الذين استمدوا
الانوار والمعارف منه بقوا بعده وحصل لهم الانتفاع الكلى بعد ذهابه صلى الله عليه وسلم الى ربه ويصح أن
يكون المشبه بالمصباح نوره المعنوى ويكون فى الكلام تقدير أى نورك المعنوى كالمصباح ووجه التشبيه أن
نوره صلى الله عليه وسلم يظهر الاشياء المعنوية كنور البصائر ونور السراج يظهر المحسوسة كنور البصر
ولا ريب أن المحسوس أظهر من المعقول من حيث هو معقول فلذا شبه نوره صلى الله عليه وسلم لكونه معقولا
بنور السراج لكونه محسوسا فلا ينافى ذلك أن السراج دون نوره صلى الله عليه وسلم بل لا نسبة واذا تقرر أن
كمالات غيره المشبهة بالاضواء مستمدة من كماله الذى هو الضوء الاعلى فبسبب ذلك ما تصدر الخ فقوله فما تصدر
الفاء سببية وما نافية أى ما يبرز فى الوجود ضوء أى كمال وشرف الا أن يكون ناشئا وصادرا عن ضوئك أى شرفك
وكمالك فأنت المخصوص بأنك الذى يبرز عن ضوئك الذى أكرمك الله به الاضواء كلها من الآيات والمعجزات

(قوله ومعنى البيت) انتفت الخ قال المحقق الصاوى الشارح والمعنى انتفت مساواتهم لك لمانع منعهم من اللحوق بك وهو ما اختصصت به من ذلك النور ومن تلك الرفعة اللذين لم يصل احد اليهما وفى كلام الناظم جناس مذيل ومطرف بين سناء وسنى لان الزيادة وقعت فى الذيل وهو أن يتماثل اللفظان وينفرد أحدهما بزيادة حرف وفائدة الجناس الميل والاصغاء اليه فان مماثلة الالفاظ تحدث ميلا واصغاء اليها فلذلك ملأ كتابه بالجناسات رضى الله عنه اه (قوله وآثر التشبيه بالسراج الخ) قال العلامة الصاوى وانما شبهه بالمصباح ولم يشبهه بالشمس والقمر لانهما لا يقتبس منهما أنوار بسهولة ولانه تخلفه فروعه فتبقى بعده نظير خلفائه صلى الله عليه وسلم وفى ذلك اشارة الى قوله تعالى وسراجا منيرا فان قلت ان نوره صلى الله عليه وسلم أقوى من كل نور وشرط المشبه به أن يكون أقوى من المشبه وهنا ليس كذلك أجيب بأن نور السراج لما

وسائر المزايا والكرامات وان تأخر وجوده عن جميع الانبياء لان نوره نبوته متقدم عليهم بل وعلى جميع الحلوقات ويشاهده حديث عبد الرزاق بسنده عن جابر رضي الله عنه يا رسول الله أخبرني عن أول شيء خلقه الله قبل الاشياء قال يا جابر ان الله تعالى خلق قبل الاشياء نور نبيك من نوره فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الله تعالى ولم يكن في ذلك الوقت لوح ولا قلم ولا جنة ولا نار ولا ملك ولا سماء ولا أرض ولا شمس ولا قمر ولا جن ولا انس فلما أراد الله أن يخلق الخلق قسم ذلك النور [illegible] أقسام الحديث فقد علم أن المراد بضوئه كمالاته وصفاته وبالاحتواء كمالات غيره واطلاق الضوء على صفات الكمال المعنوية استعارة تصريحية بجامع أن كلا من الضوء المعنوي والحسي [illegible] الى المقصود وأيضا الكمالات [illegible] والظاهر والباطن أو بجامع الانتفاع في كل من المشبه والمشبه به اذ كل فضيلة كالعلم [illegible] وسل الى الحق ويفرق [illegible] بين الاشياء (قوله للذات العلوم) أي نفس العلوم والمراد بها المعلومات أي المدلولات والدوال أو [illegible] المسميات والاسماء والمراد بالاسماء الالفاظ الدالة على المعاني [illegible] أو حروفه ومعنى كونه [illegible] أي القلب أو [illegible] العلم [illegible] وقوله من علم الغيب [illegible] والعالم [illegible] والغيب بمعنى الغائب [illegible] العلوم [illegible] العالم الذي غاب عن المشاهدة [illegible] اسم الفاعل أي الغائب [illegible] لكن [illegible] من علم الشهادة لا المفعول أي المغيب [illegible] لأن غاب لازم [illegible] قوله تعالى عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا لان العلم به أعظم وأظهر ولان [illegible] صلى الله عليه وسلم تتعلق بالمغيبات [illegible] علم الأولين والآخرين والحديث المشهور ولانه اختص به صلى الله عليه وسلم [illegible] والمعجزات [illegible] العلوم [illegible] المعلومات [illegible] أي ان آدم [illegible] الأسماء أي الالفاظ الدالة [illegible] المسميات أي المعاني [illegible] الالفاظ [illegible] فرق بين [illegible] الاسماء والمسميات وآدم علم الاسماء [illegible] الأقوال [illegible] الاسماء والمسميات [illegible] المسميات دون الاسماء [illegible] وكذا قال بعض [illegible] وما بعده ظاهر (قوله في ضمائر الكون) [illegible] الكون [illegible] الموجودات [illegible] والمراد [illegible] الآباء وأمهات الامهات [illegible] أي الامهات [illegible] وهي الوالدة مباشرة أو بواسطة [illegible] الام أو من قبل الاب وقوله والآباء جمع أب وهو الوالد مباشرة أو بواسطة من قبل الاب أو الام والمعنى [illegible] الكمال الاعلى كذلك [illegible] فلم يكن في أمهاتك من لدن حواء الى آمنة ولا في آبائك من لدن آدم الى [illegible] الله الامين هو مطلق مختار [illegible] كان نوره صلى الله عليه وسلم في آدم [illegible] في جبهته ثم انتقل ذلك الى ولده شيث [illegible] أن لا [illegible] هذا [illegible] وكذلك وصى شيث [illegible] وطهر الله هذا [illegible] من سفاح الجاهلية بكسر السين أي [illegible] الاحاديث [illegible] البيهقي [illegible] من سفاح الجاهلية [illegible] الا نكاح الاسلام [illegible] به الاحاديث

الشذا والذات العلوم من علم الغيب ومنها لآدم الاسماء لم تزل في ضمائر الكون تختار لك الامهات والآباء

كان محسوسا يدرك بالبصر ونور النبي صلى الله عليه وسلم معنوي يدرك بالبصائر ولا ريب أن المحسوس أظهر من المعنوي [illegible] منقول [illegible] المشبه به [illegible] الاعتبار أو [illegible] لقوله تعالى أفمن يخلق [illegible] اه (قوله وهو خبر [illegible]) قال العلامة [illegible] والجار والمجرور [illegible] والاسماء مبتدأ ولآدم [illegible] الخبر والتقدير والاسماء [illegible] آدم [illegible] الهمزة [illegible] [illegible] قالت [illegible] هذا [illegible] الانسان [illegible] [illegible] الاسماء [illegible] معنى [illegible] النعل [illegible] تعالى وعلم آدم الاسماء كلها أي [illegible] أحضر [illegible] وأعلمه باسم كل واحد منها [illegible]

ان آباء النبي وأمهاته الى آدم وحواء ليس فيهم كافر لان الكافر لا يقال في حقه انه مختار ولا كريم ولا طاهر بل نجس وهذا صريح في أن أبوي النبي صلى الله عليه وسلم آمنة وعبد الله من أهل الجنة لانهما أقرب المختارين له صلى الله عليه وسلم وهذا هو الحق بل في حديث صححه غير واحد من الحفاظ أن الله أحياهما له فآمنا به خصوصية لهما وكرامة له صلى الله عليه وسلم وكون الايمان به لا ينفع بعد الموت محله في غير الخصوصية والكرامة فان قلت اذا تقرر أنهما من أهل الفترة وأنهم لا يعذبون فما فائدة الاحياء قلت فائدته اتحافهما بكمال لم يحصل لاهل الفترة لان غاية أمرهم أنهم ألحقوا بالمسلمين في مجرد السلامة من العذاب وأما مراتب الثواب العلية فهم بمعزل عنها فاتحفا بمزيد الايمان زيادة في شرف كمالهما بحصول تلك المراتب لهما ولا يرد على الناظم آزر فانه كافر مع أن الله تعالى ذكر في كتابه العزيز أنه أبو ابراهيم وذلك لان أهل الكتابين أجمعوا على انه لم يكن أباه حقيقة وانما كان عمه والعرب تسمي العم أبا (قوله ما مضت فترة) بفتح الفاء وهي ما بين موت الرسول وبعثة الرسول الذي يليه كما بين عيسى ونبينا صلى الله عليه وسلم واختلفوا في قدر ما بينهما والمشهور أنه ستمائة سنة وهذه فترة في حق العرب وغيرهم اذ لم يكن في هذا الزمن رسول أصلا وتزيد العرب على غيرهم بأن الفترة في حقهم ما بين اسمعيل ومحمد وهو ألوف من السنين اذ لم يرسل للعرب بعد اسمعيل الا محمد أي ما مضى زمن خال من الرسل نبي فيه كذلك الا حمدته الانبياء وقوله بشرت من البشارة وهي الخبر السار بخلاف النذارة فانها الخبر الضار المسيء وقوله قومها الضمير عائد على الانبياء وان تأخر لفظا لتقدمه رتبة لكونه فاعلا ويصح أن يعود على الفترة أي الا بشرت قوم الفترة أي الاقوام الكائنين فيها ببعثتك وباهر رسالتك وعظمتك الانبياء أي الرسل الذين أتوا بعد تلك الفترة وفي هذا استدلال واضح على كمال شرفه صلى الله عليه وسلم ورفعته على ألسنة الرسل وأنه نبي الانبياء المقدم عليهم التابعون له هم وأممهم وشاهد ذلك قوله تعالى واذ أخذ الله ميثاق النبيين الآية وقد اختلف المفسرون فيها والذي تدل عليه وابن عباس وطاوس والحسن انه تعالى أخذ على كل نبي بعثه من لدن آدم أن من أدرك محمدا صلى الله عليه وسلم وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه ويلزم من هذا أن الانبياء كانوا يأخذون الميثاق على أممهم بأنهم ان أدركوا محمدا صلى الله عليه وسلم آمنوا به ونصروه فان قلت قد علم الله أنه لا يظهر في زمنهم فما فائدة أخذ ذلك الميثاق وأجيب بأنه تشريف وتعظيم له وأنه لو قدر أنه وجد في زمنهم لوجب عليهم الايمان به قال السبكي دلت الآية على أنهم لو أدركوا زمنه كان مرسلا اليهم فتكون نبوته ورسالته عامة لجميع الخلق الانبياء وأممهم من لدن آدم الى قيام الساعة وحينئذ يدخلون في قوله وأرسلناك للناس كافة وحكمة أخذ الميثاق على الانبياء لامهم وأممهم بأنه المتقدم عليهم وأنه نبيهم ورسولهم وقد ظهر ذلك في الدنيا بكونه أمهم ليلة الاسراء ويظهر في الآخرة بأنهم كلهم تحت لوائه بل وفي آخر الزمان يكون عيسى ينزل حاكما بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم دون شريعة نفسه (قوله تباهى بك العصور) أي تتفاخر بوجودك العصور أي الازمنة المعلومة من لدن آدم الى يوم القيامة وما بعده فكل عصر يفتخر على العصر الذي قبله لوجودك فيه بكمال أعلى مما قبله ولو في ضمن آبائك لكن أعظمها افتخارا عصر بروزك الى هذا العالم ثم عصر نشأتك ثم عصر رضاعك ثم عصر شق بطنك ثم عصر تعبدك بحراء وهكذا فالعصور من لدن آدم الى عصر وفاته يفتخر كل متأخر منها على سابقه اذ المتأخر أفضل مما قبله وكذلك عصور أمته من الصحابة الى آخر الزمان تتباهى وتتفاخر لكن السابق يفتخر على اللاحق لقرب السابق من عهده صلى الله عليه وسلم فكل سابق أفضل من المتأخر عنه وقوله وتسمو أي تعلو وترتفع وقوله بك الباء سببية أي بسبب تلبسها بك وقربها منك وقوله علياء فاعل تسمو وهو نعت لمحذوف أي مرتبة علياء وقوله بعدها علياء جملة اسمية مستقلة نعت لعلياء الاولى أي لك في كل عصر من العصور المذكورة رتبة أعلى مما قبلها وأعلى منها ما بعدها وهكذا الى ما لا نهاية له ودليل تفاوت مراتبه كما ذكره قوله صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبي

ما مضت فترة من الرسل الا بشرت قومها بك الانبياء
تتباهى بك العصور وتسمو بك علياء بعدها علياء

(قوله وشاهد ذلك قوله تعالى واذ أخذ الله ميثاق النبيين الآية) قال العلامة الصاوي قال الحسن وطاوس وقتادة رحمهم الله تعالى في تفسيرها أخذ الله الميثاق على كل نبي بعثه من لدن آدم الى محمد صلى الله عليه وسلم لئن بعث محمد صلى الله عليه وسلم ليؤمنن به ولينصرنه ويلزم من هذا أن الانبياء كانوا يأخذون الميثاق من أممهم بأنهم ان أدركوا محمدا صلى الله عليه وسلم آمنوا به ونصروه قال ابن السبكي يؤخذ من الآية الشريفة ان الانبياء نوابه فهو نبي الانبياء ولا ينافيه علم الله بأن الانبياء لا يدركون حياته لان المؤاخذة على من تولى حين المعاهدة والتعليق في مثل ذلك لا يستلزم الوقوع ولا يلزم من الاستحقاق الحصول بالفعل اهـ

وبدا الوجود منك كريم من كريم آباؤه كرماء

نسب تحسب العلا بحلاه قلدتها نجومها الجوزاء

فاستغفر الله قال العارف القطب أبو الحسن الشاذلي هذا غين أنوار لا غين أغيار لانه صلى الله عليه وسلم كان دائم الترقي فكان كلما توالت أنوار العلوم والمعارف على قلبه ارتقى الى مرتبة أعلى مما هو فيها ورأى أن ما قبلها دونها فيستغفر الله تعالى من تلبسه بذلك الدون تواضعا وطلبا للتزايد كما له وقد جعل الناظم تلك المراتب هي التي تسمو وترتفع به ولم يجر على ما هو المتبادر أنه الذي يسمو ويرتفع بها ساماه والحق أنه تعالى خلقه في عالم الغيب على أكمل كمال يمكن أن يوجد لمخلوق ثم أبرزه في عالم الشهادة مندرجا في تلك المراتب لتتشرف به لا ليتشرف هو بها لما علمت أنه كامل قبلها (قوله وبدا) أي ظهر الوجود أي لهذا العالم وقوله منك كريم أي سالم من كل صفة نقص جامع لكل صفة كمال وهذا أحد أنواع التجريد الذي هو من أدق أنواع البديع وهو أعني التجريد أن ينتزع من أمر ذي صفة أمر آخر مماثل لذلك الامر في تلك الصفة مبالغة لكمالها في ذلك الامر حتى كأنه بلغ من الاتصاف بتلك الصفة الى حيث يصح أن ينتزع منه موصوف آخر بتلك الصفة وهو أنواع منها ما يكون بمن التجريدية كما هنا ونحو قولهم لي من فلان صديق حميم أي قريب يهتم لامره أي بلغ فلان من الصداقة حدا يصح معه أن يستخلص منه فلان آخر مثله ونحو قوله تعالى لهم فيها أي في جهنم دار الخلد بالغ لكمال شدتها فيها تهويلا لامرها حتى انتزع منها دارا وجعلها فيها معدة للكفار فهو صلى الله عليه وسلم لكماله في صفة الكرم صح أن ينتزع منه شخص كريم مبالغة في صفة كرمه وكماله فيه وقوله من كريم أي من هذا الكريم الذي وجد منه صلى الله عليه وسلم وهو نفسه وجد من كريم آخر أي سالم من نقص الجاهلية والمراد بالكريم الآخر أبوه وأمه عبد الله وآمنة وقوله آباؤه أي آباء ذلك الكريم الثاني كرماء وهذا ظاهر في اسلام أبويه صلى الله عليه وسلم وقدم ما فيه (قوله نسب) التنوين فيه للتعظيم اي نسب عظيم بل لا أظهر ولا أجل منه في الانساب وهو اسم لعمود القرابة الذي يجمع متفرقها وقوله تحسب بفتح السين وكسرها أي تظن أنت أيها المخاطب وقوله العلا جمع علياء تأنيث الاعلى كما مر وقوله بحلاه بضم أوله وكسره وهو أي الحلى جمع حلية بكسر أوله وهي ما يتزين به وتسمى حليا أيضا اي بسبب حلى ذلك النسب وزينته وقوله قلدتها اي العلا في محل نصب مفعول تحسب الثاني والاول العلا وقوله نجومها منصوب على نزع الخافض اي بنجومها وقوله الجوزاء اسم لبرج في السماء كما في القاموس وعليه فنجومها ما حوله من النجوم التي تسمى نطاق الجوزاء وقيل الجوزاء وتطلق عرفا على النجوم المجتمعة المعروفة وهي تشبه المرأة فلذا نسب التقليد اليها لكن على الاطلاق الثاني يكون في التركيب شيء لانه اذا كان المراد بالجوزاء نفس النجوم لا يظهر قوله قلدتها نجومها اذ النجوم نفس الجوزاء الا ان يقال ان الجوزاء اسم لمجموع النجوم والمراد بنجومها كل فرد على حدته فيكون المراد ان المجموع قلد بكل فرد من افراده عالي النسب أي مراتبه العاليه وحينئذ فيصح أن ينسب الشيء من حيث هو مجموع أنه قلد غيره كالذي من تلك الافراد التي اشتمل عليها ومعنى البيت أنه من تأمل هذا النسب وشرفه ان من تأمل فيه حسب بسبب ما تحلى به من الكمالات أن المعالي قلدتها الجوزاء نجومها اي جعلت قلادة لها فافاد كلامه ان كل واحد من أولئك الآباء الكرام قد ارتفع في زمنه حتى صار كأنه نجم في الشرف وعلو المرتبة والاضاءة والاهتداء به في ظلمات البر والبحر حتى يظن الظان أنه نجم من نجوم الجوزاء وأن ذلك النسب متناسب كتناسب العقد وكاستدارة نجوم الجوزاء وأن مجموع هذا النسب كعقد الثمين جدا الذي تقلده عنق تلك المراتب العلية اه شارح ببعض تصرف وبعبارة أخرى لشيخنا الحفني نصها قوله تحسب العلاء بحلاه الباء سببية كما نص عليه الشارح والحلى جمع حلية وهي ما يتحلى به من الكمالات كما ذكره الشارح أيضا فحينئذ هي بمعنى العلا فيصير التركيب هكذا تحسب العلا بسبب العلا وهذا لا معنى له فحينئذ ينبغي أن يراد بالحلى نفس الزينة القائمة بالاشخاص فكأنه قال تحسب بسبب المحاسن القائمة بهم ان العلا قلدتها الخ ذ العلا هي المراتب الشريفة ويكون الشارح ناظرا لبيان الحلى في الاصل لا للمراد بها هنا ويصح أن يراد بالحلى

(قوله وبدا) بدون همز بمعنى برز وظهر وأما بالهمزة فمعناه أنشأ وأوجد وليس مرادا هنا والمراد بالوجود هذا العالم ومنك أي يا رسول الله وكريم فاعل بدا أي شخص متصف بكل كمال سالم من كل نقص والمراد به النبي صلى الله عليه وسلم وفيه تجريد وهو أن ينتزع من أمر ذي صفة أمر آخر مماثل له في تلك الصفة قصدا للمبالغة فقد جرد الناظم منه صلى الله عليه وسلم شخصا أخر مبالغة في كمال كرمه صلى الله عليه وسلم وبيان انه بلغ النهاية والغاية وقوله من كريم المراد به أبوه وأمه وقوله آباؤه كرماء صفة لكريم الثاني وفي ذكر آبائه تغليب الذكور على الاناث لشرفهم ومعنى ذلك انهم متصفون بصفات الكمال سالمون من صفات الجاهلية اه صاوى (قوله نسب) أي هذا نسب عظيم والنسب اسم لمجموع أفراد الاصول وتحسب بكسر السين المهملة وفتحها والمراد بالحسبان الاعتقاد الجازم لا معناه الاصلي وهو الظن لانه لا يليق بالمدح والخطاب للمتأمل اه صاوى

(قوله والحلى جمع حلية الخ) قال المحقق الصاوى والحلى جمع حلية بكسر أولهما

حبذا عقد سودد وفخار * أنت فيه اليتيمة العصماء

ويجوز ضمه في الجمع وينبغي أن يراد بالحلى الزينة القائمة بالأشخاص والعلا المراتب الشريفة وجملة قلدتها في محل نصب مفعول ثان لتحسب ونجومها منصوب بنزع الخافض والجوزاء فاعل قلدت ومفعوله الهاء في قلدتها وفي كلام الناظم ثلاث استعارات كلها تصريحية الاولى في النجوم حيث شبه أفراد النسب من حيث ارتفاع كل في زمانه حتى صار كأنه النجم في الشرف وعلو المرتبة والاهتداء به بنجوم الجوزاء واستعار لفظ النجوم له والثانية في الجوزاء حيث شبه مجموع افراد الاصول المسمى بالنسب (٦) بالجوزاء من حيث التناسب بين افراد كل واستعار لفظ الجوزاء له والجوزاء اسم لبرج في السماء ونجومها ما حواليها من النجوم التي تسمى نطاق الجوزاء والثالثة في قوله قلدتها حيث شبه اعطاء النسب المعبر عنه بالجوزاء افراده للمراتب العلية بالتقليد الذي هو الباس القلادة واستعار لفظ التقليد للاعطاء واشتق منه قلدتها بمعنى اعطتها فتكون استعارة تصريحية تبعية والمعنى تحسب ايها المتأمل في هذا النسب الشريف ان مراتبه العالية الثابتة بافراده قد تقلدت أي تزينت بتلك الافراد فيكون قد جرى على أسلوب ماسبق من قوله وتسمو بك العلياء لان أفراد النسب اكتسبت المراتب العالية الشرف فكأنه قال تحسب الجوزاء التي هي مجموع النسب زينت المراتب العاليه وشرفتها بنجومها التي هي أفراد النسب وأظهر في مقام الاضمار حيث صرح بالجوزاء فان المراد بها هنا النسب وهو مذكور سابقا وارتكبه للتوصل الى تشبيه الافراد بالنجوم كما تقدم اه (قوله واصلها حبب الخ) قال العلامة الدماوى واصلها حبب بفتح الحاء وضم الباء اى صار حبيبا بمعنى محبوبا ادغمت الباء الاولى في الثانية وهو فعل وذا فاعل على الصحيح وعقد هو المخصوص بالمدح قال ابن مالك ويعرب المخصوص بعد مبتدا * او خبر اسم ليس يبدو ابدا والعقد هو القلادة من الجوهر والسودد بضم السين السيادة الكاملة والفخار هو الافتخار والتمدح بالخصال الحميدة وقوله أنت فيه اى يارسول الله لاغيرك في ذلك العقد المذكور واليتيمة اى الجوهرة التي لاشبيه لها ولا نظير لها لحسنها اه

السمات الحسية وبالعلا المراتب الناشئة عنها فيكون كلام الشارح ظاهرا وقوله قلدتها الخ فيه ثلاث استعارات كلها تصريحية الاولى في النجوم حيث شبه أفراد ذلك النسب من حيث ارتفاع كل واحد منها في زمانه حتى صار كأنه النجم في الشرف وعلو المرتبة والانتفاع والاهتداء به بنجوم الجوزاء واستعار لفظ النجوم لتلك الافراد والثانية في الجوزاء حيث شبه مجموع تلك الافراد المسمى بالنسب فان النسب اسم لمجموع أفراد الاصول بالجوزاء من حيث التناسب بين افراد كل والشهرة الى آخر ماتقدم واستعار لفظ الجوزاء لهذا النسب والثالثة في قوله قلدتها حيث شبه اعطاء النسب أفراده للمراتب العالية لتتزين تلك المراتب بالافراد على خلاف المتعارف بالباس القلادة لمن يتزين بها واستعار الباس القلادة لاعطاء الافراد واشتق منه قلدتها بمعنى أعطتها فيكون استعارة تصريحية تبعية والمعنى تحسب أيها المتأمل فيه بسبب الزينة القائمة به أن مراتبه العالية القائمة بافراده قد تقلدت بتلك الافراد لتتزين بها فيكون في هذا البيت قد جرى على أسلوب ماسبق في قوله وتسمو بك العلياء حيث جعل هناك الرتبة العالية هي التي تعلو به على خلاف المعتاد من أن الشخص يعلو ويرتقي بالرتبة العالية فيكون قد جعل هنا مراتب النسب هي التي تتزين وتتقلد بالافراد فافراد النسب تكسب المراتب العالية الزينة والشرف فكأنه قال تحسب العلا تقلدت بافراد النسب لكن على هذا في الكلام اظهار في مقام الاضمار حيث قال قلدتها نجومها الجوزاء فان الجوزاء المراد بها هنا النسب وهو مذكور سابقا وارتكبه للتوصل الى تشبيهه بالجوزاء وادعاء انه هي وانما ارتكب الناظم هذا التركيب الصعب للتوصل الى تشبيه الافراد بالنجوم الى آخر ماتقدم في الاستعارات وحينئذ ينبغي ان يراد بالحسبان هنا الاعتقاد الجازم لا معناه الاصلي وهو الظن المشتمل على تجويز النقيض لان هذا لا يليق بالمدح الكامل فيكون في الكلام أربع مجازات ولعل الشارح أشار اليها كلها بقوله كاستعارة نجوم الجوزاء الخ فتكون كلها داخلة تحت الكاف ولا يصح جعل الجوزاء استعارة بالكناية كما ذكره بعضهم لامرين الاول أنه لا يلاقي قول الشارح كاستعارة نجوم الجوزاء فان نجومها اذا كانت مستعارة لافراد النسب المتتابع لا يصح جعلها استعارة بالكناية والثاني أن البيت حينئذ لا يفيد المعنى السابق من أن المراتب هي المتقلدة والمتزينة بالافراد وأن تلك الافراد كالعقد الذي يتزين به تأمل انتهى (قوله حبذا) صيغة مدح كنعم عملا ومعنى مع زيادتها عليها باشعارها بان الممدوح بها محبوب للقلب وأصلها حبب بضم الباء الاولى أي صار حبيبا أي محبوبا لا حبب بفتح الباء اذ المعنى عليه أنه صار حبيبا والغرض أنه محبوب ثم أدغمت الباء الاولى بعد سلب ضمتها في الثانية فصار حب كرد والاصح أن ذا فاعله وقيل حبذا كله فعل وفاعله المخصوص وقيل الكل اسم واحد وقوله عقد هو المخصوص بالمدح وهو مبتدأ مؤخر والجملة قبله خبره وقوله سودد بضم السين أي سيادة وقوله وفخار بفتح الفاء أي افتخار وتمدح بالخصال الجليلة قال بعضهم وقوله عقد سودد من قبيل التشبيه البليغ المجمع فيه بين الطرفين وهذا مبني على أن العقد مشبه والسودد مشبه به وليس كذلك بل هو من قبيل اضافة الموصوف لصفته

وَمُحَيَّا كَالشَّمْسِ مِنْكَ مُضِيءٌ ... أَسْفَرَتْ عَنْهُ لَيْلَةٌ غَرَّاءُ
لَيْلَةُ الْمَوْلِدِ الَّذِي كَانَ لِلدِّيـ ... ـنِ سُرُورٌ بِيَوْمِهِ وَازْدِهَاءُ

أى عقد موصوف بالسيادة والفخار ثم اطلاق العقد على النسب استعارة تصريحية وقوله أنت مبتدأ والعصماء خبره وفيه حال من المبتدا والجملة صفة لعقد أو حال منه أى فى ذلك العقد وفى نسخة فيها اشارة الى المعنى لما تقرر أن العقد القلادة وقوله اليتيمة أى التى لاشبيه لها فى جنسها وقوله العصماء من العصمة أى الحفظ والمنع لان من شأن هذه الدرة أن يبالغ فى حفظها ومنعها عن أن تصل اليها أيدى الاغيار وهذا فيه غاية المدح له صلى الله عليه وسلم ولنسبه أى حبذا نسبك الذى اذا ذكرت وجدت معك آباؤك كانوا قلادة منتظمة من جواهر ثمينة لها السيادة والفخار على جميع الجواهر وكنت أنت أعظمها وأنفسها وأعلاها بحيث تكون أنت واسطتها العديمة النظير والمخصوصة من الرعاية والحفظ والمنع بما لم يوجد لغيرها لتميزها ببلوغها من صفات الجمال ونعوت الجلال ما يبهر العقول ويفوق الوصف (قوله ومحيا) معطوف كفتى مرفوع بضمة مقدرة على الالف المحذوفة لالتقاء الساكنين معطوف على عقد سودد الذى هو مخصوص بالمدح أى وحبذا أيضا محيا والمحيا معناه الوجه أى وحبذا وجه وقوله كالشمس نعت له وقوله منك حال منه وقوله مضىء نعت آخر أو أن قوله مضىء مبتدأ مؤخر وكالشمس خبر مقدم والجملة نعت لمحيا أو حال منه لتخصيصه بمنك وقوله أسفرت عنه الخ الجملة حال أو نعت أيضا وقوله اسفرت عنه أى انحسرت و زالت وانقضت وانكشفت عنه أى عن ذلك المحيا أو أضاءت منه او زعمه ليلة عظيمة وقوله غراء أى بيضاء بظهور نوره فيها او بعدها وهذا أولى ممن جعل ذلك أى جعل كونها غراء من حيث ظهور القمر فيها بناء على أنها الليلة الثانية عشر من الشهر او من حيث كونها من غرة الشهر أى أوله بناء على أنها الليلة الثانية منه لان كلا من هذين لامدح فيه له صلى الله عليه وسلم بخلاف الاول اذ فيه اشارة الى أن تلك الليلة استنارت بنوره فكانت غرة فى وجه الدهر (قوله ليلة المولد) بدل من ليلة غراء والمولد بكسر اللام مصدر ميمى بمعنى الولادة وقوله الذى نعت للمولد وكان ناسخة وسرور اسمها وخبرها الدين أو بيومه أو كل منهما والدين الشرع المبعوث به النبى الكريم صلى الله عليه وسلم وقوله سرور أى فرح عظيم وقوله بيومه أى فى يومه أو كان السرور بنفس اليوم من حيث الولادة فيه فوصف ذلك اليوم المولد دون ذاته مبالغة فى زيادة عظمته لان ذلك اذا وقع لظرفه التابع له فكيف بذاته وقوله ازدهاء أى افتخار أى هذه الليلة الغراء هى ليلة ولادة تلك أو ولادة أشرف مولود فلاجل ذلك سر الدين وأهله باليوم الذى برز فيه الى هذا الوجود على الوجه الاكمل وافتخر به على سائر الاديان والايام وازدهاء أصله ازتهاء من الزهو وهو التكبر والفخر وقعت تاء الافتعال وهى من الحروف الرخوة بعد الزاى التى هى من الشديدة فتنافرتا فابدلت دالا وابقيت بلا ادغام ويجوز بعد قلبها زايا أو الزاى دالا الادغام لاحداهما فى الاخرى واختلفوا هل ولد ليلا أو نهارا وظاهر كلام المتن الاول والراجح الثانى لكن بعيد الفجر وعلى انه ولد نهارا فهو يوم الاثنين اتفاقا ثم قيل انه فى شهر غير معين والمشهور انه معين وهو صفر أو ربيع الاول أو ربيع الآخر أو رجب أو رمضان أو يوم عاشوراء أقوال ستة والاصح انه فى شهر ربيع الاول وقيل ان اليوم فيه غير معين والاصح أنه معين فقيل لليلتين منه وقيل لثمان وقيل لعشر وقيل لاثنتى عشرة وهو المشهور وعليه العمل وقيل لسبع عشرة وقيل لثمان بقين منه أقوال ستة وانما لم يكن فى يوم الجمعة ولا فى الاشهر الحرم ورمضان لئلا يتوهم أنه صلى الله عليه وسلم شرف بذلك الزمن الفاضل فجعل فى المفضول لتظهر مزيته به على الفاضل ونظيره انه دفنه بالمدينة دون مكة لانه لو دفن بها لكان يقصد تبعا لها فجعل بموضع مفضول عند أكثر العلماء ليتشرف به بل ليفوق به الفاضل عند كثيرين منهم وليقصد قبره ومسجده بطريق الاستقلال لا التبعية اظهارا لمزية كرامته على ربه واختلفوا فى عام ولادته والاكثرون على أنه عام الفيل والمشهور انه ولد بعده بخمسين يوما وو راء ذلك أقوال أخر فقيل ولد بعد الفيل بخمسة وخمسين شهرا وقيل باربعين شهرا وقيل بعشر سنين وقيل بخمس عشرة سنة واختلفوا فى مكان ولادته والصواب أنه مكة قيل بالشعب وقيل بالردم والمشهور أنه بالمسجد

(قوله ثم قيل انه فى شهر غير معين) قال البدر الصاوى واختلف فى الشهر الذى ولد فيه فقيل صفر وقيل ربيع الاول وقيل ربيع الثانى وقيل رجب وقيل رمضان والمشهور انه ربيع الاول عام الفيل على الصحيح وكانت ولادته يوم الاثنين وانما ولد يوم الاثنين ولم يكن يوم الجمعة أو فى الاشهر الحرم اشارة الى أن الزمان يتشرف به لا أنه يتشرف بالزمان ولذلك دفن بالمدينة المنورة فتشرفت به فصار مضجعه أشرف الاماكن باتفاق الائمة وشرفت بجواره المدينة فصارت أشرف من مكة عند المالكية اه

المشهور

المشهور الآن بالمولد وزعم أنه ولد بعسفان شاذ لا يعول عليه تأمل (قوله وتوالت) أى تتابعت والظاهر أنه معطوف على كان الواقعة صلة للموصول الذى هو لفظ الذى الواقع صفة للمولد الذى هو بمعنى الولادة لكن هذا المعطوف خال عن العائد للموصول فلعله اكتفى بالعائد فى المعطوف عليه أو يقال العائد اعادة موصوف الموصول بلفظه لان قوله أن قد ولد على تقدير الجار فيؤول بمصدر أى بأن قد ولد أى بالولادة ولعل هذا القدر كاف فى العائد وقوله بشرى بمعنى البشارة وقوله الهواتف جمع هاتف وهو ما يسمع صوته ولا يرى شخصه وقد هتفت الجن كثيرا ليلة مولده أى اخبرت بولادته بعضها على الحجون بفتح الحاء جبل مطل على معلاة مكة أى مقبرتها وبعضها على أبى قبيس وقوله وحق بفتح الحاء أى ثبت يقال حق الشئ بفتح الحاء يحق بكسرها وضمها اذا ثبت ومن هذا المعنى اسمه تعالى فمن أسمائه تعالى الحق أى الثابت وجوده أزلا وأبدا وقوله الهناء أى الفرح والسرور لكل الخلائق به عليه الصلاة والسلام (قوله وتداعى) معطوف على الصلة أيضا أو مستأنف أى تهادم أى أشرف على السقوط لانه انشق شقا بينا أفضى الى خرابه وسقط منه أربع عشرة شرافة وفسرت بأربعة عشر ملكا من ملوك فرس تهلك فهلك عشرة فى زمن عمر وأربعة فى زمن عثمان وقوله ايوان بكسر الهمزة أصله اوان بتشديد الواو فقلبت احدى الواوين ياء لانكسار ما قبلها وقد تحذف الياء ويقال اوان كديوان ويقال فيه ليوان ويجمع على أواوين كدواوين وهو بيت الملك المعد لجلوسه مع أرباب مملكته لتدبير ملكه وكان محكما يظن أنه لا تهدمه الا النفخة وكان طوله مائة ذراع وسمكه كذلك وعرضه خمسون ذراعا وقرر شيخنا العمادى أنه لعل أن مسجد السلطان حسن بنى على شكل وقدر وصورة ايوان كسرى وقوله كسرى بفتح الكاف وكسرها لقب لكل من ملك الفرس وكان اسمه انوشروان وقوله ولولا حرف امتناع لوجود وقوله آية أصلها أية قلبت الواو ألفا وقوله منك متعلق بمحذوف أى صادرة منك أى علامة عظيمة على نبوتك ورسالتك العامة وأن كل من عاندك لا يرتفع له رأس ونبه النفات من الغيبة الى الخطاب وقوله ما تداعى البناء أى هذا المبنى المذكور مع ما هو عليه من العظم والاحكام ولما تحرك وانشق وسقطت شرافاته علم أن ذلك ليس الا محض آية وعلامة دالة على نبوته وأنه لا ملك ولا عز يبقى لاحد مع ملكه وعزه فقد أهين كسرى بجيوش عمر غاية الهوان وطرد الى أقصى مملكته ثم قتل فى زمن عثمان بجيوشه وزال ملكه بالكلية (قوله وغدا) معطوف على الصلة أيضا أو مستأنف أى صار فى تلك الليلة كل بيت نار أى كل واحد من بيوت نار الفرس التى كانوا يعبدونها ويحكمون ايقادها حتى أنه كان لها ألف سنة لم تخمد ونار أصله نور قلبت الواو ألفا وكانت هذه الصيرورة من العجائب التى ظهرت ليلة ولادته لينتبهوا ويسألوا عن سبب ذلك وقوله وفيه الواو للحال وقوله كربة بضم أوله أى غم يأخذ النفس وربما أهلكها وقوله من خمودها من تعليلية والخمود بضم الخاء من باب دخل سكون لهب النار من غير انطفاء جمرها فان انطفأ أيضا قيل له همود وهو من باب دخل أيضا وقوله وبلاء أى عظيم صبه الله عليهم ازالة لما يعتقدونه آلهتهم ومعبودهم فلما انطفأت تلك النيران العظيمة فى ساعة واحدة من تلك الليلة علموا أن ذلك لامر عظيم حدث فى العالم وكان كذلك (قوله وعيون) معطوف أو مستأنف كما تقدم أى ومن تلك العجائب التى ظهرت فى تلك الليلة عيون وهو مبتدأ وسوغه وصفه بقوله للفرس وجملة غارت هو الخبر والفرس بالضم ويقال لهم فارس امة عظيمة كان مسكنهم فى شمال العراق من الفراسة بالفتح أى الشجاعة وكسرى من أعظم ملوكهم وقوله غارت أى فى الارض حتى لم يبق منها قطرة ومن جملتها بحيرة طبرية كانت تسير فيها السفن وكان طولها ستة أميال وعرضها كذلك وتسمى عين ساوة وقوله فهل الخ استفهام تعجبى توبيخى تقريعى أى يتعجب من غورها مع كثرتها ومن انطفاء النار مع قوتها فهل طفئت النار بالماء لا بل لم يطفئها الا سر وجوده وظهوره الذى اضمحل به كل باطل ولذا قال مولده الخ وقد أشار لهذا فى بردة المديح بقوله

وتوالت بشرى الهواتف ان قد
ولد المصطفى وحق الهناء
وتداعى ايوان كسرى ولولا
آية منك ما تداعى البناء
وغدا كل بيت نار وفيه
كربة من خمودها وبلاء
وعيون للفرس غارت فهل كا
ن لنيرانهم بها اطفاء

(قوله أى صار الخ) قال العلامة الصاوى وغدا أى صار فى تلك الليلة كل بيت نار أى من بيوت نار فارس التى كانوا يعبدونها ويوقدونها ألف سنة لم يطفأ لها لهب لانهم كانوا مجوسا وقوله وفيه أى فى كل بيت نار كربة أى على أهله وهى غم ينزل بالانفس وربما اهلكها

كأن بالنار ما بالماء من بلل * حزنا وبالماء ما بالنار من ضرم

(قوله مولد) بالجر بدل من المولد وبالرفع خبر مبتدأ محذوف وقوله كان أي صار على الدوام وقوله منه أي من أجله وهي ابتدائية وقوله في طالع الكفر أي في النوم او الالهام الذي يطلع به على عواقب الكفر وعايات أهله المترتبة عليه وهذا هو المراد بالطالع وقال بعضهم الطالع في الاصل اسم لنجم يستدل به الكهنة والمنجمون من الكفرة على امور تحدث في العالم فيقولون اذا طلع النجم الفلاني يحصل كذا وكذا واضيف للكفر من حيث اعتماد أهله عليه وتعويلهم عليه واستعير هنا للامور التي دلت على وقوع الوبال بهم كرؤيا الموبذان واخبار سطيح ووجه الشبه المبنية عليه الاستعارة دلالة كل على أمر خفي وان كان دلالة النجم بحسب زعمهم ودلالة الامور المذكورة على سبيل التحقيق فينئذ الظرفية من قبيل ظرفية المدلول في الدال فان الوبال مدلول كما علمت والطالع باعتبار المراد منه دال عليه وقوله وبال أي هم وغم عليهم اي الكفار المعلومين من السياق وقوله ووباء يقصر ويمد لغتان وهو المرض العام الذي لا يختص بطائفة ويقال هو كثرة الموت من غير سبب بخلاف الطاعون فانه الموت بسبب طعن كفار الجن لمسلمي الانس (قوله فهنيئا) أي فبسببه ما حصل بوجوده في هذا الكون لهذه الامة من المزايا وله من العطايا ولآبائه وأمهاته من الشرف الاكبر حق أنه يقال في شأن أمه هنيئا لآمنة وقوله الفضل فاعل فعل محذوف وهنيئا حال منه أي من الفاعل المذكور والتقدير ثبت لها الفضل أي الكمال والشرف حال كونه هنيئا أي لا آفة فيه ولا نكد وقوله الذي شرفت به حواء اي ومن بعدها من امهاته الى آمنة فان الولادة منسوبة الى كل منهن لكنها لآمنة بدون واسطة ولغيرها بواسطة فمن ثم خصها من بينهن بذلك الشرف حيث قال فهنيئا به لآمنة فذكرها لهذا او للجمع بين طرفي الولادة الاول والآخر ولينبه على ان حواء امتازت بابرازه صلى الله عليه وسلم الى وجود عالم الاصلاب وآمنة امتازت بابرازه صلى الله عليه وسلم الى وجود عالم الاستقلال مع عدم الواسطة ومن ثم قال مبينا لمزيتها على حواء بدلا من حواء الخ (قوله من لحواء الخ) لما قرر اشتراك آمنة وحواء في الولادة ونسبة ما بها اشار الى الفرق بينهما وان آمنة أشرف فقال من لحواء بالمد وهو استفهام استبعادي بمعنى النفي اي من يفرح لها ويثبت لها أنها حملت أحمد وهو اسم منقول من الصفة التي معناها المفضل فمعناه أحمد الحامدين اي أكثرهم حمدا لربه ولذا يفتح عليه في القيامة عند الشفاعة بمحامد لم يفتح بها على غيره فيحمد ربه بها ولذلك يعقد له لواء الحمد ويكون تحته آدم فمن دونه وقوله حملت من باب ضرب سواء كان في البطن أو على الظهر أو على الرأس ومنه حملت الشجرة ثمرها اذا أطلعته وأخرجته وقوله أو أنها به نفساء أي أصابها نفاس وهو الدم الخارج عقب الولد أي وأنها ولدته بلا واسطة أي لو قدر لها انها حملته وولدته بلا واسطة لكان لها به غاية الفخر لكن لم يقدر ذلك لها بل لآمنة لما سبق في علمه تعالى أنها الفائزة بشرف الانتهاء وهو أفضل مما فازت به حواء من شرف الابتداء لهذا قال يوم نالت الخ (قوله يوم) بدل من مولد فيما سبق فهو مرفوع أو مجرور ومبني على الفتح لاضافته للمبني والظاهر أنه بدل اشتمال لان المولد المراد به الولادة وقوله نالت أي ظفرت وأخذت وأعطيت بوضعه أي بسببه وقوله ابنة وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة فهي تلتقي مع النبي صلى الله عليه وسلم من جهة آبائها في كلاب وأمها برة بنت عبد العزى بن قصي بن عبد الدار بن قصي بن كلاب وقوله من فخار من بيانية لما التي بعدها والفخار التمدح بالخصال العلية والشيم الطاهرة المرضية وقوله مالم تنله النساء أي حتى حواء كما مر وهذا لا يقتضي أفضليتها على حواء مطلقا لانه انما فضلت من وجه واحد وهو ولادتها له بلا واسطة والتفضيل من حيث هو مزية واحدة أو مزايا لا يقتضي الافضلية على الاطلاق فلا ينافي هذا ما انعقد عليه الاجماع من أن حواء أفضل منها بدليل الاختلاف في نبوتها وذكروا أن لما ان قربت ولادة النطفة الكريمة فيها أصبحت أصنام الدنيا منكوسة واخضرت الارض وحملت الاشجار وكانت قريش في جدب شديد فسميت

مولد كان منه في طالع الكفر وبال عليهم ووباء

فهنيئا به لآمنة الفضل الذي شرفت به حواء

من لحواء انها حملت أحمد او انها به نفساء

يوم نالت بوضعه ابنة وهب من فخار مالم تنله النساء

(قوله ثبت لها الفضل الخ) قال العلامة الصاوي والمراد بالفضل ولادته صلى الله عليه وسلم ومعناه الفضل الكامل اختصت به آمنة الذي شرفت وبه متعلق بشرفت وحواء نائب فاعل ومعنى البيت ثبت الهنا للمؤمنين عموما بذلك المولود مع اختصاص الفضل العظيم لآمنة الذي هو مباشرة ولادته وحملها بجسمه الشريف الذي تشرفت به حواء اي فمن دونها من النساء اللاتي حملن بالنور الشريف ففي كلام المصنف اكتفاء اه

ثالث السنة سنة الفتح ونودي في الملكوت ان النور المكنون قد انتقل الى بطن آمنة ذات العقل الباهر والفضل الظاهر تدخصها الله تعالى بهذا الحبيب وأخرج أبو نعيم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال ليلة حمل آمنة برسول الله صلى الله عليه وسلم نطقت كل دابة كانت لقريش وقالت حمل برسول الله صلى الله عليه وسلم ورب الكعبة وهو امام الدنيا وسراج العلماء ولم يبق سرير لأحد من ملوك الدنيا الا أصبح منكوسا ومرت وحوش المشرق الى وحوش المغرب بالبشارات وكذلك أهل البحار يبشر بعضهم بعضا وله صلى الله عليه وسلم في كل شهر من شهور حمله نداء في الارض ونداء في السماء أن أبشروا فقد آن أن يظهر أبو القاسم صلى الله عليه وسلم ميمونا مباركا (قوله وأتت) معطوف على ثالث أي ويوم أتت وقوله قومها اسم جمع الذكور وقد تدخل فيه النساء تبعا كما هنا وقوله بأفضل أي مولود أفضل بالاجماع وقوله مما حملت اي به وهو عيسى وقوله قبل اي قبل آمنة ومر ان بينهما ستمائة سنة وقوله مريم بنت عمران الصديقة قيل هي من ذرية سليمان وبينه وبينها اربعة وعشرون ابا وهي افضل النساء على الاطلاق الخلاف في نبوتها والقول بها فيها اقوى من القول بها في غيرها من النساء ورفع عيسى وعمرها ثلاث وخمسون سنة وبقيت بعد ذلك خمس سنين اوستا كما قال السيوطي قال ولما رفع الى السماء تعلقت به وبكت فقال لها القيامة تجمعنا وقوله العذراء اي البكر لانها لم تتزوج والعذرة البكارة وحملها بعيسى انما هو من نفخ جبريل في طرف قميصها فحملت به ووضعته في وقتها على الفور وهذا هو الاشهر كرامة لها ومعجزة له واذا نزل الى الارض يصلي وراء المهدي أول مرة ثم يتقدم عليه بعد ذلك وصلاته وراءه أولا اعلاما بأنه لم ينزل مستقلا بل تابع ومؤيد لحكم بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم وتقدمه على المهدي بعد ذلك لانه أفضل منه (قوله شمتته) من التشميت بالمعجمة والمهملة وهو أن يقال للعاطس رحمك الله وهذا دعاء له بالسلامة من الشرامت أو ببقاء سمته بحاله لان العطاس ربما كان سببا لانحراف بعض الاعضاء كتعريج العنق لكن لا يسن تشميت العاطس الا اذا حمد الله بعد عطاسه ويسن للعاطس أن يذكره الحمد بأن يقول هو أي الحاضر الحمد لله رب العالمين فيقوله العاطس فيقول له الحاضر رحمك الله ولشيخنا الحفني رحمه الله تعالى

من يبتدي عاطسا بالحمد يأمن من * شوص ولوص وعلوص كذا وردا
عنيت بالشوص داء الضرس ثم بما * يليه بطنا فاذنا فاستمع رشدا

وهذا النظم جاء به الحديث وقوله الاملاك بوزن فعال جمع ملك وهذا هو القياس في جمعه كجمل وأجمال ولفظ الملك مشتق من الالوكة وهي الرسالة فهمزته أصلية وميمه زائدة وأصله مألك بتقديم الهمزة على اللام بوزن مفعل ثم نقلت الهمزة الى ما بعد اللام فصار ملأك على وزن معفل ثم خفف بعد النقل ونقلت حركة الهمزة الى اللام فصار ملك على وزن معل وحينئذ فقياس هذا جمعه على أفعال كما جرى عليه الناظم وانما جمعوه على ملائكة لانهم راعوا ملأك بعد القلب وقبل التخفيف وقولهم من الالوكة مصرح بأن ميمه زائد وهو رأي الجمهور وذهبت طائفة الى أنها أصلية ثم اختلفوا هل هو من الملك بفتح الميم أي القوة لقوتهم أو بكسرها بمعنى مملوك قولان قايل وأحسن من الجميع قول النضر بن شميل انه غير مأخوذ من شيء وهو التحقيق الذي دلت عليه الآثار وقوله اذ وضعته أي وقت وضع أمه له وقوله وشفتنا اي أفرحتنا وسرتنا أو من الشفاء لانها رقيا والرقيا كثيرا ما يحصل منها الشفاء لان قولها الآتي يشفي العليل ويبرد الغليل وقوله بقولها الشفاء بالفاء المشددة وهي أم عبد الرحمن بن عوف أحد العشرة رضي الله عنهم بنت عمرو بن عوف وقولها هو ما أخرجه أبو نعيم عن ولدها عبد الرحمن عنها قالت لما ولدت آمنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقع على يدي فاستهل فسمعت قائلا يقول رحمك الله ورحمك ربك قالت الشفاء وأضاء لي ما بين المشرق والمغرب حتى نظرت الى قصور الروم قالت ثم ألبسته وأضجعته فلم ألبث اذ غشيتني ظلمة ورعب وقشعريرة ثم غيب عني

واتت قومها بافضل مما
حملت قبل مريم العذراء
شمتته الاملاك اذ وضعته
وشفتنا بقولها الشفاء

(قوله وقوله مما حملت اي به وهو عيسى) وانما اتى بهذا البيت وان كان تفضيل النبي على عيسى قد علم من قوله كيف ترقى الى آخره لانه ربما يتوهم ان التفضيل المتقدم على غير عيسى بسبب انه ولد بغير أب ولم يمكث في بطن امه مدة الحمل وانه رفع الى السماء وصار ملكا وينزل محمولا على اجنحة الملائكة على منارة جامع بني أمية بدمشق الشام ويحكم بشريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يأخذ الجزيه لان هذه مزايا وحكمه بشريعة النبي مما يؤيد أنه أفضل منه وأما رفعه الجزية فهو مغيا في شريعتنا بنزوله اهصاوي

فسمعت قائلا يقول أين ذهبت به قال الى المشرق قالت فلم يزل الحديث مني على بال حتى أن بعثه الله تعالى فكنت فى أوّل الناس اسلاما وقولها فاستهل أى رفع صوته بالعطاس بشهادة قولها فسمعت قائلا يقول رحمك الله ورحم بلنو قولها فسمعت قائلا الخ أى سمعت ملكا يقول الخ وتعبير الناظم بصيغة الجمع فى قوله الاملاك مبالغة واشارة الى أن عصمة الملائكة توجب أن الفعل المسند الى أحدهم كأنه مسند الى الجميع وتشميت الملائكة له بالقول المذكور يقتضى أنه حمد الله بعد عطاسه لان التشميت انما يسن بعد حمد العاطس فعلى هذا يكون صلى الله عليه وسلم من جملة من تكلم فى المهد (قوله رافعا) حال من مفعول وضعته وقوله رأسه أى الى السماء كما رواه أبو سعيد أن آمنة قالت لما فصل منى تعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج منى نور أضاء له ما بين المشرق والمغرب ثم وقع على الارض معتمدا على يديه ثم أخذ قبضة من التراب فقبضها ورفع رأسه الى السماء وقوله وفى ذلك الرفع أى الذى هو اول فعل وقع منه بعد بروزه الى هذا العالم وهو خبر مقدم وقوله الى كل سودد أى رفعة وسيادة على الخلق وهو متعلق بالمبتدأ الذى هو ايماء وقوله ايماء أى اشارة الى أن شأنه وقدره يرتفع ويعلو فى الدنيا والآخرة الى مراتب لا يصلها غيره من ملك ولا جن ولا انس (قوله رامقا) حال من مفعول وضعته أيضا فتكون من الاحوال المترادفة أو من ضمير رافعا فتكون من المتداخلة وقوله طرفه فاعل رامقا أى بصره وهو مفرد لا جمع له وقوله السماء مفعول به اى ناظر الى جهتها نظرا خفيا اذ الرمق بسكون الميم النظر الخفى لا مطلق النظر وقوله ومرمى هو فى الاصل غرض الرامى الذى يصيبه سهمه وهو هنا ما انتهى اليه البصر وهو مبتدأ خبره العلاء وعين مضاف اليه ومن موصولة صلتها جملة شأنه العلوّ والمراد بشأنه قصده وقوله العلوّ أى ارتفاع مكانه وقوله العلاء بالفتح والمد أى الرفعة والشرف ويجوز ضم عينه مع القصر أى الرتب العالية أى كما أن رفع رأسه ايماء الى ما مر كذلك رمق بصره الى جهة العلوّ ايماء الى أنه لا يقصد الا أعلى المراتب اذ من شأنه العلوّ لا يقصد الا جهاته وما يوصل اليها دون غيرها مما لا يناسب فضله (قوله وتدلت) معطوف على نالت أى ويوم تدلت اى دنت وقربت وقوله زهر النجوم جمع أزهر اى نجم أزهر اى مضىء مشرق فهو من اضافة الصفة للموصوف أى الكواكب المضيئة وقوله اليه أى تعظيما وتكريما له لم يقع نظيره لغيره وقوله فأضاءت أى فبسبب هذا التدلى أضاءت وقوله بضوئها اى بضوء تلك الكواكب المضيئة وقوله الارجاء أى نواحى البيت الذى ولد فيه أو نواحى السماء أو نواحى الوجود وروى البيهقى عن فاطمة الثقفية انها قالت لما حضرت ولادة النبي صلى الله عليه وسلم رأيت البيت حين وقع قد امتلأ نورا ورأيت النجوم تدنو حتى ظننت انها ستقع علىّ (قوله وتراءت) اى ويوم تراءت من رأى بمعنى أبصر وليس المراد هنا حقيقة التفاعل بل اصل الفعل اى رأت قصور قيصر وهو لقب لكل من ملك الروم وقوله بالروم هو فى الاصل اسم شخص هو ابن عيص واخى يعقوب والمراد هنا نفس الاقليم وقوله يراها الخ حال وقوله من داره اى الذى داره البطحاء اى مكة والابطح والبطحاء مسيل الماء الواسع الذى فيه دقاق الحصى وأصل ذلك ما روى عن أمه عليه السلام قالت لما ولدته خرج من فرجى نور أضاء له قصور الشام فولدته نظيفا ما به من قذر وفى رواية عنها لما فصل منى خرج معه نور أضاء له ما بين المشرق والمغرب حتى نظرت الى بعض قصور الروم وصح أنه ولد مختونا مقطوع السرة لكن المشهور أن عبد المطلب ختنه يوم سابع ولادته وجعل له وليمة (قوله وبدت) لما تمم الكلام على عجائب ولادته شرع فى ذكر عجائب الرضاع ومعجزاته مستأنفا أو عاطفا عطف الجمل فقال وبدت أى ظهرت لمن فى عصره بطريق العيان ولمن بعدهم بطريق البرهان وقوله فى رضاعه أى فى زمانه أو فيه نفسه وقوله معجزات اى أمور خارقة للعادة وتسميتها معجزات على رأى السلف كالامام أحمد فانهم يطلقون المعجزة على كل خارق ليس بسحر وان تقدم على البعثة والمشهور مذهب الخلف وهو ان المعجزة يشترط فيها ان تكون بعد البعثة أما ما قبلها فيقال له ارهاص وتأسيس للنبوة فعليه تكون تسمية عجائب الرضاع معجزات مجازا من

رافعا رأسه وفى ذلك الرفـ ع الى كل سودد ايماء
رامقا طرفه السماء ومرمى عين من شأنه العلوّ العلاء
وتدلت زهر النجوم اليه فأضاءت بضوئها الارجاء
وتراءت قصور قيصر بالرو م يراها من داره البطحاء
وبدت فى رضاعه معجزات ليس فيها عن العيون خفاء

(قوله رامقا الخ) قال العلامة الصاوى ومعنى البيت وغاية نظر عينى من شأنه العلوّ القلبية والبصرية المراتب العالية لانه أعلى الخلق همة وقوله وتدلت أى قربت ودنت النجوم الزاهرة اليه أى الكواكب المضيئة وتدليها كرامة وتعظيما له لم يقع لغيره لما رواه البيهقى عن فاطمة الثقفية قالت لما حضرت ولادة رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت البيت حين وضع قد امتلأ نورا ورأيت النجوم تدنو حتى ظننت أنها ستقع علىّ اهـ

حيث مشابهتها المعجزات الحقيقية وقوله ليس فيها متعلق بخفاء أى ليس خفاء كائن فيها الوضوحها وهو اسم مصدر لاخفيته لانه بمعنى كتمته لامصدر لخفيته لانه بمعنى اظهرته (قوله اذ أبته) تعليل او ظرف لقوله و بدت فى رضاعه وقوله ليتمه بضم الياء وفتحها ويقال يتم من باب علم وتعب وقرب اى لاجل موت ابيه وقد مضى له وهو حمل شهران وقيل سبعة أشهر وكان موته بطيبة المنورة وهو راجع من الشام للتجارة ومات عند اخوال ابيه عبد المطلب ودفن بها وقيل دفن بالابواء محل قريب من رابغ قيل انما يتم صلى الله عليه وسلم لئلا يكون لمخلوق فى عنقه حق وقيل فى الحكمة لئلا يجب عليه طاعة لغير الله وقيل لئلا يكون عليه ولاية لغير الله وقوله مرضعات اى كن يأتين مكة يطلبن الرضعاء لان ارضاع المرأة ولدها كان عارا عندهم ولان هواء البادية اطيب وقوله قلن مافى اليتيم اى مافى هذا اليتيم عنا متعلق بقوله غناء اى ليس فيه نفع يغنى عنا شيأ ليتمه وفقره اى انما تركناه لانا انما نبغى الرضعاء رجاء المعروف من آبائهم واما الام والجد فليسا كذلك (قوله فأتته) اى فبعدان تركنه لذلك أتته من آل سعد بن بكر ونسبت اليه مع أنه الجد التاسع لها لانه أشهر وبه عرفت القبيلة وزوجها من هذه القبيلة أيضا وقوله فتاة أى شابة كريمة وفى كونها حليمة السعدية من الفأل الحسن والبشارة العظيمة بحصول غاية الحلم والسعد لهذا الرضيع مالا يخفى عظيم وقعه وقد كان صلى الله عليه وسلم يحب الفأل الحسن وقوله قد أبتها أى امتنعت من اعطائها رضيعا الرضعاء أى أهلهم لان الفقر يستلزم قلة الاكل المستلزمة لقلة اللبن المضرة بالرضيع عادة وما تعطاه من الاجرة ربما تصرفه فى حوائجها غير الاكل فلا يفيدها فى دفع الجوع الذى هو المحذور وأصل ذلك ما رواه ابن اسحق عن حليمة أنها قدمت مكة فى نسوة من قومها يلتمسن الرضعاء فى سنة مجدبة ومعها ابن لها صغير رضيع اسمه ضمرة ومعها ناقة ما تنبض بقطرة لبن فكان صبيها لاينام من الجوع قالت وما علمت امرأة منا الا وقد عرض عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فتأباه اذا قيل يتيم ومابقى من صواحبى امرأة الا أخذت رضيعا غيرى فلما لم أجد غيره قلت لزوجى والله انى أكره أن أرجع بدون رضيع فانطلقت الى ذلك اليتيم فاذا هو مدرج فى ثوب من صوف أبيض من اللبن يفوح منه المسك وتحته حريرة خضراء وهو راقد على قفاه يغط والغطيط صوت النائم فكرهت أن أوقظه من نومه لحسنه وجماله فدنوت منه فوضعت يدى على صدره فتبسم ضاحكا فقبلته بين عينيه وأعطيته ثديى الايمن فدر لبنه فشرب منه ماشاء ثم أخذته فجئت به رحلى أى المكان الذى هم نازلون به وكان فى جهة شبيكة فقام زوجى الى ناقتنا فاذا هى حافل أى ممتلئ ضرعها لبنا فحلب ماشرب وشربت حتى روينا وبتنا بخير ليلة فلم يزل الله يزيدنا خيرا (قوله أرضعته) بدل من أتته وقوله لبانها بكسر أوله مفعول به واللبان مختص بابن الرضاع وقوله فسقتها أى فبسبب هذا الارضاع لهذا المولود السعيد سقتها أى حليمة وبنيها وكانوا قد أشرفوا على الهلاك من الجوع لما مر أن أرضهم كانت فى غاية الجدب وقوله لبانها فيه استعمال اللبان فى غير لبن الرضاع مجازا والضمير راجع على الشاء وهو جمع شاة واسقاء الشياه لبانها لحليمة وبنيها فى هذا الوقت المجدب كرامة لذلك المولود وبركته أيضا أصبحت شولا الخ (قوله أصبحت) أى الشاء وقوله شولا كركع فهو بالتشديد جمع شائل وهى فى الاصل الناقة التى تشول بذنبها للقاح ولا لبن بها أصلا فاستعمالها فى الشاة مجاز علاقته المشابهة وقوله عجافا أى هزيلات وقوله وأمست لم يرد بأمسى وأصبح معناهما وهو الاتصاف بالخبر فى الصباح والمساء بل انها كانت فى حال فاعتراها نقيضه فى أقرب زمن وأسرعه وقوله ما بها أى ما فيها شائل مبتدا وخبر أو شائل فاعل الظرف وقوله ولا عجفاء أى هزيلة (قوله أخصب) من الخصب بكسر أوله وهو ضد الجدب وقوله العيش أى ما يتعيش به سواء كان للآدميين أو الدواب أى كثر قوت الآدميين والدواب وقوله عندها أى حليمة أو الشاة وقوله بعد محل بسكون الحاء المهملة أى شدة جدب وهو انقطاع المطر ويبس الارض من الكلأ والزرع وقوله اذ أى ذلك الخصب كان وقت أن غدا منها أو لاجل أن غدا منها أى صار

اذ أبته ليتمه مرضعات
قلن مافى اليتيم عنا غناء
فأتته من آل سعد فتاة
قد أبتها لفقرها الرضعاء
أرضعته لبانها فسقتها
وبنيها ألبانهن الشاء
أصبحت شولا عجافا وأمست
ما بها شائل ولا عجفاء
أخصب العيش عندها بعد محل
اذ غدا للنبى منها غذاء

(قوله قيل انما يتم صلى الله عليه وسلم الخ) ولما مات أبوه قالت الملائكة يارب تركت نبيك يتيما فقال سبحانه انا له ناصر وكفيل اه صاوى

بالهامنة لقد ضوعف الاجـ
ـر عليها من جنسها والجزاء

واذا سخر الاله اناسا
لسعيد فانهم سعداء

حبة أنبتت سنابل والعصـ
ـف لديه يستشرف الضعفاء

(قوله واذا سخر الاله الخ) قال العلامة الصاوى سخر اى ذلل او بمعنى وفق اى ماحصل لحليمة من هذه المزية انما نشأ من تسخير الله لها فى هذا الفعل الجميل وقد تقرر فى المعقول والمنقول انه اذا سخر الاله اناسا لسعيد كالنبى صلى الله عليه وسلم فانهم سعداء وفى كلام الناظم حذف والتقدير لخدمته وخدمته فانهم سعداء بتلك الخدمة وقد تحققت سعادة حليمة وزوجها واولادها فختم لهم بالاسلام وهذا البيت يسمى عند علماء البديع بالكلام الجامع لان فيه حكمة وموعظة ولهذا المعنى اشار بعضهم بقوله

لقد بلغت بالهاشمى حليمة
مقاما علا فى ذروة العز والمجد

وزادت مواشيها واخصب ربعها
وقد عم هذا السعد كل بنى سعد

وقوله منها أى من حليمة أو من الشاة والاول أظهر لان غذاءه من حليمة من غير واسطة ومن الشاة بالواسطة وقوله غذاء بكسر الغين والذال المعجمة أى لبن تغذيه به (قوله يالها) كلمة تعجب من هذه الفعلة الجميلة من حليمة وهى ارضاعها له من غير مقابل دنيوى ترجوه والغرض من هذا النداء التعجب لان العرب اذا استعظمت شيأ تناديه على سبيل التعجب فليس النداء هنا على حقيقته اذ النداء الحقيقى لا يخاطب به الا العاقل أو المنزل منزلته والارضاع ليس كذلك وقوله منة تمييز أى نعمة منها عليه وقوله لقد اللام للقسم أو للتأكيد وقوله ضوعف الاجر أى كرر الثواب اذ تضعيف الشئ أن يزاد عليه مثله أو أكثر وقوله عليها أى توالى الاجر وتتابع حال كونه مستوليا على حليمة فعلى على بابها من الاستعلاء المجازى أو الضمير فى عليها للمنة وتكون على تعليلية أى ضوعف الاجر لاجلها وقوله من جنسها أى حالة كونه من جنسها أى من جنس تلك المنة وهى ارضاعها له والاجر الذى توالى عليها ابن ماشيتها المذكور فى قوله سابقا فسقتها وبنيها الخ وقوله والجزاء من عطف الرديف اذ هو بمعنى الاجر وانما ضوعف عليها هذا الجزاء لان الجزاء من جنس العمل فلما سقته لبنها اسقتها وبنيها مواشيها لبنا كانت وقت اشتداد الامحال نهاية من الهزال وعدم اللبن ولاجل أن غذاءه كان من ألبانها أزال الله عنها المحل والجدب وأبدلها منهما الخصب والخير الكثير جزاء وفاقا واعلم أن ماحصل لحليمة من هذه المزية الجليلة انما نشأ من تسخير الله لها لهذا الفعل الجميل الصادر منها المسبب عن سبق سعادتها ولذا قال واذا سخر الاله الخ (قوله واذا سخر الاله) أى ذلل ووفق وقوله أناسا أى ناسا فى الناس وقوله لسعيد أى لخدمته ومحبته والقيام بشأنه كحليمة وزوجها وبنيها مرضعاته وثويبة وهن أربع أم أيمن وحليمة وثويبة جارية أبى لهب وأم أيمن وأول من أرضعه منهن ثويبة فأول ابن نزل جوفه صلى الله عليه وسلم لبنها وقوله فانهم سعداء أى بسبب ذلك جمع سعيد لان بركة ذلك السعيد تعود عليهم حتى يكونوا من سعداء الدنيا والآخرة ولان المرء مع من أحب من الأكابر وان لم يعمل بعملهم كما فى الحديث ونبه بذلك على أن الارواح جنود مجندة فما تعارف منها فى عالم الارواح ائتلف فى عالم الاجساد ومعنى قوله فما تعارف منها أى ما توافق من صفاته منها أى اذا كانت طباع الارواح متوافقة تكون عند الدخول فى عالم الاشباح مؤتلفة وأما اذا كانت غير متوافقة فتكون عند الدخول فى عالم الاشباح كذلك وما يرى فى الخارج على خلاف ذلك كمحبة صالح لطالح أو بالعكس فلابد له من جامعة بينهما بأن يكون فى الطالح المحبوب للصالح صفة جميلة موافقة لما فى الصالح أو يكون فى الصالح المحبوب للطالح صفة خبيثة موافقة لصفات الطالح الخبيثة واذا قيل ان رجلا صالحا أحب رجلا من الملحدين فلا بد من أن يكون فيه صفة موافقة لصفات الملحد فاطلعه الله على صفة خبيثة فى ذلك الملحد وهى حبه للآل البيت وكانت موافقة لحال ذلك الصالح ومن ثم تعلم ما سعدت به حليمة توفيقها بالاسلام هى وزوجها وبنوها لان رسول الله صلى الله عليه وسلم سبى هوازن الذين هم بواسطة كونهم منهم وكانت قدمت عليه فيكرمها وآواها ولذلك زادها اكرام لها الشيماء لما أعتقها من جملة من أعتق من سبيهم السبى وهذا من البديع المسمى بالكلام الجامع وهو أن يأتى الشاعر ببيت تكون جملته حكمة أو موعظة أو تنبيها أو نحو ذلك من الحقائق الجارية مجرى الامثال وهو كثير فى كلام الناظم (قوله حبة الخ) لما قرر ما حصل لها من الخصب بعد الجدب ببركة ارضاعها له صلى الله عليه وسلم ومن أنه اجر من جنس عملها بكثرة لبن شياهها عقبه بما يبين أن تلك المضاعفة فى قوله لقد ضوعف الاجر عليها بلغت مراتب كثيرة فتلك حبة أى هذه الفعلة الصادرة من حليمة كحبة الخ وليس هذا من الاستعارة بل هو من التشبيه البليغ لكن بحذف المبتدأ الذى هو المشبه وأشار الى وجه الشبه الذى هو تضاعف الجزاء بقوله أنبتت سنابل جمع سنبلة وهى مجمع الحب وهذا اقتباس من قوله تعالى كمثل حبة أنبتت سبع سنابل الآية وحذف الناظم لفظ سبع تنبيها على أن خصوص هذا العدد ليس مرادا بل المراد مطلق الكثرة وقوله والعصف الخ جملة حالية وهو ورق النبات اليابس كالتبن

وقوله لديه أي عنده وقوله يستشرف أي ينتظر ويتطلع وقوله الضعفاء أي الفقراء أي جعلت تلك المضاعفة الكثيرة في تلك السنابل والحال أن الوقت وقت عدم النبات بالكلية بحيث ان الفقراء يتطلعون الى ورق النبات فضلا عن النبات فضلا عن الحب كما ان حليمة حصل لها ذلك الخصب واللبن والحال أن قومها يتطلعون الى ورقة حبة أو قطرة لبن فلا يجدونه (قوله وأتت جده الخ) أي وبعد أن انتهت مدة رضاعه لبلوغه سنتين أتت به جده عبد المطلب وقوله وقد فصاته جملة حالية أي فطمته وقوله وبها أي والحال أنه قد لحق بها من فصاله أي فطامه أي من أجله وقوله البرحاء أي التألم الكثير لما شاهدت من توالي الخيرات وتتابع البركات بسبب رضاعه واقامته عندها (قوله اذ أحاطت به) اذ ظرفية أو تعليلية أي أتت به وقت أو لاجل أنه أحاطت أي أحدقت به ملائكة الله لاجل شق قلبه والتعبير بالجمع ظاهر على الرواية الآتية انهم ثلاثة وكذا على رواية انهم اثنان لان أقل الجمع عند جماعة وقوله فظنت أي حليمة بأنهم الباء زائدة وقوله قرناء جمع قرين أي شياطين يريدون ايذاءه فخافت عليه وأسرعت به الى جده لتسلم من علقته (قوله ورأى) أي جده حيث ردته اليه وجدها أي شدة محبتها له وتعلقها به فيه متعلق بوجدها لما فيه من معنى التعلق كما علمت فردها معها لذلك وليسلم من الوباء الذي كان بمكة وحذف هذا لكن سياقه يدل عليه وقوله ومن الوجد الخ الجملة حالية مبينة لعظمة ذلك الوجد الذي رآه بها ومن تعليلية أي ومن أجل الوجد الذي بها لهيب أي نار تصلى أي تحرق به الاحشاء جمع حشاوهو ما انطوت عليه الضلوع ويحتمل أن الجملة استئنافية وعليه فمن ابتدائية وحينئذ فهذا من ارسال المثل وهو حكمة مفيدة أن شأن الوجد أنه ينشأ عنه ذلك اللهيب الذي يحرق الاحشاء وأن وجدها من هذا القبيل فمن ثم رثى لحالها وأطفأ نار وجدها بردّه اليها (قوله فارقته) بدل من أتت وقوله كرها بالضم والفتح حال أي حال كونها ذات كراهية أو كارهة لفراقه لما شاهدت في اقامته عندها من الخيرات وقوله وكان أي والحال أنه كان لديها أي عندها وقوله ثاويا أي مقيما وقوله لايمل بالبناء للمفعول وقوله منه متعلق بقوله الثواء أي الاقامة أي لاتمل اقامته بل تحب ويرغب فيها لما يترتب عليها من الاحسان الواسع المجبولة على حبه النفوس هكذا قرر الشارح هذا المقام واعلم ان اتيانها به لجده وقع مرتين الاولى عند استكمال سنتين فقط وسببه جريها فيه على عادة المرضعات من رد الرضيع لاهله عند استكمال مدة الرضاع فلما ردته هذه المرة لجده رده وأرجعه عليها ليكون عندها لامرين الاول شفقته عليها لما رآى بها من المشقة على فراقه صلى الله عليه وسلم والثاني خوفه عليه من الوباء الذي كان بمكة اذ ذاك والمرة الثانية عند استكمال سنتين وشهرين او ثلاثة أشهر وسبب ردها له هذه المرة خوفها عليه من الجن بحسب ظنها لما احاطته الملائكة لشق صدره فردته على جده فأبقاه عنده ولم يرده عليها ففارقته كرها هذا هو الحق في تقرير المقام اذا علمت ذلك علمت ما في كلام المتن من التدافع لان قوله وقد فصلته ظاهر في الرد الاول فتدافع هذه العبارة ما بعدها من قوله اذ أحاطت به الخ ومن قوله فارقته الخ لما علمت من ان احاطة الملائكة انما هي سبب في الرد الثاني ومن ان الفراق كرها انما كان في الثاني ايضا لانها في الاول قد رجعت به فحينئذ ينبغي ان ينزل كلامه على الرد الثاني ويقدر في قوله وقد فصلته شئ يلتئم به مع ما بعده الصريح في ان الكلام في الرد الثاني والتقدير وقد فصلته اى ومضى بعد فصاله شهران او ثلاثة تأمل (قوله شق عن قلبه) لما فرغ من قصة رضاعه صلى الله عليه وسلم ذكر قصة شق صدره لانه السبب في احضاره لجده المذكور آنفا فقوله شق بدل من قوله اذ أحاطت به بدل اشتمال ويحتمل انه استئناف لبيان مطلق الشق الشامل للواقع في زمن الرضاع مما يأتي وحاصل ما وقع له من الشق اربع مرات وتكريره من خصوصياته وأما أصل الشق فوقع لكل الانبياء الاولى من الاربعة عند مضي سنتين وشهرين الثانية عند استكمال عشر سنين الثالثة عند مجيء الوحي له بالنبوة وهو في غار حراء الرابعة عند الاسراء به من مكة الى بيت المقدس هذا هو التحقيق وما قيل من ان الشق خمس مرات فضعيف لعدم ثبوت الخامسة عند المحدثين ويؤيد

وأتت جده وقد فصلته
وبها من فصاله البرحاء
اذ أحاطت به ملائكة الله
فظنت بانهم قرناء
ورأى وجدها به ومن الوجـ
ـد لهيب تصلى به الاحشاء
فارقته كرها وكان لديها
ثاويا لايمل منه الثواء
شق عن قلبه واخرج منه
مضغة عند غسله سوداء

(قوله وأتت جده الخ) قال العلامة الصاوي اى وبعد انتهاء رضاعه لبلوغه سنتين اتت به جده عبد المطلب وفي رواية اتت به امه فلعل الناظم ذكر جده لانه الاصل ولان امه لا تفعل شيأ الا بمشاورته اه

ختمته يمنى الامين وقد او
دع مالم تدع له انباء
صان اسراره الختام فلا الفض
ض ملم به ولا الافضاء
الف النسك والعبادة والخلـ
ـوة طفلا وهكذا النجباء
واذا حلت الهداية قلبا
نشطت فى العبادة الاعضاء

الاحتمال الثانى انه اى الناظم ذكر فى قصة الشق اشياء ككون الخاتم جبريل لم ترد فى قصة شقه عقب الرضاع بل فى شقه الذى بعد ذلك والقلب مضغة فى الفؤاد معلقة بالنياط وهو عرق يسمى بالوتين اذا قطع مات صاحبه سريعا فهو أخص من الفؤاد وقيل هما مترادفان وقيل الفؤاد غشاء القلب والقلب حبته وسويداؤه وفرق الزمخشرى بأن الفؤاد وسط القلب ومثل هذا القلب كمثل ريشة ملقاة بفلاة يقلبها الريح بطنا لظهر وقوله واخرج منه اى من القلب مضغة اى قطعة لحم بقدر ما يمضغ وقوله عند غسله متعلق بأخرج وانما خلقت هذه المضغة فيه ثم اخرجت لانها من جملة الاجزاء الانسانية فعدمها نقص فى البدن وجاء فى رواية انه اخرج منه علقتان سوداوان ولا ينافيه تعبير الناظم لان المراد بالعلقة فيها الجنس **(قوله ختمته)** اى ختم ذلك الشق المفهوم من شق وهذا استئناف او معطوف على شق بحذف العاطف اى ثم بعد شقه لأمته وأعادته الى ما كان عليه فالمراد بالختم هنا اعادته الى ما كان عليه بامر ارجبريل يده على محل الشق هذا هو المراد بالختم فى المرة الاولى من مرات الشق واما ما ورد فى بعض الروايات من ان جبريل ختمه بخاتم من نور يحار الناظر دونه فهو فى غير المرة الاولى وقوله الامين اى على كتب الله ووحيه وهو جبريل وقوله وقد اودع اى ذلك القلب جملة حالية اى اودع حال الشق من الايمان والحكمة والعلوم والاسرار ما اى الذى او شيأ لم تدع بضم التاء وكسر الدال المعجمة وقوله له اللام زائدة اى مالم تنشره أى مالم تحط به انباء اى اخبار لانه لا يعلمه الا الله تعالى المولى له والمتفضل به فالمراد انها لم تسعه من حيث تفصيله والاحاطة الحقيقية والا فقد اشاعته اجمالا والنبأ الخبر الصادق فهو أخص من مطلق الخبر **(قوله صان)** اى حفظ اسراره أى اسرار ذلك القلب التى اودعت فيه الختام اى الواقع من جبريل وهو كالخاتم ما يختم به الكتاب من طين ونحوه وقوله فلا الفض اى فبسبب هذه الصيانة لا الفض اى الكسر مع ابانة وقوله ملم اى واقع بذلك الختم راجع للختام وقوله ولا الافضاء اى الاشاعة واقعة بذلك السر فهو راجع للاسرار المصونة بالختم ففيه لف ونشر غير مرتب والمراد بكون الاشاعة غير واقعة بالاسرار عدم الاحاطة بها والا فبعضها قد اشيع وعن حليمة لم نزل نعرف من الله الزيادة والخير حتى مضت له سنتان وفطمته وكان يشب شبابا لا يشبه الغلمان فقدمنا به على امه ونحن أحرص شئ على بقائه عندنا وقلنا لامه لو تركتيه عندنا حتى يغلظ فانا نخشى عليه من وباء مكة فردته معنا فرجعنا به فبعد مقدمنا بشهرين او ثلاثة واذا هو مع اخيه من الرضاع خلف بيوتنا فجاء اخوه يعدو فقال ذاك اخى القرشى قد جاءه رجلان عليهما ثياب بيض فاضجعاه وشقا بطنه فخرجت انا وابوه نشتد نحوه فوجدناه قائما منتقعا لونه فاعتنقه ابوه وقال له مالك يا بنى قال جاءنى رجلان عليهما ثياب بيض فاضجعانى فشقا بطنى ثم اخرجا منه شيأ فطرحاه ثم رداه كما كان فرجعنا به معنا فقال ابوه يا حليمة لقد خشيت ان يكون ابنى هذا قد اصيب فانطلقى نرده الى اهله قبل ان يظهر به ما نتخوفه قالت فاحتملناه الى امه فقالت ما ردكما به فاصدقانى شأنكما فلم تدعنا حتى اخبرناها خبره فقالت اخشيتما عليه من الشيطان لا والله ما للشيطان عليه سبيل وانه لكائن لابنى هذا شأن عظيم فدعاه عنكما **(قوله الف النسك)** لما فرغ من ذكر رضاعه وما وقع عقبه من شق صدره ذكر حكم نشأته فى حال طفوليته وما بعدها مبينا انه ألفه الآتى نتيجتها اودعه فى قلبه من الاسرار فقال الف النسك والعبادة عطف تفسير اى اعتادهما واستمر عليهما وقوله والخلوة اى عن الناس وقوله طفلا حال أى حال كونه طفلا فما بعده كما فهم بالاولى وكان تعبده انه يخرج الى حراء شهرا فى كل عام يتنسك فيه حتى اذا انصرف من مجاورته فى حراء لم يدخل بيته حتى يطوف بالكعبة وكان يعبد الله فى حراء بالذكر والفكر وكان يكثر الخلوة فى غير حراء ايضا وقوله وهكذا النجباء اى الكرام اى ومثل هذا الشأن العلى شأن الكرام فما بالك بأكملهم وسيدهم على الاطلاق وقوله وهكذا الخ تذييل وهو تعقيب الجملة بأخرى تشتمل على معناها للتأكيد **(قوله واذا حلت الهداية)** اى وانما كان هذا شأن النجباء من الانبياء واممهم لما هو المستقر المعلوم انه اذا حلت الهداية وهى هنا بمعنى الوصول الى الحق لا الدلالة فقط وقوله نشطت فى العبادة

(قوله ختمته الخ) ولما ذكر قصة رضاعه شرع فى قصة شق صدره فقال مبدلا من قوله احاطت والصحيح ان الشق اربع مرات وقد نظمها العلامة الاجهورى بقوله
وشق صدر المصطفى وهو فى
دار بنى سعد بلا مرية
كشقه وهو ابن عشر ثم فى
ليلة المعراج ويوم البعثة
اهـ صاوى **(قوله والخلوة الخ)** قال العلامة الصاوى اى الاعتزال عن الناس فى حراء او فى غيره وكانت خلوته للانس بربه واختلفوا هل كان يتعبد بشرع من قبله أولا وعلى الاول فقيل بشرع نوح وقيل ابراهيم وقيل موسى وقيل عيسى وعلى الثانى فكانت عبادته الفكر والشهود وذرة من عمل القلوب خير من مثاقيل الجبال من عمل الابدان كما قاله سيدى أبو الحسن الشاذلى وهذا هو اللائق بجنابه الاقدس وأما قوله تعالى أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا فمعناه فى

لاعضاء

الاعضاء نشط كسيم وذلك لان القلب رئيس البدن المعول عليه فى صلاحه وفساده ومن ثم جاء فى الحديث ان فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهى القلب وهذا من الكلام الجامع الذى مرت ثمائره واعلم ان بين انتهاء رضاعه وبين مبعثه وقائع وقعت له لا بأس بالاشارة الى بعضها وذلك ان حليمة لما ردته الى امه وجده كان فى حفظ الله تعالى ينبته نباتا حسنا ويوفقه لافضل الاعمال والاحوال كما اشار اليه الناظم بقوله الف النسك الخ ولما بلغ اربع سنين وقيل ثنتى عشرة وبين ذلك اقوال اخرمات امه وكانت قد قدمت به طيبة تزور اخوال ابيه فأقامت بها شهرا ومعها ام بركة ام أيمن وتعلم العوم فى بئر بنى النجار ولما رجعت به امه ماتت بالابواء وفى رواية انها دفنت بالحجون وفى اخرى فى بعض دور مكة وحضنته بعدها ام أيمن ثم مات جده كافله وعمره ثمان سنين وقيل اقل وقيل اكثر فكفله عمه ابو طالب شقيق والده ولما بلغ ثنتى عشر سنة خرج به ابو طالب الى الشام حتى بلغ بصرى فرآه بحيرا الراهب فعرفه بصفته ثم سأل عمه ان يرده خوفا عليه من اليهود وثبت ان الغمامة ظللته فى ذلك السفر وثبت انها ظللته ايضا وهو عند حليمة فى بنى سعد ولما بلغ ثمانى عشرة سنة سافر الى الشام مرة أخرى للتجارة وكان ابو بكر معه فعرفه بحيرا ايضا ثم خرج وله خمس وعشرون سنة مرة ثالثة الى الشام فى تجارة لخديجة ومعه غلامها ميسرة وفى هذه السنة تزوجها ولما بلغ خمسا وثلاثين سنة بنت قريش الكعبة وكان ينقل الحجارة معهم ثم لما تقارب بعثه تحدث بذلك احبار اليهود ورهبان النصارى لما فى كتبهم من صفته وصفة زمانه وكهان العرب لان شياطين الجن كانت لا تحجب عن خبر السماء فتسترق السمع وتخبر الكهنة فيعلمون بعض خبر السماء فلما دنا مبعثه حجبت الشياطين عن السمع فلذا قال بعث الله الشهب الخ (قوله بعث الله) اى ارسل رسلطا وقوله عند مثلث الاول ظرف زمان او مكان كما فى القاموس والمراد هنا الزمان وقوله مبعثه اى عند بعثه وارساله اى قرب زمن بعثه الى الخلق كلهم وقوله الشهب جمع شهاب وهو شعلة نار تنفصل من الكوكب تحرق الشيطان المسترق للسمع فالكوكب نفسه لا ينفصل عن محله وقيل ينفصل ثم يرجع واذا انفصلت الشعلة تسقط على المسترقين منهم فلا تخطئ ابدا فمنهم من تقتله ومنهم من تحرق وجهه ومنهم من تخبله فيصير غولا يضل الناس فى البرارى وقوله حراسا جمع حارس على غير قياس فهو حال او مصدر اى لاجل الحراسة لشريعته التى سيأتى بها من الشياطين ان يخلطوا بها ما ليس منها وقوله الفضاء اى الخلاء والجهات والفارات الواسعة فلم يبق لهم محل يسترقون السمع منه وحاصل هذا ان الجن كانت تصعد السموات حتى السابعة فتسمع الاقضية والاحكام والمغيبات التى تكتبها الملائكة وتتكلم بها وتنزل بها الى الارض فتخبر بها الكهان وتزيد على الكلمة الحقة مائة كذبة فلما ولد عيسى منعوا من ثلاث سموات بلا شهب اى اعجزهم الله عن صعودها فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من البقية بالشهب لكن صاروا يصعدون ويصلون الى مقاعد واماكن قريبة من أبواب السماء فيستمعون منها فلما بعث زيد فى المنع والطرد والحراسة وكثرة الشهب فصاروا لا يصعدون اصلا ولا يرمى بالشهب اصلا وما يرى الآن من صورة نجم يسقط فى الجو ثم يعود فليس من هذا القبيل بل هو شئ يعلمه الله تعالى (قوله تطرد) حال من الشهب وقوله الجن هم اجسام نارية تقدر على التشكل فى الصور المختلفة بأن يعلمهم الله قولا او فعلا اذا اتوا به نقلهم من صورة الى اخرى واما تصور الجنى لنفسه فمحال وكذا يقال فى تصور الملائكة وقوله عن مقاعد اى امكنة قريبة من السماء كانوا يقعدون فيها يستمعون شيأ من الملائكة المتكلمين بما سيقع فى الارض من الاقضية والمغيبات وأصل هذا قوله تعالى قل أوحى الى انه استمع نفر من الجن الى قوله فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا فلما سمع الجن ذلك عرفوا الحق فآمنوا ثم ولوا الى قومهم منذرين قائلين ياقومنا انا سمعنا كتابا الى آخر ما قصه الله عنهم فى سورة الاحقاف وعن ابن عباس ان الشياطين كانوا لا يحجبون عن السموات وكانوا يدخلونها و يأتون بأخبارها و يلقونها على الكهنة فلما ولد عيسى منعوا من ثلاث سموات فلما ولد محمد صلى الله

بعث الله عند مبعثه الشهب حراسا وضاق عنها الفضاء

تطرد الجن عن مقاعد للسمع كما تطرد الذئاب الرعاء

التوحيد وكذلك معنى قوله تعالى فبهداهم اقتده أى فى التوحيد اه (قوله تطارد الجن الخ) قال العلامة الصاوى والجن له مراتب ستة جان فان خالط الانس قيل له عامر فان تعرض للاطفال قيل له روح فان اشتد بالاذية وكفر بالله قيل له شيطان فان زاد فيها قيل له مارد فان زاد فيها قيل له عفريت ذكره العينى فى شرح البخارى وفيهم المؤمن والكافر وأهل سنة ومعتزلة والشافعى والمالكى والحنفى والحنبلى ويموتون بحسب آجالهم المختلفة ويأكلون ويشربون ولهم القدرة على التشكلات بالصور الحسنة والقبيحة والكل اولاد ابليس وهم موجودون ومن أنكر وجودهم فهو كافر كالفلاسفة اه

عليه وسلم منعوا من السموات كلها فما منهم من احد يريد استراق السمع الا رمى بشهاب الى آخر ما تقدم وقوله كما تطرد ما موصولة او مصدرية والذئاب جمع ذئب بالهمز وقد يخفف بابداله ياء وقوله الرعاء بضم اوله وكسره والمراد رعاة الغنم هكذا اطلق الشارح وظاهره ان كلا من الضم والكسر مع الهمز وقال بعضهم اذا كسر اوله همز آخره واذا ضم اوله أنث بالتاء فى آخره (قوله فمحت) اى فبسبب ذلك الطرد البالغ المعن عن خبر السماء محت وازالت وقوله آية الكهانة مفعول مقدم وقوله آيات من الوحى فاعل والكهانة بالفتح مصدر كهن بضم الهاء اذا صار كاهنا اى مخبرا بالامور الخفية والمغيبات البعيدة فالكاهن هو المخبر بالمغيبات كعلماء اليهود ورهبان النصارى وهذه الكهانة كانت فى العرب وكان سببها ما تلقيه الشياطين اليهم من أخبار السماء الصادقة التى يسترقونها قبل حجبهم ومنعهم مما يضمونه اليها من الكذب وقوله من الوحى اى سالة كون الآيات من جملة الوحى اى الموحى به وهو اقسام تارة يكون بالكتابة كما فى التوراة وغيرها من الكتب القديمة وتارة بالالهام وتارة بالكلام الخفى وهذا فى مطلق الوحى واما الوحى له عليه الصلاة والسلام فاقسامه الرؤيا الصادقة وما يلقيه الملك فى روعه بضم الراء أى فى قلبه من غير ان يراه ومنها تمثل الملك له رجلا يخاطبه ومنها رؤيته على صورته الاصلية ومنها سماع صوته مثل صلصلة الجرس الى غير ذلك وتصوره المذكور على صورة رجل مع ان صورته الاصلية كبيرة جدا غير بعيد لان الاجسام النورانية تقبل الانضمام كما ان القطن يقبل الانكباس وهذا أولى من قول بعضهم ان صورة الملك الاصلية باقية بحالها وصورة الرجل صورة أخرى له وروحه متعلقة بهما كما فى الابدال الذين تتعدد صورهم وروحهم واحدة والتكليف حينئذ مناط بأى صورة أرادها الانسان قال عليه الصلاة والسلام الابدال فى هذه الامة ثلاثون رجلا قلوبهم على قلب ابراهيم خليل الرحمن كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلا اه وورد أنهم بالشام وورد أنهم أربعون رجلا وأربعون امرأة وجمع بان الحديث الذى فيه أنهم ثلاثون أى ممن كانت قلوبهم على قلب ابراهيم الخليل كما ذكر فيه فالعشرة الزائدة مع الاربعين امرأة قلوبهم على قلب غيره من الانبياء ومعنى كونهم على قلب ابراهيم أنهم يتقلبون فى المعارف الالهية التى بقلبه اذ واردات العلوم الالهية انما ترد على القلوب فكل علم يرد على قلب كبير من ملك أو رسول يرد على هذه القلوب التى هى على قلبه وربما يقولون فلان على قدم فلان ومعناه ما ذكر وانما سموا ابدالا لان كل من مات منهم أبدل الله مكانه غيره روى الحكيم الترمذى ان الارض شكت الى ربها انقطاع النبوة فقال تعالى سوف أجعل على ظهرك أربعين صديقا كلما مات منهم رجل أبدلت مكانه رجلا ومن علامة البدل أنه لا يولد له واذا رحل البدل عن موضعه جعل موضعه حقيقة روحانية فاذا جاءه واضعه أحد تجسمت له تلك الحقيقة الروحانية التى تركها بدله تكلمه ويكلمها وهو غائب عنهم انتهى (قوله ورأته) أى علمته بمعنى عرفته أو أبصرته وكان الاولى تقديم هذه القصة على قصة ارسال الشهب ليوافق الواقع لان قصة تزوجها كانت فى خمس وعشرين سنة وارسال الشهب عند المبعث كان على رأس الاربعين وقوله خديجة بالتنوين بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى فتلتقى مع النبى صلى الله عليه وسلم فى قصى وهو رابع أب لها وخامس له وكانت ذات شرف ظاهر ومال وافر وحسب فاخر وهى أفضل نسائه على التحقيق وقوله والتقى الواو للعطف وهو البراءة من كل شئ سوى الله تعالى وهذا غايته ومبدؤه اتقاء الشرك وأوسطه اتقاء المحارم وكذا يقال فى التقوى وقوله والزهد هو الاقتصار على قدر الكفاية مما يتيقن حله وترك الزائد على ذلك لله تعالى وقوله فيه أى كل منهما وقوله سجية بالسين المهملة أى خلق غريزى وملكة نفسانية تحمل صاحبها على كل جميل والاختلاف فى كون حسن الخلق غريزة او مكتسبا محله فى غيره صلى الله عليه وسلم وقوله والحياء اى سجية فيه أيضا وهو بالمد تغير وانكسار يعترى الانسان من خوف ما يعاب به مأخوذ من الحياة ولذا سمى المطر حيا ايضا لكنه مقصور وقال بعضهم الحياء شرعا خلق يبعث على اجتناب القبيح ويمنع من التقصير فى حق

فمحت آية الكهانة آيات من الوحى ما لهن انمحاء
ورأته خديجة والتقى والز هد فيه سجية والحياء

(قوله فمحت آية الكهانة الخ) قال العلامة الصاوى الكهانة مصدر كهن بضم الهاء اذا صار كاهنا اى مخبرا بالامور الخفية والمغيبات البعيدة والفرق بين الكاهن والعراف ان الكاهن يخبر عن المغيبات المستقبلة كأن يقول اذا طلع النجم الفلانى حصل كذا مثلا والعراف يخبر عن الامور الماضية كان يخبر بمحل المال المدفون أو الضائع بقواعد عنده اه

وأتاها ان الغمامة والسر
ح أظلته منهما افياء
واحاديث ان وعد رسول الله
بالبعث حان منه الوفاء
فدعته الى الزواج وما احـ
سن ما يبلغ المنى الاذكياء
وأتاه فى بيتها جبرئيل
ولذى اللب فى الامور ارتياء

ذى الحق ويطلق الحياء بالمد على فرج ذى الظالف والخف (قوله وأتاها ان الغمامة الخ) أى اخبرها بذلك ميسرة عبدها حين رجوعه من الشام مع النبى صلى الله عليه وسلم فى عام زواجها والغمامة سحابة كان طولها عشرة اذرع وعرضها كذلك وارتفاعها عن رأسه كذلك وتظليلها له كان قبل البعثة تأسيسا لنبوته وأما بعدها فلم تظله وثبت تظليلها له فى صغره فرأتها أمه وأخوه من الرضاع وفى سفره الى الشام رآها من كان معه ورآها بحيرا الراهب ونسطور بل ورأتها خديجة حين اقباله على مكة وهو راجع من سفره وقوله والسرح جمع سرحة كتمر وتمرة والمراد به الشجر وثبت تظليلها له فى سفره الى الشام حين وصلوا الى بحيرا وجلسوا تحت ظل شجرة ولم يبق منه موضع خال وهو صلى الله عليه وسلم يرعى الابل فأمرهم بحيرا أن يدعوه فدعوه فجاء فجلس فى الشمس فمالت الشجرة وانحنت اغصانها عليه فظللته وهم ينظرون وقوله افياء جمع فىء وهو ما نسخ الشمس فهو ما بعد الزوال بخلاف الظل فانه ما نسخته الشمس فهو ما قبل الزوال (قوله وأحاديث) اى واتاها ايضا احاديث اى اخبار اخبرتها بها الاحبار والرهبان والكهان لكن الاحبار والرهبان أخذوا ذلك من كتبهم والكهان أخذوه من الشياطين المسترقين للسمع وقوله ان وعد أى بأن وعد وهو مصدر مضاف لمفعوله اى بان وعد رسوله والوعد عند الاطلاق لا يستعمل الا فى الخير وقوله بالبعث أى الارسال وقوله حان اى قرب وقوله منه متعلق بحان لانه بمعنى قرب كما امت وقوله الوفاء أى بذلك الوعد فصلته محذوفة (قوله فدعته) أى فبسبب ما رأته منه وما بلغها عنه مما يحمل من له عقل على خدمته والتعلق به وقوله دعته أى خطبته وعرضت نفسها عليه فقالت يا ابن عمى انى قد رغبت فى نكاحك لما رأيته وعرفته منك وسنها اذ ذاك أربعون سنة وسنه خمس وعشرون سنة وتزوجت قبله برجلين تزوجت أولا عتيقا المخزومى وولدت منه ذكرا وأنثى ثم تزوجت هندا أبا هالة فولدت منه ذكرين هندا وهالة ثم ولدت من النبى سبعة ثلاثة ذكور وأربع اناث وقوله وما أحسن صيغة تعجب وقوله ما يبلغ ما مصدرية فتؤول مع ما بعدها بمصدر وقوله المنى جمع منية كمدية ومدى وهى الامانى جمع امنية وهى ما يتمناه الانسان وقوله الاذكياء جمع ذكى والذكاء بالمد حدة القلب ومزيد تيقظه أى شىء عظيم حسن بلوغ الاذكياء كل ما يتمنونه ومن أكملهم خديجة فانها ادركت بقوة ذكائها وتفرسها فيه صلى الله عليه وسلم منه وبه كل ما تمنته وأملته مالم تبلغه امرأة غيرها من هذه الامة ولما عرضت نفسها عليه ذكر ذلك لاعمامه فخرج معه منهم حمزة حتى دخل على ابيها خويلد فخطبها اليه فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصدقها عشرين ناقة وحضر أبو بكر ورؤساء قريش فخطب أبو طالب فقال الحمد لله الذى جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسمعيل وضئضئ معد وعنصر مضر وجعلنا حضنة بيته وسواس حرمه وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما آمنا وجعلنا الحكام على الناس ثم ان ابن أخى هذا محمد بن عبد الله لا يوزن برجل الا رجح به فان كان فى المال قل فان المال ظل زائل وأمر حائل ومحمد ممن قد عرفتم قرابته وقد خطب خديجة بنت خويلد وبذل لها من الصداق ما آجله وعاجله من مالى كذا وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل فزوجها أبوها منه اه وقوله وضئضئ بمعجمتين أو مهملتين معناه الاصل وقوله حضنة بيته أى الكافلين له وقوله وسواس حرمه اى حراسه المتولين لامره (قوله وأتاه) أى ومما يدل على عظيم ذكائها وفرط معرفتها أنه أتاه بعد النبوة والرسالة فى بيتها وقوله جبرئيل كعندليب لغة فى جبريل ليلقى اليه الوحى وكان عندها من الايمان به علم اليقين فاحبت ان تنتقل منه الى عين اليقين وعلم اليقين هو العلم الحاصل من الدليل النقلى وعين اليقين هو العلم الحاصل بالمشاهدة وحق اليقين هو فناء صفات العبد فى صفات الرب وبقاؤه به علما وشهودا وحالا لا علما فقط فالذى يفنى انما هو صفات العبد لا ذاته هذا هو التحقيق خلافا لمن غلط فيه وقوله ولذى اللب أى ولصاحب اللب أى العقل الكامل وخديجة من اكمل العقلاء وقوله فى الامور اى الاحوال التى تشتبه وقوله ارتياء أى استبصار من ارتأيته أى نظرته بالعين او القلب كما فى القاموس (قوله

(قوله وما احسن ما يبلغ الخ) قال العلامة الصاوى وفى كلام الناظم من المحسنات ارسال المثل وهو ان يذكر الشاعر فى بعض بيت ما يجرى مجرى المثل السارى من حكمة اوغيرها اه

فأماطت عنها الخمار لتدري ... أهو الوحي أم هو الاغماء

فاختفى عند كشفها الرأس جبري ... ل فما عاد أو أعيد الغطاء

فاستبانت خديجة انه الكنـ ... ـز الذى حاولته والكيمياء

ثم قام النبي يدعو الى الله ... وفي الكفر نجدة واباء

أمما أشربت قلوبهم الكفـ ... ـر فداء الضلال فيهم عياء

(قوله فأماطت) أى فبسبب تلك الحبة أى محبة انتقالها من علم اليقين الى عين اليقين مع ما عندها من كمال العقل أماطت أى أزالت عنها أى عن رأسها الخمار وهو ما يخمر أى يغطى به الرأس لتدرى أى لكى تعلم عين اليقين أهو أى الذى عرض له حتى أخرجه عن حالته المعروفة منه وقوله الوحى أى حامله الذى يأتى به وقوله الاغماء أى الذى هو بعض الامراض البشرية العادية ومن ثم جاز على الانبياء دون الجنون (قوله فاختفى) أى فبسبب ازالتها الخمار عن رأسها اختفى عند كشفها الرأس مفعول كشف المضاف لفاعله وقوله أو أعيد الغطاء أى الى أن أعادت غطاء رأسها فاعيد فعل ماض مبنى للمفعول والغطاء نائب الفاعل وانما اختفى عند كشف رأسها لانه لا يدخل فى مكان فيه امرأة مكشوفة الرأس وروى أصحاب السير أنه لما أخبر خديجة بالوحى الذى يأتيه قالت له أتستطيع أن تخبرنى بهذا الذى يأتيك اذا جاءك قال نعم فلما جاءه جبريل أخبرها به فقالت له اجلس على فخذى الايسر ففعل فقالت له أتراه قال نعم فقالت فعلى الايمن ففعل فقالت أتراه قال نعم فقالت فاجلس فى حجرى ففعل فقالت أتراه قال نعم فألقت خمارها ثم قالت أتراه قال لا قالت اثبت وأبشر فوالله انه لملك وما هو شيطان (قوله فاستبانت خديجة) بالصرف للضرورة والفاء للسببية أى فبسبب ما ترتب على اختبارها ظهر لها أتم الظهور وعلمت عين اليقين انه أى النبى صلى الله عليه وسلم الكنز أى الشئ النفيس بل الذى لا أنفس منه وقوله حاولته أى أرادت حيازته والظفر به وحازته وظفرت به بالفعل وقوله والكيمياء يطلق الكيمياء على الاكسير المعلوم وعلى العلم البديع الذى يقلب الاعيان الرديئة الى الاعيان النفيسة واقتصر فى القاموس على أنها الاكسير ولم يذكر اطلاقها على العلم المعروف والكلام من قبيل التشبيه البليغ أى انه كالكنز وكالكيمياء لانه بهما تحصل الذخائر النفيسة المنتفع بها حالا ومآلا كما أن النبى كذلك ويصح أن يكون الكلام من قبيل الاستعارة فاستعيرا لكنز وهو المال المدفون والكيمياء وهو الاكسير المعروف للنبى لانه بهما تحصل الذخائر الى آخر ما تقدم ويصح أن يكون الضمير فى أنه لما يعرض للنبى صلى الله عليه وسلم وهو الوحى والكلام من قبيل التشبيه أو الاستعارة كما تقدم (قوله ثم قام النبى) أى ثم بعد ما نبئ على رأس الاربعين بقوله تعالى اقرأ باسم ربك الآيات الخمس وفتر عنه الوحى ثلاث سنين ونزل قوله تعالى يا أيها المدثر قم فأنذر بادر الى امتثال ذلك فحينئذ قام أى جد واجتهد وقوله يدعو حال وقوله الى الله أى لعبادته والايمان به وبرسله وترك ما هم عليه من عبادة الاصنام فأول ما وجب عليه الانذار والدعاء الى التوحيد ثم فرض عليه قيام الليل قال فى فتح البارى كان صلى الله عليه وسلم قبل الاسراء يصلى قطعا لكن اختلف هل فرض عليه قبل الخمس صلاة أم لا فقيل فرض صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها وثبت أن جبريل نزل عليه فى أول البعثة وهو فى بطحاء مكة فضرب الارض برجله فنبعت عين ماء فغسل فرجه ونضح على ازاره مما يلى فرجه ثم توضأ ثم أمره أن يفعل مثل فعله ثم صلى وأمره أن يصلى معه فعلمه الوضوء والصلاة ورجع النبى صلى الله عليه وسلم لا يمر بحجر ولا شجر ولا مدر الا وهو يقول السلام عليك يا رسول الله حتى أتى خديجة فأخبرها ثم أمرها فتوضأت وصلى بها كما صلى به جبريل فكان ذلك أول فرضها وذكر السيوطى فى الاتقان أنه لم يحفظ صلاة فى الاسلام بغير الفاتحة وهذا يدل على ان الفاتحة من أول ما نزل وقوله وفى الكفر أى فى أهله نجدة بكسر النون أى قوة تامة وتحزب عليه وقوله واباء أى امتناع عن اتباعه والايمان به (قوله أمما) مفعول يدعو أى جماعات وقوله أشربت قلوبهم الكفر بالبناء للمفعول أى اختلطت به بتقدير تجسمه وتمكن فيها حبه حتى صارت لا تقبل غيره وفى الكلام استعارة اما تبعية فى الفعل بأن شبه مخالطة الكفر لقلوبهم وشدة امتزاجه بها باشراب الماء ونحوه واستعير الاشراب للمخالطة واشتق منه أشربت أو مكنية فى الكفر بأن شبه بمشروب كالماء بجامع قوة السريان وأشربت تخييل وقوله فداء الضلال أى مرضه أو الاضافة بيانية وقوله فيهم صفة أى الذى استقر فيهم أى فالداء الذى استقر فيهم وهو الكفر عياء بمهملة مفتوحة فتحتية

(قوله فاستبانت الخ) أى فبسبب ما ذكر انكشف لها وعلمت عين يقين أن ذلك هو جبريل عليه السلام لانها تعلم أنه لا يأتى محلا فيه امرأة مكشوفة الرأس اه صاوى (قوله يدعو الى الله) قال العلامة الصاوى أى ثم بعد تقرر النبوة ونزول قوله تعالى يا أيها المدثر قم فأنذر الى قوله والرجز قام النبى صلى الله عليه وسلم امتثالا لما أمر به يدعو الناس الى عبادة الله وتوحيده وترك عبادة الاصنام والحال أن فى هل الكفر نجدة أى قوة تامة وتعصبا عليه صلى الله عليه وسلم واباء أى امتناعا من اتباعه ومع ذلك كان لا يخاف فى الله لومة لائم فاستمر على دعائهم وهو على تلك الحالة فأول من أسلم من النساء خديجة ومن الرجال الاحرار أبو بكر الصديق وقيل ورقة ابن نوفل ابن عم خديجة

أى

أي داء عضال لا يرجى برؤه أعيا الاطباء مداواته ولما قام يدعو الى الله دخل فى الاسلام رجال ونساء وأولهم على الاطلاق خديجة من النساء ثم أبو بكر من الرجال ثم علي من الصبيان ثم زيد من الموالى ثم بلال من الارقاء وكان مخفيا أمره ثم أمره الله باظهاره بقوله فاصدع بما تؤمر بعد ثلاث سنين من الرسالة وتحزب عليه قومه سنة أربع فأجمعوا على عداوته الا من عصمه الله بالاسلام أو صدق المحبة كأبي طالب فانه تصدّى لمنعهم عنه وفي سنة خمس أذن لاصحابه في الهجرة الى الحبشة فكان أولهم عثمان مع زوجته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أسلم حمزة في سنة ست فعز به وكفت عنه قريش قليلا ثم أسلم عمر بعده بثلاثة أيام فعز به كثيرا (قوله ورأينا) أي معشر أمة الاجابة وهي عامية عرفانية في حق الصحابة وغيرهم ويصح أن تكون بصرية في الكل لكن في الصحابة ظاهر وفيمن بعدهم بالنسبة الى نقوش القرآن يصح أن تكون مستعملة في المعنيين فتكون بصرية بالنسبة للصحابة وعلمية عرفانية بالنسبة لمن بعدهم وقوله آياته أي معجزاته وقوله فاهتدينا أي وصلنا الى المطلوب بمنا من كمال الايمان وقوله واذا الحق جاء أي تقرر وثبت وقوله زال المراء أي العناد والجدال وهذا تلميح لقوله تعالى وقل جاء الحق وزهق الباطل (قوله رب) أي يارب ان الهدى أي اتباع الحق هداك أي ليس الا بتوفيقك وهداية تلك كما قلت فمن يرد الله أن يهديه الآية وقوله وآياتك معطوف على اسم ان أي وان آياتك أو مرفوع أي وآياتك التي أقمتها دالة على صدق أنبيائك نور كما قلت قد جاءكم من الله نور وقوله من تشاء أي من تشاء هدايته أي وتضل عنها من تشاء غوايته فهذا اشارة الى أن الآيات لا تنفع مع سبق الشقاوة (قوله كم رأينا الخ) لما قرر أن الهدى هدى الله وأن الآيات وحدها لا تغني شيأ ذكر ما يستغرب من ذلك ويقربه وهو أن غير العاقل قد يلهم كثيرا مما يحرمه العاقل فقال كم رأينا كم خبرية ويجوز حذف مميزها كما فعل الناظم أي كم مرة أي مرارا كثيرة فان ذكر المميز جر باضافتها اليه عند البصريين وجوز بنو تميم نصبه وافراده أكثر وأفصح من جمعه وقوله رأينا أي علمنا وأبصرنا نظير ما مر وقوله ماليس يعقل أي شخصا ليس يعقل أصلا كالفيل وبعض الاحجار وقوله قد ألهم هذه الجملة في محل نصب ثاني مفعولي رأى وقوله ماليس يلهم أي أشياء كثيرة حرمها العقلاء (قوله اذ أبى الفيل) علة لرأى أي امتنع الفيل أن يفعل ما أتى أي عزم عليه صاحب الفيل وهو أبرهة ملك صنعاء وكان من عمال النجاشي ملك الحبشة ومن أمرائه وقد قيل انه جد النجاشي الذي كان في عهد النبي صلى الله عليه وسلم والذي أتاه وعزم عليه صاحب الفيل هو هدم الكعبة وقوله ولم ينفع الحجا بالقصر أي العقل الوافر ولا الذكاء الاذان اتصف بهما فلم يوفق لما وفق له الفيل وعلم ان الهداية ليست الا بتوفيق الله تعالى وسبب هذا أن أبرهة ملك اليمن من قبل أصحمة النجاشي ومن عماله وجنده بنى كنيسة بصنعاء وجعل ينقل اليها من قصر بلقيس رخاما وأحجارا وأمتعة عظيمة وركب فيها صلبانا من ذهب وفضة وجعل فيها منابر من عاج وآبنوس وجعل ارتفاعها عظيما جدا واتساعها باهرا واستذل أهل اليمن في بنائها فكان من تأخر منهم عن العمل حتى تطلع الشمس قطع يده وكتب الى النجاشي ملك الحبشة اني قد بنيت لك كنيسة وأريد أن أصرف حج العرب اليها فجاء رجل من بني كنانة فتغوط فيها ولطخ قبلتها بالعائط فغضب أبرهة وحلف ليسيرن الى كعبة العرب ويهدمها فأمر الحبشة فتهيأت ثم سار ومعه الفيلة وعظيمها يسمى محمودا وكان أبيض وهو الذي أبى وامتنع من السير الى تخريب الكعبة وهو المراد في القرآن وفي النظم فخرج عليه في الطريق ملوك من اليمن يمنعونه فهزمهم وأسرهم وسار الى أن نزل عند عرفة فلم يدخل الحرم على الراجح وقيل دخله ونزل عليهم العذاب في وادي محسر وهو بين منى والمزدلفة فبلغ ذلك عبد المطلب وكان النبي صلى الله عليه وسلم حملا في بطن أمه فقال يامعشر قريش لا يصل هذا الهدم البيت ان له ربا يحميه ثم وقع بينه وبينهم وقائع كثيرة ثم وجه أبرهة الفيل لجهة الكعبة فبرك لان في الفيلة نوعا يبرك كالبعير فضربوه كثيرا وكانوا اذا وجهوه الى الكعبة برك واذا وجهوه لغيرها أسرع وهرول ثم أرسل الله عليهم طيرا

ورأينا آياته فاهتدينا
واذا الحق جاء زال المراء
رب ان الهدى هداك وآيا
تك نور تهدي بها من تشاء
كم رأينا ماليس يعقل قد أُ
لهم ماليس يلهم العقلاء
اذ أبى الفيل ما أتى صاحب الفيـ
ـل ولم ينفع الحجا والذكاء

ومن الصبيان علي بن أبي طالب ومن الموالي زيد بن حارثة ومن الارقاء بلال المؤذن اهـ

(قوله كم رأينا الخ) قال العلامة الصاوي أي عرفنا معشر أمة الاجابة الصحابة فمن بعدهم لكن بطريق الابصار من الصحابة وطرق النقل لمن بعدهم اهـ

أبابيل اى جماعات كأمثال الخطاطيف خرجت من البحر مع كل طائر منها ثلاثة أحجار حجر في منقاره وحجران بين رجليه كأمثال العدس وكان يرمي الواحد على الرجل منهم فيسقط على رأسه ويخرج من دبره فيموت لوقته ففر بجواهاربين يتساقطون بكل طريق وأصيب أبرهة في جسده بداء فتساقطت منه أعضاؤه وبلي حتى وصل الى صنعاء وسال منه الصديد والقيح والدمومات وكانت هذه القصة ارهاصا وتأسيسا لنبوته عليه السلام ولما هلك أبرهة وتمزقت الحبشة بقيت تلك الكنيسة خربة وسكنها الجن فكان كل من تعرض لاخذ شيء من بنائها وأمتعتها أصابته الجن بسوء لانه كان بناها على اسم صنمين واستمرت هكذا الى زمن السفاح أول خلفاء بني العباس فبعث اليها جماعة من أهل الحزم والعزم والعلم فنقضوها حجرا حجرا واندرست فلله الحمد والمنة (قوله والجمادات) لما ذكر ما يتعلق بالهام الحيوان بذكر قصة الفيل ذكر ما يتعلق بالهام الجمادات فقال والجمادات وهي ما لا روح له أفصحت أى أظهرت ونطقت بكلام بين فصيح قيل يخلقه الله فيها حينئذ من غير حياة وان من شيء الا يسبح بحمده وقيل بل يخلق فيها حياة ولسانا وادراكا فتنطق مختارة عارفة بما تنطق به ويدل لهذا ما يأتي في حنين الجذع وأنينه فان ذلك يدل على أن الله خلق فيه الحياة والعقل والشوق حتى حن ولذا عامله صلى الله عليه وسلم معاملة الحي فضمه الى صدره حتى سكن وقوله بالذى أى بالشهادة بالانبياء والارسال والتسبيح الذى أخرس عنه الفصحاء وقوله لا حد متعلق بأفصحت أى أن العرب قريشا وغيرهم مع كونهم أرباب الفصاحة امتنعت ألسنتهم من النطق بالايمان به بارساله اليهم وشهد له بذلك الجمادات الصم بأفصح لسان وأبلغ بيان فمن ذلك تسبيح الحصى في يده ثم في يد أبي بكر ثم في يد عمر يسمع تسبيحه كل من كان في المجلس وصح أيضا انى لاعرف حجرا بمكة كان يسلم على قبل أن أبعث انى أعرفه الآن وهو الموجود الآن في زقاق الحجر عند بيت خديجة وصح عن على كنت أمشي مع النبي صلى الله عليه وسلم بمكة فخرجنا في بعض نواحيها فما استقبلنا حجر ولا شجر الا قال السلام عليك يارسول الله صلى الله عليه وسلم وروى أبونعيم لما استقبلني جبريل بالرسالة جعلت لا أمر بحجر ولا شجر الا قال السلام عليك يارسول الله وصح أنه طلب من رجل الايمان فقال له هل من شاهد فقال هذه الشجرة فدعاها فأقبلت تخد الارض خدا أى تشقها شقا فقامت بين يديه فاستشهدها فشهدت ثلاث مرات ثم رجعت الى منبتها ومعجزاته من هذا القبيل كثيرة (قوله وويح قوم) منصوب بفعل محذوف على أنه مفعول مطلق تقديره ألزمهم الله هلاكا كأنه يعناها الهلاك وهي في الاصل كلمة ترحم تقال لمن وقع في مهلكة لا يستحقها وهؤلاء الجائرون له والجافون له وقعوا في مهلكة وهي العذاب الدائم أى في سببها وهو جفاؤهم للنبي صلى الله عليه وسلم والترحم من حيث النظر الى قرابتهم له فهم لا يستحقون الهلاك من تلك الحيثية والترحم باعتبارها وقوله جفوا نبيا أى أبعدوه وآذوه الاذى البالغ بل قصدوا قتله خذلهم الله منهم وقوله ضبابها جمع ضب وحديثه مشهور على الالسنة لكنه غريب ضعيف بل قال بعضهم لا يصح اسنادا ولا متنا وهو أن أعرابيا اصطاد ضبا فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم طرحه بين يديه وقال لا أؤمن بك حتى يؤمن بك هذا الضب فقال يا ضب قال لبيك وسعديك قال من تعبد قال الذى في السماء عرشه وكلمات أخر قال من أنا قال أنت رسول رب العالمين فأسلم الاعرابي وقوله والظباء جمع ظبي روى حديثه البيهقي وأبونعيم والطبراني قال الحافظ ابن كثير لا أصل له ومن نسبه الى النبي صلى الله عليه وسلم فقد كذب وهو بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في صحراء اذ هتف هاتف وقال يارسول الله ثلاث مرات فالتفت فاذا ظبية مشدودة في وثاق وأعرابي نائم عندها فقال ما حاجتك فقالت صادني هذا الاعرابي ولي في هذا الجبل ولدان فاطلقني أذهب فأرضعهما وأرجع قال وتفعلين قالت عذبني الله عذاب العشار أى المكاس ان لم أفعل فاطلقها فذهبت ورجعت فأوثقها فانتبه الاعرابي فقال يارسول الله ألك حاجة قال نعم تطلق هذه الظبية فاطلقها فخرجت تعدو في الصحراء وتقول أشهد أن لا اله الا الله

والجمادات أفصحت بالذى
أخرس عنه لاحمد الفصحاء
وويح قوم جفوا نبيا بارض
ألفته ضبابها والظباء

(قوله والظباء الخ) روى حديثه من طرق كثيرة ابو نعيم والطبراني وساق الحافظ المنذرى حديثه في الترغيب والترهيب لكن ضعفه الائمة بل قال الحافظ ابن كثير لا اصل له ومن نسبه الى النبي صلى الله عليه وسلم فقد كذب ورد بانه ورد في الجملة في عدة احاديث يتقوى بعضها ببعض بل بالغ بعض المحققين فزعم انه حديث صحيح اهـ ابن حجر

وأنه رسول الله ولم يرد المصنف الحصر فى هذين بل صح أن الحمار كلمه وكذلك الذئب ألفه وأخبر بنبوته فقد ورد أنه أخذ شاة فانتزعها الراعى منه فقال ألا تتقى الله تنزع منى رزقا رزقه الله الى فتعجب الراعى من كلامه فقال له الذئب ألا أخبرك بأعجب من ذلك محمد بيثرب يخبر الناس بأخبار ما قد سبق وما هو آت فأتى الراعى النبى فأخبره بذلك فجاء الذئب فقال صلى الله عليه وسلم هذا وافد الذئاب جاء يسألكم أن تجعلوا له شيأ من أموالكم قالوا والله لا نفعل وأخذ رجل من القوم حجرا فرماه به فأدبر وله عواء وفى رواية ان الذئب قال للراعى أنت أعجب فقال له لم فقال لان النبى بعث بيثرب وأنت مع غنمك تاركه و بينك و بينه هذا الجبل فقال للذئب اذا مضيت اليه فمن يحرس غنمى قال الذئب أنا أحرسها لك فذهب والذئب يحرسها الى أن وصل اليه صلى الله عليه وسلم فأسلم ورجع فوجدها كما هى والذئب يحرسها فذبح له شاة منها وأطعمها له وثبت أيضا أن الجمل كلمه وذلك أن جماعة من الانصار شكوا اليه جملهم وانه امتنع من العمل حتى عطشت النخل والزرع فقال لاصحابه قوموا فقاموا ودخل الحائط فمشى اليه فقالوا يا رسول الله انه صار كالكلب فقال انه ليس على منه بأس فأقبل نحوه الجمل حتى خر ساجدا بين يديه فأخذ بناصيته حتى أدخله فى العمل (قوله وسلوه) أى نفرت قلوبهم عنه حتى هجروه مع نشأته فيهم وعلمهم بغاية نزاهته ونهاية كماله وقوله وحن جذع اليه الجملة حالية وقد جاء حديثه من طرق كثيرة وحاصل قصته أنه قبل ان النبى صلى الله عليه وسلم قبل أن يعمل له المنبر كان يخطب وهو واقف على الارض مستند الى جذع نخلة وكان عمودا من عمدان المسجد اذ كانت عمدانه خشب نخل كسقفه فلما صنع له المنبر ثلاث درجات وضعه موضع المنبر الذى بمسجده الآن ثم جاء يوم الجمعة فوقف على المنبر فصاح الجذع حتى سمعه كل من فى المسجد حتى ارتج المسجد من صياحه وحتى تصدع أى الجذع وانشق فنزل صلى الله عليه وسلم وضمه اليه حتى سكن وقال والذى نفسى بيده لو لم ألتزمه لم يزل يصوت هكذا الى يوم القيامة وخيره بين أن يعيده الى مغرسه فيثمر كما كان و بين أن يغرسه فى الجنة يأكل أهلها من ثمره فقال أختار دار البقاء على دار الفناء وأمر به فدفن وقد احترق فى حريق المسجد الذى وقع فى القرن السادس وقوله وقلوه أى أبغضوه وودّه أى والحال أنه قد ودّه أى أحبه الغرباء الذين ليسوا من عشيرته ولا عرفوا ما عرفته قريش من كماله الاعظم وهؤلاء الغرباء كالانصار الاوس والخزرج وذلك أنه صلى الله عليه وسلم من حين أرسل مكث عشر سنين يخرج فى كل موسم لعرفة وغيرها يعرض نفسه على قبائل العرب و يقول من يحمى ظهرى حتى أبلغ رسالة ربى فلم يجبه أحد من العرب خوفا من قريش فقبل الهجرة بثلاث سنين لقى فى منى بعض الخزرج عند العقبة التى هى بجنب منى فقال من أنتم قالوا من الخزرج قال أفلا تجلسون أكلمكم فجلسوا فدعاهم الى الاسلام وتلا عليهم القرآن وكان عندهم علم منه فعرفوا نعته لان يهود المدينة كانوا يقولون لهم ان نبيا يبعث الآن نتبعه ونقتلكم معه فأجابوه لئلا تسبقهم اليهود اليه وأسلم منهم ستة فقال لهم تمنعون ظهرى حتى أبلغ رسالة ربى فقالوا ندعو قومنا الى ما دعوتنا اليه فان أجابوا فلا أحد أعز منك وموعدك الموسم فى العام القابل وأمرهم بالكتمان عن أهل مكة فلما وصلوا المدينة لم يبق فيها دار الا وفيها ذكره ثم فى العام الثانى لقيه اثنا عشر خمسة من الستة الاول والبقية من الخزرج أيضا الا رجلين من الاوس وهذه هى العقبة الثانية فأسلموا وقبلوا ما اشترطه عليهم ثم رجعوا وأظهر الله الاسلام فيهم وكان أسعد بن زرارة يجمع بالمدينة من أسلم ثم أرسلوا يطلبون من يعلمهم القرآن فأرسل اليهم مصعب بن عمير فأسلم على يده جمع كثير منهم سيد الاوس سعد بن معاذ وأسيد بن حضير وأسلم بنو عبد الاشهل كلهم فى يوم واحد رجالا ونساء ثم قدم فى العام الثالث فى موسم منى نحو سبعين رجلا وهى العقبة الثالثة فبايعهم على أنهم يمنعونه مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم وعلى حرب الاحمر والاسود وحضر العباس هذه الثالثة وأكد عليهم صدق الحديث ثم أمر صلى الله عليه وسلم من بقى معه فى مكة بالهجرة الى المدينة فخرجوا أرسالا وأقام ينتظر الاذن فى الهجرة واستأذنه أبو بكر

وسلوه وحن جذع اليه
وقلوه وودّه الغرباء

حاصل مسئلة حنين الجذع انه عليه الصلاة والسلام كان يخطب مستندا الى جذع نخل فلما صنع له المنبر ثلاث درجات وضعه موضعه ثم تخطى الجذع يوم الجمعة ليخطب على المنبر فصاح الجذع حتى سمعه جميع من فى المسجد وفى رواية انه خار كخوار الثور حتى ارتج المسجد لخواره وفى رواية حتى تصدع وانشق وفى رواية جعل يئن كأنين الصبى فنزل اليه صلى الله عليه وسلم وضمه اليه رحمة له اهـ ابن حجر

فقال لا تفعل لعل الله أن يجعل لك صاحبا فطمع أبو بكر فى أن يصاحبه فاجتمعت قريش على تدبير أمر يضرونه به كما فى قوله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا الآية فأتاه جبريل فقال له لا تبت فى هذه الليلة على فراشك فاجتمعوا فى الليل ببابه يرصدونه لينام فيثبوا عليه فخرج عليهم فأعماهم الله عن رؤيته وأخذ كف تراب فرماهم به فكان على رؤسهم وهو يتلو يس الى يبصرون فلما أصبح النهار مر عليهم رجل فقال ما شأنكم قالوا ننتظر محمدا فقال انظروا الخبر وسكم فنظروا فرأوا التراب عليهم فعرفوا أنه قد خرج من بينهم وأعماهم الله عنه ثم أذن الله له فى الهجرة كما قال أخرجوه منها (قوله أخرجوه منها) بدل من جفوه أى كانوا السبب فى خروجه منها أى من تلك الارض التى هى مولده ومرباه ووطنه ووطن آبائه وأحب أرض الله الى الله والى رسوله وبقولنا كانوا السبب الخ اندفع ما يقال هو لم يخرج منها الا باذن من الله فهو السبب فقط ووجه الاندفاع أن تسببهم فى خروجه بمبالغتهم فى ايذائه وايذاء أصحابه هو الحامل على انتظار الاذن له من الله فى الخروج فتسببهم سبب لاستئذانه ووقوع الاذن له واسناد الاخراج اليهم بهذا الاعتبار أبلغ من اسناده لاذن الله تعالى لانه الى أسبق السببين مع كونه سببا فى الثانى وكان هذا الخروج بعد العقبة الثالثة بنحو ثلاثة أشهر يوم الخميس وجاء بيت أبى بكر وقت الظهيرة فقال له قد أذن لى فى الخروج فقال أبو بكر الصحبة يا رسول الله قال نعم قال فخذ احدى راحلتى وكان قد اشترى راحلتين أى ناقتين قبل ذلك بستة أشهر فعلفهما منتظرا للخروج عليهما فقال له النبى صلى الله عليه وسلم آخذها بالثمن فأخذها منه بأربعمائة درهم كما اشتراها أبو بكر وقيل انه أبرأه منها فيما بعد وبقيت هذه الناقة عند النبى صلى الله عليه وسلم مدة حياته حتى ماتت فى خلافة أبى بكر وتزودا أى أخذا الزاد من بيت أبى بكر وخرجا منه ليلة الجمعة فوصلا الى غار ثور ليلا فأقاما فيه بقية ليلتهما وليلة السبت وليلة الاحد وخرجا منه ليلة الاثنين ودخلا المدينة يوم الاثنين فكانت مدة سفرهما ثمانية أيام وقوله وآواه غار وهو نقب فى جبل ثور ولما فقدته قريش طلبوه بمكة أعلاها وأسفلها وبعثوا القافة أثره فى كل وجه فوجد الذى ذهب قبل ثور أثره هنالك فلم يزل يتبعه حتى انقطع ذلك الاثر عند ثور وشق عليهم خروجه وجزعوا منه وجعلوا لمن رده مائة ناقة ولما دخل الغار أنبت الله على بابه شجرة أم غيلان فحجبت عن الغار أعين الناس وأرسل الله حمامتين وحشيتين فوقفتا على فم الغار كما قال وحمته حمامة ورقاء وهى ما فى لونها بياض يخالطه سواد قيل وحمام الحرم من نسلهما والمراد بها الجنس لانهما كانتا اثنتين ومعنى حمايتهما له ان فتيان قريش من كل بطن لما أقبلوا بسلاحهم جعل بعضهم ينظر فى الغار فرأى الحمامتين وحشيتين بفم الغار فرجع الى اصحابه فقالوا له ما رأيت قال رأيت حمامتين وحشيتين فعرفت انه ليس فيه احد وقال آخر ادخلوا الغار فقال اللعين امية بن خلف وما حاجتكم فى الغار ان فيه عنكبوتا أقدم من ميلاد محمد وفى مسند البزار ان الله امر العنكبوت فنسجت على وجه الغار ولذا قال وكفته بنسجها الخ (قوله وكفته بنسجها عنكبوت) يطلق على الواحد والجمع والذكر والانثى قال فى حياة الحيوان نسج العنكبوت يخرج من خارج جلدها لا من جوفها وعن على طهروا بيوتكم من نسج العنكبوت فان تركه فيها يورث الفقر وتركه فى الاصطبل يضعف الدواب وأصلها امرأة ساحرة مسخها الله تعالى ويستحب قتله قال صلى الله عليه وسلم اقتلوا العنكبوت فانه شيطان ومع ذلك نسجه طاهر وكما نسج على المصطفى صلى الله عليه وسلم نسج على عبد الله بن أنيس لما أرسله النبى صلى الله عليه وسلم لقتل كافر فقتله ودخل غارا فنسج عليه فجاؤا فى طلبه فلم يروه ونسج أيضا على زين العابدين بن الحسين رضى الله عنهما لما صلبوه مجردا من ثيابه ونسج أيضا على داود عليه السلام لما طلبه جالوت قاله القرطبى اهـ من شارح المنهاج لابن الملقن وقوله ما كفته أى الاعداء الذين كفتهم اياهم الحمامة الحصداء أى الكثيرة الريش مأخوذ من قولهم شجرة حصداء أى كثيرة الورق فوصفها أولا بورقاء وثانيا بحصداء لاجتماع المعنيين فيها وروى ان الحمامتين باضتا فى أسفل النقب ونسج العنكبوت فى اعلاه وقالوا لو دخلا لتكسر البيض وتقطع وزال نسج العنكبوت وروى انه قال اللهم اعم ابصارهم

أخرجوه منها وآواه غار
وحمته حمامة ورقاء
وكفته بنسجها عنكبوت
ما كفته الحمامة الحصداء

(قوله قد اذن لى فى الخروج) وسببه انه لما بويع صلى الله عليه وسلم وامر من معه ان يلحق بالمدينة وانه ظهر امره بها اشتوروا بدار الندوة ثم اجمعوا ان يحبسوه او يقتلوه او يخرجوه فاعترضهم ابليس لعنه الله فى صورة رجل جليل واظهر لهم انه يريد نصحهم وامرهم ان يعرضوا عليه آراءهم ليختار أنفعها لهم فقيل نحبسه فقال قد ينتزع منكم فقيل نخرجه فقال يأتيكم بما لا طاقة لكم به فقال ابو جهل لعنه الله أرى ان تأخذوا من كل قبيلة غلاما قويا ثم تعطوهم شعارا فيضربه كل ضربة فيتفرق دمه فى القبائل فلم يقدر اهله على حرب قوم فيأخذوا ديته فقال ابليس لله درك هذا هو الرأى فاجمعوا عليه اهـ ابن حجر

فعميت عن دخوله وجعلوا يضربون يمينا وشمالا حوله ولا يرون ما فيه (قوله واختفى) معطوف على وآواه غار أى استتر وقوله على قرب اى مع قرب وقوله مرآه اى محل رؤيته وقوله ومن شدة الظهور بيان لحكمة اختفائه واستتاره منهم مع ظهوره لهم وقربه منهم بحيث لو نظر احدهم الى ما تحت قدميه لرآه فهو بمنزلة التعليل لما قبله والمراد بالظهور رغلبته عليهم والمعونة الالهية التى امده الله بها وقوله الخفاء اى عنهم اى الخفاء الذى حصل له خرقا للعادة وهو عدم رؤيتهم له واستتاره عنهم أى وكان خفاؤه عنهم وحجبهم عن رؤيته من اجل شدة الظهور الذى أمده الله به وهو المعونة الالهية كما تقدم وروى ان ابابكر دخل قبله ليقيه بنفسه وانه نظر الى قدميه صلى الله عليه وسلم فى الغار يقطران دما لانه لم يتعود الحفاء فبكى وانه رأى فى الغار أجحارا متعددة فصار يقطع ثوبه ويسد به الاجحار فبقى جحر لم يفضل له شئ من الثوب فجلس قريبا منه ووضع عقبه عليه وسده به فجعلت الحيات والافاعى تضربه وتلسعه فصارت دموعه تنحدر وكان النبى صلى الله عليه وسلم قد نام وجعل رأسه فى حجره فصار يتجلد ولا يوقظه فسقطت دموعه على وجه النبى صلى الله عليه وسلم فتنبه فقال مالك قال لدغت فتفل عليه فذهب ما يجده فلما أصبح سأله النبى صلى الله عليه وسلم عن ثوبه فاخبره الخبر فتوجه ودعا له وقال اللهم اجعل أبابكر معى فى درجتى فى الجنة فنودى أنه قد استجيب لك وقد جوزى أبو بكر بان جعلت البركة فى عقبه أى نسله الى يوم القيامة وان ذريته يموتون بتحرك السم فى أعقابهم لينالوا مرتبة الشهادة كما مات جدهم أبو بكر بتحرك السم عليه شهيدا وروى ان أبابكر لما رأى القافة اشتد حزنه وقال ان قتلت فانما أنا رجل واحد وان قتلت هلكت الامة فقال له لا تحزن ان الله معنا اى باللطف والمعونة والنصر وأنزل الله سكينته عليه اى على أبى بكر لانه هو الذى انزعج وهى امنة تسكن لها القلوب وايده أى رسول الله بجنود لم تروها أى ملائكة يصرفون أبصار الكفار عنه والمشهور انه صلى الله عليه وسلم مكث فى الغار ثلاث ليال وكان عبد الله بن أبى بكر مع صغر سنه يأتيهما ليلا بخبر قريش ثم يدلج من عندهما بسحر فيصبح كبائت بمكة وكان عامر بن فهيرة مولى أبى بكر يأتيهما كل ليلة بما يغنيهما من لبن واستأجرا عبد الله ابن الاريقط ليدلهما على الطريق ولم يعرف له اسلام فدفعا اليه راحلتيهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال فأتاهما وسار معهم عامر بن فهيرة فأخذ بهم طريق البحر (قوله ونحا) أى قصد المصطفى على الخلق كلهم المدينة المسماة بطيبة لان الله طيبها بهجرته اليها ووقع له فى طريق الهجرة عجائب منها أنهم مروا بقديد على أم معبد الخزاعية وكانت تطعم وتسقى من عرج بها وكانت السنة مجدبة فطلبوا منها لبنا أو لحما يشترونه فلم يجدوا فنظر الى شاة خلفها الجهد والضعف عن أن تسرح مع صواحباتها فسألها هل بها لبن فقالت هى أجهد من ذلك فقال أتأذنين لى أن أحلبها قالت نعم فدعا بها وباناء فاعتقلها ومسح ضرعها وسمى الله تعالى فدرت فحلب وسقى القوم حتى رووا ثم شرب آخرهم ثم حلب ثانيا وتركوه وذهبوا فجاء زوجها فأخبرته الخبر فقال هذا والله صاحب قريش ولو رأيته لاتبعته وفى سيرة الحلبى أن ام معبد هاجرت وأسلمت وكذا زوجها وأسلم أخوها أيضا وكان أهلها يؤرخون بيوم نزول الرجل المبارك وبقيت تلك الشاة عندهم يحلبونها ليلا ونهارا الى أن ماتت فى خلافة عمر رضى الله عنه ولما سمع المسلمون بالمدينة بمقدمه صاروا يخرجون كل يوم الى الحرة ينتظرونه الى الظهيرة فانتظروه يوما وعادوا الى بيوتهم واذا بيهودى ارتقى مكانا عاليا فرآه مقبلا فصاح فقال هذا جدكم أى حظكم يا بنى قيلة أى الاوس والخزرج وقيلة جدتهم القديمة فخرجوا اليه سراعا بسلاحهم فنزل بقباء وكان يوم الاثنين قيل أول ربيع وقيل ثانى عشره وأدركه على كرم الله وجهه بقباء ولم يقم بعده بمكة الا ثلاثة أيام ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتاريخ فكتب من حين الهجرة وكانوا قبل ذلك يؤرخون بعام الفيل وأقام بقباء أربع عشرة ليلة وأسس المسجد المشهور بقباء وهو أول مسجد أسس فى الاسلام ولذا كان الاصح أنه الذى أسس على التقوى من أول يوم ثم ركب من قباء يوم الجمعة وصلاها بمسجد

واختفى منهم على قرب مرآ
ه ومن شدة الظهور الخفاء
ونحا المصطفى المدينة واشتا
قت اليه من مكة الانحاء

(قوله فسقطت دموعه الخ) وروى ان ابابكر رضى الله عنه نظر الى قدميه صلى الله عليه وسلم فى الغار يقطران دما لانه لم يعتد الحفاء فبكى وانه دخل قبله ليقيه بنفسه وانه رأى جحرا فيه حيات فألقمه عقبه فجعل الحيات والافاعى تلسعه فانحدرت دموعه وفى رواية فدخل صلى الله عليه وسلم وجعل رأسه فى حجره ونام فلدغ ابو بكر فى رجله فلم يتحرك فسقطت دموعه على وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مالك فقال لدغت فتفل عليه فذهب ما يجده اه ابن حجر

وتغنت بمدحها الجن حتى
أطرب الانس منه ذاك الغناء
واقتفى اثره سراقة فاستهـ
وته فى الارض صافن جرداء
ثم ناداه بعد ماسيمت الخسـ
ف وقد ينجد الغريق النداء

الجمعة المشهورة فى طريق قباء ثم ركب فكان كلما مر بدار من دور الانصار سألوه النزول عندهم فيقول خلوا سبيلها أى ناقته فانها مأمورة وأرخى زمامها فاستمرت الى أن بركت بموضع باب المسجد ثم ثارت وهو عليها حتى بركت بباب أبى أيوب رئيس بنى النجار أخوال عبد المطلب ثم ثارت و بركت فى مبركها الاول ثم سوّتت فنزل عنها وقال هذا المنزل ان شاء الله تعالى وقوله واشتاقت من الشوق وهو تحرك النفس وهو هنا مجاز نحو واسأل القرية بل حقيقة اذ لابدع فى ميل وحب الجماد اتله بان يخلق الله تعالى فيه ادراكا كحنة قباء والاصح فى مثل هذا من كل مالا يحيله العقل ولا الشرع حمله على حقيقته وقوله من مكة أى التى هى مولده وام القرى وقوله الانحاء أى الجهات و النواحى لانها كانت معمورة بأنفاسه واستوحشت بفقده (قوله وتغنت بمدحه) أى أظهرت أوصافه الجميلة فى صورة الغناء الذى تولع به النفس ولا يصير فيه امتنع لغيره وقوله الجن أى المؤمنون منهم وقوله حتى أطرب الانس أى المؤمنين وغيرهم لان حسن الصوت لاتختلف فيه الطباع وقوله منه أى من الجن أى من ذلك النوع وقوله ذاك الغناء أى الذى سمعوه والطرب خفة تعترى الانسان عند شدة حزن أو سرور والغناء فى البيت بكسر الغين والمد وهو ماعلمت وأما بفتحها والمد فمعناه النفع وبكسرها والقصر ضد الفقر وذكر أهل السير أن أسماء بنت أبى بكر قالت لما خفى علينا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم اتانا نفر من قريش فيهم ابو جهل فقال اين ابوك فقلت والله لا ادرى فلطم خدى لطمة حتى خرج منها قرطى ولما لم ندر اين توجه سمعناه وتجنى ولم نر شخصه ينشد أبياتا فقال

جزى الله رب الناس خير جزائه * رفيقين حلا خيمتى أم معبد

الى آخر الابيات فلما سمعنا قوله علمنا اين توجه النبى صلى الله عليه وسلم فلما وصل فى سفره الى قرب رابغ اقتفى اثره سراقة الخ (قوله واقتفى) اى اتبع أثره أى فى اثره وقوله سراقة بن مالك المدلجى أسلم عام الفتح وهو الذى البسه عمر سوارى كسرى والحامل له على اتباع النبى أن قريشا جعلت لمن ياتى بعير لمن يقتلهما أو يأسرهما فركب سراقة مستخفيا خوفا أن يسبقه غيره على هذه الفائدة فى زعمه فلما دنا منهما عثرت به فرسه فنزل عنها فقام فركبها حتى سمع قراءة رسول الله وهو لا يلتفت وأبو بكر يلتفت فبكى خوفا على النبى وقال يارسول الله أتينا فقال كلا ودعا بدعوات فاستهوته أى هوت وسقطت به فى الارض صافن أى غاصت قوائمها فى الارض حتى بلغت الركبتين فنزل عنها فزجرها فقامت فلبس والتاء هنا للتأكيد لا للطلب والصافن من الخيل الذى يقوم على ثلاث قوائم و يرفع الرابعة عن الارض فيقف على طرف حافرها وقوله جرداء أى قليلة الشعر قصيرته وهذه الصفة وماقبلها ممدوحتان فى الخيل وأصل الجرداء الشجرة التى قل ورقها فاستعيرت للفرس القليل الشعر (قوله ثم ناداه) أى نادى سراقة النبى بعدما وصل اليه وقال الامان يامحمد وقوله بعد ماسيمت ما مصدرية أى بعد ماقاربت الفرس الخسف أى أن يخسف بها أى بكلها بعدما قاربت أن تغوص كلها فى الارض والا فقد خسف بقوائمها الى الركب كما تقدم والخسف بضم أوله وفتحه يقال سمته خسفا أوليته ذلا أى أوقعته به وقوله وقد ينجد الغريق النداء هذا من الحكم المناسبة هنا فهو كالعلة لما قبله وقوله النداء أى الدعاء لله بانكسار وتذلل كما وقع ليونس عليه السلام ولما طلب الامان قال أعلم أنكما قد دعوتما على فادعوا الى ولكما على "أن أرد الناس عنكما ولا أضركما فوقفا له فركب حتى أتاهما قال ووقع فى نفسى حين لقيت مالقيت أن سيظهر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرتهما أخبار ماير يدبهما الناس وعرضت عليهما الزاد والمتاع فلم يأخذا منى شيأ وقال أخف عنا الخبر أى لاتخبر قريشا بنا فسالت النبى كتابا آمن به منه اذا ظفر بى مرة اخرى فأمر عامر بن فهيرة فكتب لى فى رقعة من أدم فكانت معى فلما أسرت يوم حنين أخرجتها له فانفذ الامان ولم ينقضه وأمننى ومن يلوذ بى *(تنبيه)* ذكر الناظم الهجرة و بعض ماوقع فيها من المعجزات مع أنه سيذكر وقائع وقعت له قبل الهجرة بمكة كالاسراء وكان مقتضى الواقع أن يذكر هذه كلها قبل ذكر

فطوى الارض سائرا والسموا
ت العلا فوقها له اسراء
فصف الليلة التي كان المخ
تار فيها على البراق استواء

الهجرة ليوافق الترتيب في الواقع ولعله اهتم بشأن الهجرة فقدمها لتنبه النفس الى حكمة ذلك وهي أنه انقطع بها عنه صلى الله عليه وسلم كل ايذاء كان يصل اليه من قريش وترتب عليها الظفر بهم حتى استأصلهم وقطع دابرهم (قوله فطوى الارض) أي فطويت له الارض وقوله سائرا حال أي سائرا عليها في هجرته وقوله والسموات معطوف على الارض فهو منصوب بالكسرة وقوله فوقها له اسراء جملة حالية وغرضه تنظير طي الارض له في سفر الهجرة بطي السموات له ليلة المعراج لكن تعبيره بالطي في الارض يقتضي انه قطع المسافة على خلاف العادة والمنقول في كتب السير أنه قطعها في ثمانية أيام وهذا هو المعتاد فهو بخلاف التعبير بالطي في جانب السموات فهو مسلم لانه ليلة المعراج جاوزها جميعها في أسرع وقت في نحو ثلاث ساعات قطع فيها نحو ثمانية آلاف سنة اذ بين الارض والسماء خمسمائة عام وكذا سمك كل سماء وما بين كل سماءين وأما ما بعد السماء السابعة فلا يعلمه الا الله عز وجل فيا لهما من مسيرين مسير في الارض ومسير في السماء أظهر الله بهما عظيم قدره وتقدمه على جميع خلقه في أرضه وسمائه والمعاريج ليلة الاسراء عشرة سبعة في السموات والثامن الى سدرة المنتهى والتاسع الى المستوى أي المكان العالي الذي سمع فيه صريف الاقلام في تصاريف الاقدار والعاشر الى العرش والرفرف وسماع الخطاب والكشف الحقيقي لكن لم يجاوز العرش كما هو التحقيق عند أهل المعاريج (قوله فصف) أيها الناظر في شمائله وخصوصياته وما أكرمه الله به وقوله الليلة وكانت ليلة الاثنين أو الجمعة أو السبت أقوال وكانت من رمضان أو شوال أو رجب أو ذي الحجة أو ربيع الاول أو الثاني أقوال وكانت بعد المبعث بخمس سنين أو بعشر أو احدى عشرة أو ثنتي عشرة أقوال وقد وقع الاسراء فيها من مكة الى بيت المقدس ثم العروج منه الى السماء ثم الى حيث شاء الله والمعنى اذكر صفاته الجليلة بما يمكنك والافعال ان تستوعبها وهذه الليلة أفضل من ليلة القدر في حقه لانه أعطى فيها من الكرامات ما لا يحيط به الحد وكان الاسراء والمعراج بجسمه وروحه في اليقظة وهو على هذا الوجه من خصائصه وزعم تعدده مردود اذ الاصح أنه اسراء واحد بالجسم والروح في اليقظة وقوله كان للمختار صلى الله عليه وسلم استواء أي استقرار وتمكن مع أنه لم يركبه قبل ذلك ولا هو من جنس ما يركبه الآدميون اذ هو دابة أي يشبه الدابة والا فهو ليس بذكر ولا أنثى دون البغل وفوق الحمار يضع رجله عند منتهى بصره وذكره الناظم باعتبار كونه مركوبا وسمي بذلك من البرق لشدة سيره وتلخيص قصته أنه أتاه جبريل وميكائيل وملك ثالث بالحطيم أو شعب أبي طالب أو ببيته أو بيت أم هانئ روايات جمع بينها بأنهم أتوه في بيت أم هانئ وبيتها عند شعب أبي طالب وأضيف اليه لانه كان يسكنه ذ أخرجه الملك منه الى المسجد فأضجعه في الحطيم لاثر نعاس كان به ثم أخذه وأخرجه من المسجد بعد تمام تيقظه وبعد شق صدره وقلبه وغسلهما ثم اركبه البراق وسار به حتى انتهى الى بيت المقدس ووقع له في الطريق عجائب كثيرة وجاء في رواية أن جبريل ركب معه على البراق وصح أنه مر بيثرب فأمره ان ينزل ويصلي هنالك وبمدين فأمره بذلك وببيت لحم الذي ولد فيه عيسى فأمره بذلك فلما وصل الى بيت المقدس دخل المسجد فرأى فيه جميع الانبياء قيل حضروا بأرواحهم واجسادهم وقيل بأرواحهم فقط تشكلت في صور أجسادهم وقيل رفع الله الحجب بينه وبينهم في قبورهم فصلى بهم في المسجد وهم في قبورهم وتلك الصلاة قبل الصبح وهذا مبني على أنه صلى فيه بعد العود والرجوع وقيل العشاء وهذا مبني على أنه صلى بهم فيه قبله ولما فرغ من امامتهم نصب له المعراج مرقاة من فضة ومرقاة من ذهب وعن يمينه ملائكة وعن يساره ملائكة ثم صعد فيه هو وجبريل حتى انتهيا الى باب سماء الدنيا فاستفتحاه ففتح لهما وهكذا الى السابعة ورأى في الاول آدم ورأى النيل والفرات ورأى في الثانية يحيى وعيسى وحكمة كونهما في سماء مع ان كل واحدة غير الثانية فيها نبي واحد ان عيسى ينزل آخر الزمان فيبقى فيها يحيى فلا تخلو سماء عن نبي وفي الثالثة يوسف وفي الرابعة ادريس وفي الخامسة هرون وفي السادسة موسى وفي السابعة

(قوله ثمانية آلاف سنة) قال ابن حجر فقطع مسيرة ثمانية آلاف سنة في أسرع وقت اذ بين السماء والارض خمسمائة سنة وكذا سمك كل سماء وما بين كل سماءين هذا بالنسبة الى السماء السابعة وأما ما بينها وبين ما وصل اليه مما كان فيه قاب قوسين أو أدنى فلا يعلمه الا الله تعالى فيا لهما من مسيرين مسير في الارض ومسير في السماء أظهر الله عليه فيهما عظم قدره في سيره واسرائه وأفضلية تقدمه على جميع خلقه في أرضه وسمائه اهـ

(قوله ورأى في الاولى آدم) وعن يمينه أرواح المؤمنين فاذا نظر اليهم ضحك وعن يساره أرواح بنيه الكفار فاذا نظر اليهم بكى أي انه يكشف له عنهم وهم في النار التي هي مستقر أرواحهم اهـ ابن حجر

وترقى به الى قاب قوسيـ
ن وتلك السيادة القعساء
رتب تسقط الامانى حسرى
دونها ماوراءهن وراء
ثم وافى يحدث الناس شكرا
اذ أتته من ربه النعماء

ابراهيم وروى ان ادريس فى الثانية وهرون فى الرابعة وابراهيم فى السادسة وموسى فى السابعة والرواية الاولى أصح أو يجمع بينهما بانه رآهم فى الصعود على كيفيات وفى الهبوط على كيفيات أخر وحكمة تخصيص هؤلاء باللقاء الاشارة بكل الى ماسيقع له صلى الله عليه وسلم مما يناسب ماوقع لكل منهم كالاخراج من مكة فريدا والعود اليها بجنود كثيرة كما وقع لآدم حيث اخرج من الجنة وحيدا وسيعود اليها بجنود لاتحصى وكمعاداة اليهود أوائل الهجرة كما عادت عيسى وأرادت قتله وكما عادت يحيى وقتلوه وكمعاداة أهله له ورجوعهم الى محبته كما رجع قوم هرون الى محبته وكمعالجة قومه كما عالج موسى قومه وكتمكنه من مكة والكعبة كما وقع لابراهيم واختلف فى رؤيته لهؤلاء الانبياء فى السموات فقيل لارواحهم الا عيسى فانه رفع بجسده وكذا ادريس على قول وقيل لارواحهم وأجسادهم فرفعوا تلك الليلة الى تلك المواضع اكراما له وبعد أن جاوز السماء السابعة رفعت له سدرة المنتهى أى كشف له عنها فرآها ورأى النيل والفرات وسيحان وجيحان تخرج من أصلها ثم جاوزها الى مستوى بفتح الواو وهو المكان العالى المتسع ثم زج به فى النور فخرق سبعين ألف حجاب من نور مسيرة كل حجاب خمسمائة عام ثم دلى له رفرف أخضر فارتقى به حتى وصل الى العرش ولم يجاوزه فكان من ربه قاب قوسين أو أدنى (قوله وترقى) أى صعد البراق به أى بالمصطفى أو ترقى المصطفى به أى بالبراق فأفهم كلامه أن البراق صعد معه الى قاب قوسين وهذا مادلت عليه رواية البخارى لكن المشهور عند أهل السير والمعاريج أنه لم يصعد بالبراق ولم يطأ به السموات بل استمر مربوطا بحلقة الباب حتى عاد ونزل من السموات فركبه الى مكة ثم رده جبريل الى الجنة وقوله الى قاب قوسين قاب القوس مابين مقبضه أى محل مسكه باليد عند الرمى وهو وسطه وبين آخره أى المحل الذى يربط فيه الوتر فلكل قوس قابان ففى الكلام قلب كما فى الآية أى تبديل المثنى بالمفرد وعكسه وأصل التركيب الى قابى قوس والكلام من قبيل الاستعارة التمثيلية شبه حاله فى قربه من ربه قربا معنويا بحال أحد الحبيبين فى قربه من الآخر اذا انضما ولم يبق بينهما من المسافة الا قدر قاب القوس واستعير اللفظ الدال على المشبه به واستعمل فى المشبه وقوله وتلك أى المرتبة التى وصل اليها ليلة المعراج وقوله السيادة أى هى السيادة وقوله القعساء أى الثابتة الدائمة التى لايطرقها تغيير ولا زوال وقد اختلف العلماء فى أن نبينا صلى الله عليه وسلم رأى ربه فى هذا المقام بعينى رأسه أو بعينى قلبه فقط والذى صح عن ابن عباس فى رواية الاول وفى اخرى الثانى وقال بعضهم انه رآه مرتين واحدة بالعين واخرى بالقلب وهذا مبنى على تعدد المعراج ومعنى رؤية القلب على القول بها أن الله خلق فى قلبه عينين كعينى الرأس فرأى بهما ولم يحجبهما قفص البدن ولا الثياب وليس المراد برؤية القلب على هذا القول الحضور والشهود مع ربه واشتغال البال به دون غيره لان هذا الحال والمقام لاينفك عنه صلى الله عليه وسلم بل قد يصل اليه بعض الاولياء واذا تأملت ماوقع له ليلة الاسراء من الكرامات التى تميز بها على سائر الخلق علمت انها رتب الخ (قوله رتب) تنوينه للتعظيم أى عظيمة جليلة أى ما ناله تلك الليلة من أنواع القرب المعنوى والكرامات رتب تسقط الامانى جمع أمنية وهى مايطلب ويطمع فى حصوله وقوله حسرى جمع حسير من حسر بمعنى أعيا أى حالة كونها حسرى أى ضعيفة عن تلك المراتب وقوله دونها ظرف لتسقط أى لجلالة هذه المراتب وعزتها على الخلق سقطت أمنياتهم ومطالبهم وآمالهم عن نيل هذه المراتب فلم يستطيعوا التوجه اليها وطلبها حالة كونهم عاجزين عن التأهل لها وكيف لا وهى ماوراءهن وراء أى ماقدامهن قدام فوراء بمعنى قدام والمعنى أنه ليس قدامهن مرتبة أخرى يطمع مخلوق فى نيلها (قوله ثم وافى) أى وصل الى مكة قبل الصبح وكان مقدار غيبته عنها ثلاث ساعات وقوله يحدث الناس جملة حالية أى يحدثهم بما رأى من تلك العجائب والكرامات لكن لم يحدث ولم يخبر صبيحة الاسراء بالعروج الى السماء بل اقتصر على الاخبار بالذهاب الى بيت المقدس وقوله شكرا مفعول لاجله أو حال وقوله اذ أتته اذ تعليلية أو ظرفية أى أتته فى تلك الليلة وقوله النعماء جمع أنعم جمع

(قوله ثم وافى الخ) وحينئذ ارتد ناس كانوا أسلموا فذهب المشركون لابى بكر رضى الله عنه وذكروا له أنه يخبر أنه ذهب الى بيت المقدس وجاء فى ليلة فقال صدق فلذلك سمى الصديق رواه الحاكم فى مستدركه وابن اسحق وزاد ان أبا بكر جاءه فقال يقولون انك الليلة أتيت بيت المقدس قال نعم قال صفه لى فانى جئته فوصفه له كأنه رفع اليه فجعل ينظر اليه ويصفه وأبو بكر يصدقه اهـ ابن حجر

نعم ولما تحدث بالاسراء وأخبر به ارتد ناس كانوا أسلموا فذهب المشركون الى أبي بكر فذكروا له أنه يخبر بانه ذهب الى بيت المقدس قال نعم فانكروا عليه فقال انى لاصدقه فيما هو أبعد من ذلك فى خبر السماء وروى أن أبا بكر جاءه فقال يقولون انك الليلة أتيت بيت المقدس قال نعم قال صفه لى فانى جئته ولم يكن صلى الله عليه وسلم قد ثبت أوصافه فى الليل فرفعه الله اليه ونقله الى مكة عند دار عقيل فجعل صلى الله عليه وسلم ينظر اليه وغيره لا يراه ويخبر بجميع صفاته تفصيلا وهذا كحمل عرش بلقيس وجيء به الى سليمان فى طرفة عين وقول أبي بكر له صفه لى ليس امتحانا وانما هو ليظهر صدقه لهم ويرد عليهم فى تكذيبه وقيل ان المسجد لم ينقل وانما أزيلت الحجب بينه وبينه وخلق الله فيه قوة رؤيته وهو فى محله وبهذا ظهرت الحكمة فى الاسراء الى بيت المقدس ثم العروج منه الى السماء لما تقرر ان فيهم من رآه وعرفه فوصفه لهم كما هو مع علمهم بانه لم يذهب اليه قط ومما أخبرهم به أنه قال لهم ان من آية ما أقول لكم أنى مررت بعيركم بالروحاء موضع على أربعين ميلا من المدينة وقد أضلوا بعيرا فجمعه فلان وهى تأتيكم يوم الاربعاء فلما كان ذلك اليوم أشرف الناس ينتظرون حتى كادت الشمس أن تغرب ولم تأت العير فكرب صلى الله عليه وسلم كربا شديدا فحبس الله له الشمس حتى أتت العير قبل الغروب (قوله وتحدى) معطوف على وافى أى تحدى كفار مكة وغيرهم بما وقع له ليلة الاسراء وما تقدمه من المعجزات أى طلب منهم أن يعارضوا ما جاء به شاهدا على نبوته وصدقه بابداء نظيره والا كانوا كاذبين مدحوضين وقوله فارتاب أى شك أى انقطع وخرس وعجز عن المعارضة فالارتياب مستعمل فى لازمه وهو الانقطاع وقوله كل مريب أى مرتاب فمريب اسم فاعل من أراب زيد بمعنى ارتاب فهو اسم فاعل من اللازم وليس من أراب المتعدى كما هو ظاهر ويلزم من انقطاعهم عن معارضته اتضاح أمره وأنه لم يبق فيه شك ولا ريب ومن ثم قال منكرا على من بقى عنده شئ من ذلك أو يبقى والهمزة داخلة على مقدر والواو عاطفة على ذلك المقدر والتقدير أيتضح ذلك الامر ويبقى معه ريب لا بل اتضح وما بقى معه شك أصلا وكيف يبقى مع السيول الخ وما تقرر من التقدير بعد همزة الاستفهام هو رأى الزمخشرى ومن تبعه وهو التحقيق وان كان خلاف مذهب الجمهور وهو أن لا تقدير فى الكلام بل فيه تقديم وتأخير فالهمزة مقدمة على الواو وأصل الكلام وأيبقى الخ وقوله مع السيول حال من الغثاء الذى هو فاعل وهو بضم المعجمة وبالمثلثة ما يحمله السيل مما يخف من النبات فكما أن الغثاء لا يبقى مع السيل بل يذهب به ويزيله فكذلك ما جاء به النبى صلى الله عليه وسلم من الآيات البينات والبراهين الواضحات لا يبقى معه شك بل يذهب ويضمحل فالسيول استعارة تصريحية لما أتى به ووجه الشبه أن بكل الحياة وان كانت فى السيول حسية وفى الآيات والبراهين معنوية والغثاء استعارة تصريحية أيضا لما تخيلوه لانه أمر حقير لا بقاء له كما أن الغثاء كذلك (قوله وهو يدعو) حال من فاعل تحدى أى تحدى الناس والحال أنه مع انكارهم وارتيابهم لا يفتر عما أمر به من التبليغ والدعاء وقوله الى الاله أى المعبود بحق الذى لا يعبد غيره وقوله كفر به أى به نفسه أو بالاله وقوله وازدراء أى احتقار وانتقاص له فهو مديم لذلك الدعاء متحمل لمشقة انكارهم وقبيح كفرهم وازدرائهم به فكان يدور عليهم فى منازلهم ويخاطبهم بما يكرهون ولا يأتى الى بقوتهم وشوكتهم ويقول اعبدوا الله وحده واتركوا ما أنتم عليه من عبادة الاصنام وروى أحمد فى مسنده أول من أظهر الاسلام سبعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمار وأمه سمية وصهيب وبلال والمقداد فأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنعه الله من القتل بعمه أبي طالب وأما أبو بكر فمنعه الله بقومه لانهم كانوا أصحاب قوة وشوكة وأما بقية السبعة فأخذهم المشركون فألبسوهم أدراع الحديد وألقوهم فى الشمس وان بلالا هانت عليه نفسه فى الله وهان على قومه فأخذوه وأعطوه الولدان فجعلوا يطوفون به فى شعاب مكة وهو يقول أحد أحد أى مزج مرارة العذاب بحلاوة الايمان ومر اللعين أبو جهل بسمية أم عمار بن ياسر وهى تعذب فطعنها

وتحدى فارتاب كل مريب
أو يبقى مع السيول الغثاء
وهو يدعو الى الاله وان شق عليه كفر به وازدراء

بحربة فى فرجها فماتت فهى أول شهيد فى الاسلام وجاء أن أبا بكر أعتق ممن كان يعذب فى الله سبعة (قوله ويدل الورى) أى الخلق ففيه اشارة الى أنه أرسل الى الخلق كافة أما الانس والجن فبالاجماع المعلوم بالضرورة يكفر منكره وأما الملائكة فعلى الاصح وأما الجمادات فعلى ماذهب اليه بعض محققى المتأخرين ومعنى ارساله للملائكة أنهم مكلفون بتعظيمه والايمان به واشاعة ذكره ومعنى ارساله للعمادات أنه ركب فيها ادراكات لتؤمن به وتخضع له وقوله على الله أى على العلم بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله وما يجب له وما يستحيل عليه وما يجوز فى حقه وقوله بالتوحيد أى بطلبه منهم أن يوحدوه بأن يقروا بأنه واحد فى ذاته وفى صفاته وأفعاله وظاهر المتن أن الباء فى بالتوحيد باء الآلة ككتبت بالقلم ويوجه بأن العلم بالتوحيد كالآلة كما ذكر ينشأ عنه العلم بما يليق بذات الله وصفاته وأفعاله وقوله وهو أى العلم المذكور والدلالة عليه وقوله المحجة أى كالمحجة ففيه تشبيه بحذف الأداة أى الطريق الى رضا الله التى أمر بها وحث عليها وقوله البيضاء أى النيرة المضيئة الواضحة التى لا يضل سالكها ولا ينقطع ولا يخشى فيها من آفة (قوله فبمارحمة) ما زائدة أى فما صبر على تبليغهم مع ما حصل له منهم مما أشار اليه بقوله وان شق عليه الخ أطاع الله أكثرهم حتى صار وامن أكابر أتباعه فالمراد رحمة من الله واصلة اليه ويحتمل أن المراد أنها واصلة اليهم من الله أى فبسبب رحمة الله لهم وعطفه عليهم ببركته لين رسول الله وصبره عليهم كما يشير لذلك قوله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم الذى اقتبس الناظم منه ماذكره أيقظ قلوبهم وأزال ما فيها من كبر وغى فحينئذ لانت صخرة هى الحجر العظيم وقوله من ابائهم بيان للصخرة أى امتناعهم وقوله صماء أى صلبة لا تؤثر فيها المعاول على خلاف العادة ففى الكلام تشبيه بليغ حيث شبه اباءهم أى امتناعهم بالصخرة التى هى فى غاية الصلابة كما أنهم كانوا أولا فى غاية النفرة والبغض وفى لانت استعارة تصريحية تبعية حيث شبه اتباعهم له وانقيادهم لاوامره ونواهيه بزوال الصلابة الصخرة واستعار اسمه وهو اللين واشتق منه لانت (قوله واستجابت له) أى وبعد أن لانوا له ببركته لينه لهم لم يزل لينهم يتزايد حتى استجابت له أى أجابت دعوته وقوله بنصر وفتح الباء سببية أو بمعنى مع أى مع أو بسبب ما اعطاه الله من النصر على الاعداء والقاء الرعب فى قلوبهم والفتح لبلادهم باخماد شوكتهم وقوله بعد ذاك أى الضعف الذى كان به وبأتباعه لقلتهم ولتحريم قتال الاعداء وقوله الخضراء أى السماء سميت بذلك لانها ترى كذلك وبين النووى سبب ذلك فقال بلغنا خبر أن صخرة تحت الارض خضراء منها ترى خضرة السماء وليست فى الحقيقة كذلك ولا يمنع جرم الارض من ظهور خضرة الصخرة التى تحتها فى السماء خرقا للعادة وقال الربيع بن أنس السماء الدنيا موج مكفوف أى ممنوع من السيلان بقدرة الله تعالى والثانية من مرمرة بيضاء والمرمر الرخام والثالثة من حديد والرابعة من نحاس والخامسة من فضة والسادسة من ذهب والسابعة من ياقوتة حمراء وقوله والغبراء أى الارض سميت بذلك لان جميع طبقاتها من الطين ومعنى استجابة السماء والارض له استجابة أهلهما ويحتمل أنه استعمل السماء الرفيع من الناس والارض الوضيع أى أجابه الرفيع والوضيع اذ لم يبق الا مسلم أو مسالم وعلى الاحتمال الاول فتقييد الناظم استجابة أهل الارض بالنصر والفتح بتلك البعدية ظاهر وأما تقييده استجابة أهل السماء بها فهو بمعنى أنهم لم تنزل الملائكة لنصرته الا ببدر وما بعدها وذلك انما هو بعد قوته والقاء الرعب فى قلوبهم والاذن فى الجهاد والحث عليه (قوله وأطاعت) أى ومن جملة استجابة أهل الارض له أنه أطاعت لامره أى ونهيه ففيه اكتفاء وقوله العرب بفتحتين وان كان يجوز فيه أيضا الضم فالسكون وقوله والعرباء ويقال العاربة وهم الخلص من العرب ويقال لغير الخلص العرب المستعربة وقوله والجاهلية الجهلاء بضم الجيم وفتح الهاء البالغون فى الجهل الكثير جهلهم كرجل ضحكة أى كثير الضحك وخص هذين الذكر لان تصميمهما على الكفر بلغ من القوة والشدة مالم يبلغه تصميم غيرهما (قوله وتوالت) أى تتابعت وقوله للمصطفى حال من الآية الذى هو الفاعل

ويدل الورى على الله بالتو
حيد وهو المحجة البيضاء
فبما رحمة من الله لانت
صخرة من ابائهم صماء
واستجابت له بنصر وفتح
بعد ذاك الخضراء والغبراء
وأطاعت لامره العرب العر
باء والجاهلية الجهلاء
وتوالت للمصطفى الآية الكب
رى عليهم والغارة الشعواء

(قوله وقوله الخضراء) قال القاسم بن أبى برة ليست السماء مربعة لكنها مقبوة يراها الناس خضراء وبين النووى سبب ذلك فقال بلغنا أن صخرة تحت الارض خضراء كما فى حديث البزار وغيره منها خضرة السماء وليست فى الحقيقة كذلك الحديث انهم قالوا يارسول الله ماهذه السماء قال هذا موج مكفوف عنكم ومن ثم سئل ابن عباس رضى الله عنهما السماء من أى شئ فقال انها من موج مكفوف اه ابن حجر

أي حال كونهم امضافة اليه لا لمن قبله من الانبياء وقوله الآية ال فيه جنسية فهو في معنى الآيات وأيضا فالتوالى انما يكون في متعدد أي العلامات الدالة على نبوته وقوله الكبرى كالقرآن وانشقاق القمر وقوله عليهم متعلق بتوالت وقوله والغارة أي وتوالت عليهم أيضا الغارة على بلادهم وأموالهم ونفوسهم وهي اسم مصدر لاغار وهي الاخذ على غفلة وقوله الشعواء أي الغاشية المتفرقة المحيطة بهم من سائر الجوانب (قوله واذا ما تلا) ما زائدة أي وبعد أن استجابت له أهل السماء والارض ودخل الناس في دين الله أفواجا وكثرت أتباعه جدا حتى صار اذا تلا كتابا من الله أي أنزل عليه من الله تعالى وهو القرآن وقوله تلاه أي تبعته لاجل القراءة معه أو استماع قراءته الكتائب مزدحمين عليه وقوله كتيبة فاعل بتلته لكن الشارح أخرجه عن هذا وقال لاسيما كتيبة بالفوقية أي جيش وقوله خضراء أي يعلوها سواد السلاح والحديد وعكس هذا سواد العراق لانه لكثرة أشجاره يرى من البعد سوادا وهي كتيبته التي دخل مكة وهو فيها على ناقته القصواء بين أبي بكر وأسيد بن حضير وهو يقرأ سورة الفتح (قوله وكفاه) ربه فضلا منه وكرما وقوله المستهزئين أي الجماعة الاشقياء الذين زادوا في ايذائه والعتو عليه كما قال تعالى انا كفيناك المستهزئين وهم جماعة من قومه كانوا يسخرون منه ويبالغون في ايذائه والسخرية به أي تولى الله اهلاكهم قال الحافظ ابن حجر لم يسلم منهم سوى الحكم بن العاص وكان اسلامه مع ذلك مدخولا ومع تولى الله تعالى اهلاك المستهزئين به سلاه وأعلمه أن هذا ليس خاصا به بل وقع للانبياء قبله مثله بقوله فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل فاقتبس المصنف هذه العبارة من هذه الآية كآية ولقد استهزئ برسل من قبلك وقوله وكم أي مرات كثيرة فكم خبرية وقوله ساء أي أحزن وقوله من قومه متعلق بقوله استهزاء أي سخرية وايذاء (قوله ورماهم) أي أصابهم بدعوة منه عليهم وصلت اليهم فأهلكتهم كما يصل السهم القاتل الى من يرمى به فيهلكه وقوله من فناء البيت بكسر الفاء والمد وهو المكان المتسع أمام الدار ومن بمعنى في صفة لدعوة أي في حوالى الكعبة وجهاتها وقوله فيها أي تلك الدعوة للظالمين متعلق بما بعده والاصل لهم وعدل عنه ليبين أن سبب هلاكهم ظلمهم وبغيهم عليه وقوله فناء بفتح الفاء أي استئصال لهم حتى لم يبق منهم أحد (قوله خمسة) بدل من المستهزئين أو من الظالمين ويصح رفعه على انه خبر مبتدا محذوف وخص الخمسة بالذكر مع ان المستهزئين أكثر من هؤلاء الخمسة اذ منهم أبو لهب وزوجته وعقبة بن ابي معيط والحكم بن العاص لان هؤلاء الخمسة كانوا أشد من غيرهم في ايذائه ولذا عجلت عقوبتهم وقوله بداء أي عظيم وقوله والردى أي الهلاك وقوله من جنوده أي من جملة جنوده المعينة عليه وقوله الادواء جمع داء وهو المرض وهذا كالتعليل لما قبله أي انما أصيبوا بذلك الداء لانهم سعوا في تحصيل أسباب الردى حتى وقعوا فيه ولم يجدوا منه مخلصا (قوله فدهى الاسود الخ) شروع في تفصيل ذلك الداء الذي أهلكهم الله به وفي بيان أسماء الخمسة المصابين به وقوله فدهى من الداهية وهي الامر العظيم المهلك وقوله أي عمى فاعل أي عمى عظيم لانه كما أطمس بصره أطمس بصيرته وليس العمى الاعمى البصيرة وقوله ميت به أي بسبب ذلك العمى وقوله الاحياء أي صار بسببه الاحياء في حكم الاموات الذين لا ينظر اليهم ولا يعول عليهم ويحتمل أن المراد أن عماه كان سببا لموته بالفعل على خلاف العادة مبالغة في هلاك ذلك اللعين وميت مبتدا والاحياء فاعل أغنى عن الخبر أي من شان هذا العمى انه لو وقع للاحياء صاروا به في حكم الموتى لا بصر لهم ولا بصيرة والجملة مؤكدة لما أفاده تنوين عمى أي هو عمى بصيرة وبصر وكون ميت مبتدأ مع عدم اعتماده انما هو على رأى الكوفيين وقد قال ابن مالك الاعتماد حسن لا واجب (قوله ودهى الاسود) أي أصابه داهية وقوله الردى أي الموت وقوله استسقاء أي أصابه هذا المرض المشهور واستمر به حتى أهلكه وهو داء خبيث على أنواع المراد منها ههنا الزقي وهو امتلاء الامعاء بالماء الفاسد المبطل للحرارة الغريزية المفضى الى الهلاك على قرب وتشبيه الردى بالمشروب استعارة بالكناية واثبات

واذا ما تلا كتابا من الله تلته كتيبة خضراء

وكفاه المستهزئين وكم سا ء نبيا من قومه استهزاء

ورماهم بدعوة من فناء الـ بيت فيها للظالمين فناء

خمسة كلهم أصيبوا بداء والردى من جنوده الادواء

فدهى الاسود بن مطلب أيـ ـى عمى ميت به الاحياء

ودهى الاسود بن عبد يغوث أن سقاه كاس الردى استسقاء

(قوله كتيبة الخ) وهي كتيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي دخل مكة وهو فيها على ناقته القصواء بين أبي بكر وأسيد بن حضير ولما رآها أبو سفيان رأى ما لا قبل له به فقال للعباس لقد أصبح ملك ابن أخيك ملكا عظيما فقال له العباس ويحك انه ليس بملك ولكنها النبوة وروى البخاري عن عبد الله بن مغفل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة على ناقته وهو يقرأ سورة الفتح ويرجع اهـ ابن حجر

وأصاب الوليد خدشة سهم
قصرت عنها الحية الرقطاء
وقضت شوكة على مهجة العا
ص فلله النقعة الشوكاء
وعلى الحرث القيوح وقد سا
ل بها رأسه وساء الوعاء
خمسة طهرت بقطعهم الار
ض فكف الاذى بهم شلاء
فديت خمسة الصحيفة بالخمـ
ـسة ان كان للكرام فداء

الكاس والسقى اللذين هما من لوازم المشبه به استعارة تخييلية (قوله وأصاب الوليد) أى ابن المغيرة وقوله خدشة سهم أى أثر جرحه بأسفل رجله من شخص فى يده نبل وقيل أصابت ذيله شوكة فمنعه الكبر أن يهوى لقلعها فضربها السوط فأصابت رجله فتماكت ومات منها وكان ذلك قبل وقعة بدر وكان سم ذلك أسرع الى هلاكه وأشنع من سم الافاعى فلذلك قال قصرت عنها أى عن تلك الخدشة الحية الرقطاء أى التى يخالط سوادها نقط بيض وهى أعظم الحيات أذى وأسرعها اهلاكا ووجه قصورها عنها فى الافضاء الى القتل ان الحية قد يقع البرء من لسعتها بخلاف تلك الخدشة فانها كانت قاتلة له حتما لاسيما وهى من آثار تلك الدعوة المقبولة التى رماهم بها من فناء البيت (قوله وقضت شوكة) أى دخلت فى أخمص رجله وقوله العاص بن وائل أى قتلته قتلا عجيبا وقوله فلله صغية تعجب من تأثير هذه الشوكة وقوله النقعة من قولهم الناس نقائع الموت أى انه يجزرهم كما يجزر الجزار النقيعة أى البهيمة التى تذبح فى الموت وقوله الشوكاء من قولهم بردة شوكاء أى خشنة الملمس أى ما أعجب هذه القتلة الشديدة التى حصلت من تلك الشوكة القليلة التأثير عادة فلله درها من شوكة نحرته فى أسرع وقت (قوله وعلى الحرث) معطوف على مهجة العاص أى وقضت على مهجة الحرث القيوح جمع قيح وهو المدة البيضاء التى لا يخالطها دم وقوله وقد سال جملة حالية وقوله وساء الوعاء أى قبح ذلك الرأس الذى هو الوعاء لتلك القيوح القاتلة لصاحبه (قوله خمسة) أى هؤلاء الملاعين خمسة طهرت بقطعهم أى هلاكهم الارض أى مكة ونواحيها أو مطلقا لان ضررهم سرى الى جميع الجهات وقوله فكف الاذى أى الذى حصل للناس منهم لاسيما نبينا صلى الله عليه وسلم وقوله بهم على حذف مضاف والباء سببية أو بمعنى مع أى بسبب فقدهم وقطعهم أو معهم وقوله شلاء أى فاقدة الحركة فعلم أنه شبه الاذى بانسان من باب تشبيه المعقول بالمحسوس لافادة ان الاذى لو تجسم لكان انسانا يقدر على ايصال ما يريده بأى وجه كان ثم أثبت له ما هو من لوازم المشبه به وهو الكف التى يتناول بها سائر المضار التى يريدها ووصفها بالشلل لبيان أن الاذى صار بفقدهم معطلا لا حركة فيها ولا تأثير ففى الكلام استعارة مكنية يتبعها استعارة تخييلية وذكر الشلل الملائم للمشبه به ترشيح (قوله فديت) بالبناء للمفعول يقال فدى لك بفتح أوله فيقصر وبكسره فيمد وهذه الجملة دعاء متضمن للتعظيم فهى خبر لفظا انشاء معنى فالمعنى اللهم اجعلهم فداءهم من المؤذيات وقوله خمسة الصحيفة الآتى بيانهم وكانوا وقت نقضها كفارا وأسلم منهم بعد ذلك اثنان هشام وزهير وبقيتهم ماتوا كفارا وقوله بالخمسة أى الملاعين السابق ذكرهم أى جعلت جملة الخمسة فداء لكل واحد من أولئك من كل مكروه فليست المقابلة هنا من قبيل ركب القوم دوابهم وقوله ان كان ان شرطية جزاؤها محذوف يدل عليه ما قبلها تقديره فسأل الله فداءهم والمراد الفداء من عذاب النار بالنسبة لمن مات منهم كافرا لكنه لا فداء للكفار منهم فلا أسأله وأما بالنسبة لمن أسلم منهم فلا يظهر فيه كلام الناظم لانه لا يحتاج الى فداء لكونه سعيدا ولا يصح أن المراد الفداء من الموت لانهم ماتوا قبل الناظم بزمان طويل فلا يصح أن يسأل فداءهم من الموت وقوله للكرام فداء أى وأولئك الخمسة الذين سعوا فى نقض الصحيفة من جملة الكرام الذين يتعين فداؤهم عند الحاجات والشدائد ان نفع الفداء لانهم بذلوا نفوسهم فى أمر عظيم جدا كما يعلم من القصة وحاصلها ان قريشا لما رأت عزة النبى صلى الله عليه وسلم بفشو الاسلام فى القبائل وبأمره بضعة عشر من أصحابه بالهجرة الى الحبشة واستمرارهم فيها منهم عثمان وزوجته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ذلك فى سنة خمس من النبوة أجمعوا على أن يقتلوا النبى صلى الله عليه وسلم فبلغ ذلك أبا طالب فأتوا اليه بعمارة بن الوليد وكان أعز فتى فيهم وطلبوا منه أن يأخذه بدل ابن أخيه فأبى حمية وغيرة على عادة الاقارب وجمع بنى هاشم وبنى المطلب فأدخلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم شعبهم وهو المكان الضيق بين الجبلين ونسب اليهم لانه كان مسكنهم ومنعوه ممن أراد قتله فلما رأت قريش ذلك أجمعوا واشتوروا ان يكتبوا كتابا يتعاقدون فيه ويتعاهدون على

(قوله فديت الخ) وأولئك الخمسة الذين سعوا فى نقض الصحيفة من جملة الكرام الذين يتعين فداؤهم عند الحاجات والشدائد ان نفع الفداء لانهم بذلوا نفوسهم فى أمر عظيم جدا كما يعلم من ذكر قصتها وهى أن قريشا لما رأت عزة النبى صلى الله عليه وسلم بأمره بضعة عشر من أصحابه منهم عثمان وزوجته رقية بنت النبى صلى الله عليه وسلم بالهجرة الى الحبشة وباسلام حمزة ثم عمر أجمعوا على أن يقتلوه فبلغ ذلك أبا طالب فأتوا اليه بعمارة بن الوليد ليأخذه بدل ابن أخيه فأبى وجمع قومه وأدخله صلى الله عليه وسلم شعبهم خوفا عليه اه ابن حجر

بنى هاشم وبنى المطلب أن لا يناكحوهم ولا يبايعوهم ولا يقبلوا منهم صلحا حتى يسلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتل وكتبوا ذلك فى صحيفة بخط بعضهم وهو منصور بن عكرمة فشلت يده وعلقوا الصحيفة فى جوف الكعبة تأكيدا فى حفظها وبقائها وكان ذلك فى هلال المحرم سنة سبع من النبوة فانحاز بنو هاشم وبنو المطلب الى أبى طالب فدخلوا معه فى شعبه الا أبا لهب فكان مع قريش فأقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثا حتى جهدوا وكان لا يصل اليهم شئ الا سرا حتى ان حكيم بن حزام ابن أخت خديجة عاش مائة وعشرين سنة نصفها فى الجاهلية ونصفها فى الاسلام حمل غلامه حبارا يديه عمته خديجة فلقيه أبو جهل فمنعه فلما مضت تلك المدة قام أولئك الخمسة فى نقضها وكان رئيسهم هشام بن الحرث أول من مشى فى نقضها لعزنه بعمه لامه الذى هو أخو عبد المطلب ومن ثم كان يواصل بنى هاشم فيأتيهم ليلا بالبعير وعليه الطعام فمشى الى زهير بن عاتكة بنت عبد المطلب فقال أرضيت أن تأكل الطعام وتلبس الثياب وتنكح النساء وأخوالك حيث علمت وشدد عليه حتى قال لو وجدت معى رجلا لنقضتها فقال أنا معك فقال ابغ أى اطلب لنا ثالثا فذهب الى المطعم واستنخاه أى عظمه بالمدح يقال استنخاه اذا عظمه بالمدح حتى قال لو وجدت رجلا قال أنا معك وزهير بن أبى أمية قال ابغ لنا رابعا فذهب الى أبى البحترى فاستنخاه أيضا فقال وهل من معين فذكرله أولئك فقال ابغ لنا خامسا فذهب الى زمعة واستنخاه فقال هل من أحد فذكرله القوم فاجتمعوا بالحجون وأجمعوا على نقضها فقال لهم زهير وأنا أول من يتكلم فلما أصبحوا غدوا الى أنديتهم وغدا زهير فى حلة جميلة فطاف سبعا ثم أقبل على الناس وقال يا أهل مكة أنأكل الطعام ونلبس الثياب وبنو هاشم كما ترون والله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة الظالمة القاطعة قال أبو جهل كذبت والله لا تشق قال زمعة أنت والله أكذب أى من كل كاذب لا من زهير ما رضينا كتابتها حين كتبت وقال أبو البحترى صدق زمعة ما نرضى ما كتب فيها ولا نقره وقال المطعم صدقتما وكذب من قال غير ذلك نبرأ الى الله منها ومما كتب فيها قال أبو جهل هذا أمر قد قضى بليل اشتور تم فيه بغير هذا المكان وأبو طالب جالس فقام المطعم الى الصحيفة ليشقها فوجد الارضة قد أكلتها الا ما كان من اسم الله ولا يعارض ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ذلك قال لابى طالب يا عم ان ربى سلط الارضة على صحيفة قريش فلم تدع فيها اسما هو لله الا أثبتته ومحت منها الظلم والقطيعة والبهتان فقال أربك أخبرك بهذا قال نعم فأخبرهم أبو طالب بذلك وقال أنزلوها فان صدق فانتهوا عن قطيعتنا والا دفعته اليكم فنظروها فاذا هى كما قال صلى الله عليه وسلم وذلك لانه لا مانع أنهم لما نظروا ذلك صمموا وازدادوا شرا فقام أولئك الخمسة فى اذهابها من أصلها فسعوا فى نقضها وبذلوا جهدهم فيه (قوله فتية) أى اذا تقرر ذلك علم أنهم فتية أى كرام جمع فتى وهو السخى الكريم وقوله بيتوا أى دبروا واشتوروا بالحجون ليلا وقوله على فعل خير هو نقضها والمخاطرة بالنفوس دونه لشدة قريش فى بقائها مع كثرتهم وعتوهم وقوله حمد الصبح بكسر الميم أى الفجر الى الزوال ويدل على الثانى المقابلة بالمساء الذى هو من الزوال الى الغروب وقوله أمره أى شأنه وغايته واسناد الحمد الى هذين الزمانين مجاز دال على شدة المبالغة فى وقوع الحمد وطلبه على ذلك فسائر العقلاء أولى وأحق (قوله يالأمر) بفتح اللام هو نقضها وناداه على طريق الاستغاثة تنزيلا له منزلة العاقل مبالغة فى تعظيمه ولذا كان مفيد التعجب وقوله بعد هشام أى ابن الحرث وقدمه لما مر من أنه أول الخمسة والسبب فى اجتماعهم وقوله زمعة بفتح الراى وسكون الميم ابن الاسود وقوله انه بالكسر استئناف فيه معنى التعليل وقوله الفتى أى الكريم فى قومه وقوله الاتاء صيغة مبالغة من أتى يأتى ووصفه بذلك لكونه بادر بتكذيب أبى جهل (قوله وزهير) أى ابن أمية وأمه عاتكة بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله وأبو البحترى بضم الباء الموحدة وسكون الحاء المهملة وضم التاء الفوقية وقوله من حيث شاؤا ظرف مكان حقيقة أو مجازا أى من المكان الذى قصدوه لتدبير أمرهم ولتشاورهم عليه فلذلك وقع فعلهم الموقع الذى قصدوه وأتم

فتية بيتوا على فعل خير
حمد الصبح أمرهم والمساء
يالأمر أتاه بعد هشام
زمعة انه الفتى الاتاء
وزهير والمطعم بن عدى
وأبو البحترى من حيث شاؤا

(قول المحشى أى الفجر الى الزوال الخ) فى عبارته سقط وعبارة ابن حجر حمد الصبح أى الفجر أو الصباح وهو من الفجر الى الزوال ويدل على هذا مقابلته بالمساء الذى هو من الزوال الى الغروب اه وقول المحشى أمره بضمير المفرد ومثله فى ابن حجر ويكون الضمير راجعا للخير وفى نسخ المتن أمرهم فالضمير للفتية

الانتاج الذى دبروه فالمعنى وأتى هؤلاء الجسة النقض لا عن غير ميعاد واتفاق ومواطأة بل انما توه اتيانا كائنا من حيث شاؤا (قوله نقضوا) بدل من فعل خبر من نقض العهد أى أبطله وقوله مبرم أى محكم وأصله كالبريم الحبل الذى جمع من مفتولين وفتلا حبلا واحدا وقوله الصحيفة أى التى توافقت قريش على ابقائها على الدوام الا أن يسلم بنو هاشم والمطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم وقوله اذ شددت أى وقت أو لاجل اذ شددت أى صممت عليه أى على ذلك الامر المبرم وهو عدم نقضها وقوله من العدا بيان لقوله الانداء جمع ناد وهو العشيرة فالمراد بالانداء هنا القبائل والعشائر وان كان أصل النادى المكان الذى يجلس فيه للتحدث والسمر فسمى من فيه باسمه اطلاقا لاسم المحل على الحال فيه أى نقضوا هذا الامر المبرم الذى نواه عشائرهم وصمموا عليه (قوله أذكرتنا) أى بعد نسياننا هذا هو الذى يقتضيه التعبير بالاذكار لكن لا يظهر فى مثل المصنف ممن يخالط القرآن اذ هذه القصة منصوصة فيه لا تعزب عنه فيحمل الاذكار بالنسبة لمثله على التنبيه والايقاظ فى بعض الاوقات وهذه الجملة استئنافية قصد بها بيان أن لا كل الارضة الصحيفة نظير اكل العصا سليمان وقوله بأكلها أى لتلك الصحيفة والضمير الارضة الآتية التى هى الفاعل فهو عائد على متقدم رتبة وقوله أكل مفعول ثان لاذكرت وقوله منساة سليمان أى عصاه وهو ابن داود عليهما الصلاة والسلام وقوله الارضة بفتح الراء وقد تسكن كما هنا وهى دويبة تأكل حتى الخشب أكلا ذريعا اذا تم لها سنة تخلق لها جناحان فتطير بهما وقوله الخرساء فيه تجنيس من شأنها اذ ليس من شأن الاخرس التذكير واثبات الخرس لها مجاز اذ حقيقته فقد النطق عمن شأنه النطق * وحاصل قصتها أن داود عليه السلام شرع فى بناء بيت المقدس أى فى اعادته بعد انهدامه والا فأول من بناه آدم عليه السلام بعد بناء الكعبة بأربعين سنة فمات داود قبل اكماله وأوصى ابنه سليمان بأن يتمه فسخر سليمان الجن للبناء فيه والاعمال الشاقة فصاروا يكملون فيه الى أن علم سليمان أن أجله قد قرب فأمرهم ببناء قصر من زجاج ففعلوا فدخل فيه وأغلق بابه واستند على العصا فمات واستمر سنة وهو واقف مستند ميت وهم يدأبون فيما سخرهم فيه من الاعمال الشاقة لاعتقادهم حياته ثم خر ساقطا فرأوه من خارج القصر ففتحوا عليه فرأوه ميتا فاختبروا مدة موته فوضعوا أرضة على العصا فأكلت منها يوما وليلة فعرفوا مقدار ما أكلته وعرفوا به أنه ميت من سنة وتبين لهم كذبهم فى ادعائهم علم الغيب كما قال تعالى فلما قضينا عليه الموت الآية (قوله وبها) أى وبأكلها الصحيفة فالضمير عائد على الاكل وانثه لاكتسابه التأنيث من المضاف اليه وهو المنساة عليه وقوله أخبر النبى صلى الله عليه وسلم أى عمه أبا طالب وهو أخبر قريشا كما مر وقوله وكم أى مرات كثيرة أخرج صلى الله عليه وسلم خبأ بفتح الخاء أى شيئا مخبأ أى مغيبا ومعنى اخراجه له اظهاره ونصه عليه وقوله الغيوب خبأ الجملة نعت لخبأ أى ساترة أى كانت مستورة ومغيبة قبل اخباره عنها واعلم ان الله تعالى هو المختص بعلم الغيب وأن ما يحصل لانبيائه وأوليائه منه فهو اما بوحى من الله أو الهام واعلم أيضا أن المغيبات التى أخبر عنها لا تحصر ومن جملتها ما فى القرآن مع كثرته وخبر الطبرانى ان الله قد رفع لى الدنيا وأنا أنظر اليها والى ما هو كائن فيها الى يوم القيامة كأنما أنظر الى كفى هذا وخبر أبى داود قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما فما ترك شيأ الى قيام الساعة الا حدثنا به واخباره بأمارات الساعة الكثيرة جدا فوقع منها كثير وينتظر وقوع الباقى ومما وقع منها النار التى قال عنها كما رواه الشيخان لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضىء لها أعناق الابل ببصرى فخرجت نار عظيمة على نحو مرحلة من المدينة وتقدمها زلزلة عظيمة وكان ذلك بعد عشاء الاربعاء ثالث جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وستمائة ولم تزل تشتد وتعلى كغليان البحر الى أن ارتجت منها الارض ومن عليها حتى أيقن أهل المدينة بالهلاك وكثرت الزلازل حتى وقع منها فى يوم ثمان عشرة زلزلة لكن ببركته صلى الله عليه وسلم كان يغشى المدينة نسيم بارد ورؤيت منها مكة وجبال بصرى وانطفأت ليلة سبع وعشرين من رجب فتكون مدتها أربعة وخمسين يوما وقد أوسع

نقضوا مبرم الصحيفة اذ شد
دت عليهم من العدا الانداء
أذكرتنا بأكلها أكل منسا
ة سليمان الارضة الخرساء
وبها أخبر النبى وكم أخـ
ـرج خبأ له الغيوب خباء

(قوله واعلم أيضا أن المغيبات التى أخبر عنها الخ) ومن ذلك موت النجاشى يوم مات بالحبشة وصلى عليه بأصحابه وأنه وأبا بكر وعمر وعثمان صعدوا أحدا فتحرك فضربه برجله وقال له أثبت فانما عليك نبى وصديق وشهيدان فاستشهدا وأن ملك كسرى وقيصر ينقطع بعده من العراق والشام فكان كذلك فى زمن عمر وأنه قال لسراقة كيف بك اذا لبست سوارى كسرى فألبسهما عمر له لما زال ملك كسرى فى زمنه تحقيقا لذلك وأخبر عمه العباس ببدر بما تركه بمكة من المال عند زوجته ولم يطلع عليه أحد غيرهما اهـ من ابن حجر

المؤرخون في أخبارها بما يطول استقصاؤه (قوله لاتخل) بفتح التاء الفوقية من خلت الشئ ظننته وهذا في المعنى متفرع على ماقبله فكأنه قال واذا تأملت ما أطلعه الله عليه من الغيوب لاسيما ما يتعلق بأمر الحنيفية علمت أن ذلك من تمام عنايته به وأنه لايضيعه ولايهمله ولايضيمه قط فحينئذ لاتخل جانب النبي صلى الله عليه وسلم هو في الاصل شق الانسان وأريد به هنا كله تعبيرا بالبعض عن الكل فالاضافة بيانية وقوله مضاما أى مضيعا وقوله حين مسسته ظرف لمضاما وقوله منهم متعلق بقوله الاسواء أى الاذيات الكثيرة حال كونها صادرة منهم كضربه وخنقه وشج وجهه وغير ذلك (قوله كل أمر) أى من الامور العظيمة الخ مبتدأ على أن ما أصابه من الاذيات له فيه أسوة بالانبياء قبله اذا أصابهم من أممهم مثل ذلك بل أكثر لكن كل أمر ناب أى أصاب النبيين فالشدة فيه أى التي تحصل لهم منه وقوله محمودة أى لانها الرافع درجاتهم العلية لانهم أكثر الناس شهودا لفعل الله تعالى سواء وقع على يد مسلم أو كافر فلا ينظرون الى الاسباب الظاهرة وانما يشهدون الحق تعالى في كل شئ وقوله والرخاء أى السعة محمود أيضا لانهم لايشهدون الا الحق دائما وأبدا (قوله لويمس الخ) بمنزلة التعليل لما قبله والنضار الذهب وهو بضم النون وقوله هون بضم الهاء أى هوان وعيب وقوله من النار أى من ادخاله فيها لاختبار خلوصه من الغش والنقص وقوله الصلاء بكسر الصاد المهملة المشددة أى العرض على النار وذلك لعزته على النفوس فالانبياء كالذهب والشدائد التي تصيبهم كاصابة النار للذهب فكما أن النار لاتزيد الذهب الا حسنا فكذلك الشدائد لاتزيد الانبياء الا رفعة (قوله كم يد) أى جارحة وكم خبرية تكثيرية وهذا كالدليل لقوله لاتخل جانب النبي صلى الله عليه وسلم وقوله كفها الله أى منعها وخذلها وقوله وفي الخلق جملة حالية وقوله واجتراء أى شجاعة واقدام على كل فعل خطر لهم من غير نظر في عاقبته وصح أنه مر ذات يوم على كفار قريش وهم عند الكعبة فآذوه ثم مر عليهم ثانيا فآذوه ثم ثالثا كذلك فوقف على رؤسهم ولم يكن معه أحد من أصحابه وقال يا كفار قريش أتدرون ما جئتكم به والله لقد جئتكم بالذبح فوقعت هذه الكلمة في قلوبهم موقعا عظيما وخافوا منه وألانوا له القول وقالوا اذهب يا أبا القاسم فوالله ما عهدت جهولا وان جهلنا عليك (قوله اذ دعا) ظرف لقوله كفها أى طلب حال كونه وحده العباد أى كلهم الى عبادة الله وترك ما هم عليه من الجهالات والاباطيل والضلالات وقوله وأمست معطوف على دعا أى حصلت فان أمسى تستعمل كثيرا بمعنى الحصول وقوله في كل مقلة أى منهم وهى شحمة العين التي تجمع السواد والبياض وقوله أقذاء جمع قذى وهو ما يسقط في العين مما يؤلمها ويكدرها وهذا معنى المقلة والقذى في الاصل لكن المراد بالمقلة هنا عين بصيرتهم والقذى ما حصل لهم فيها من الرين والصدا الحاجب عن الايمان ويصح بقاء المقلة والقذى على معناهما الاصلى الذى عرفته ويكون الكلام على سبيل المبالغة أى فكأن أعينهم مرضت بالفعل وأصابها الرمد من حيث انها لاتطيق مقابلته ولا النظر اليه فكأنما تضعف ويصيبها القذى اذا توجه اليهم وشافههم بالامر بالتوحيد والنهى عن غيره (قوله هم قوم) أراد بهم هنا ما يشمل النساء وهذا دليل آخر على قوله كم يد كفها الله عن نبيه وقوله بقتله أى بالسيف وقوله فأبى السيف أى امتنع من الوصول اليه والتأثير فيه وقوله وفاء أى لاجل وفائه بما أخذ عليه كبقية الخلق من الايمان بمحمد واجلاله وتوقيره وتعظيمه وذلك الامتناع وقع له غير مرة فقد جاء أنه كان ذات يوم نائما تحت شجرة وقد علق سيفه بها فجاء أعرابي فأخذ السيف واستله من غمده وهم بقتله صلى الله عليه وسلم فتيقظ فقال الاعرابي من يمنعك مني قال الله فارتعد الاعرابي وسقط السيف من يده فأخذه صلى الله عليه وسلم وقال من يمنعك مني فقال الاعرابي كن خير آخذ بالمعروف فعفا عنه فرجع الى قومه وقال جئتكم من عند خير الناس فأسلموا وقوله وفاءت أى رجعت على رأسها وقوله الصفواء أى الحجارة وهى جمع صفاة أى رجعت عن اصابته بل جدت في يد راميها الذى هم أيضا بقتله (قوله وأبو جهل)

لاتخل جانب النبي مضاما
حين مسته منهم الاسواء
كل أمر ناب النبيين فالشد
دة فيه محمودة والرخاء
لو يمس النضار هون من النا
ر لما اختير للنضار الصلاء
كم يد عن نبيه كفها الله
وفي الخلق كثرة واجتراء
اذ دعا وحده العباد وأمست
منه في كل مقلة أقذاء
هم قوم بقتله فأبى السيـ
ـف وفاء وفاءت الصفواء
وأبو جهل اذ رأى عنق الفحـ
ـل اليه كأنه العنقاء

(قوله اذ دعا وحده الخ) قال العلامة ابن حجر وذلك لانه صلى الله عليه وسلم في ابتداء أمره مع وحدته وقلة عضده وناصره كان يدعوهم الى الايمان بالله وحده وينادى عليهم في أنديتهم بتسفيه أحلامهم وسب آلهتهم ورميها بكل عيب وسوء فيبالغون حتى أقرب أقاربه كعمه أبي لهب في ايذائه والتجرئ عليه لكثرتهم ووحدته وهو مع ذلك محروس بحراسة الله مكلوء بكلاءته محفوظ بحفظه متماد على ما هو فيه غير ملتفت لايذائهم بل صابر عليه الصبر الجميل وأمره لايزداد الا ظهورا وعلوا وأصحابه وأعوانه يكثرون ويتقوون على أعدائهم شيئا فشيئا الى أن مكنه الله تعالى من نواصي أعدائه

معطوف على قوم أى وهم "أبو جهل عمرو بن هشام بقتله وذلك أنه اجتمع مع قريش يوما فجاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وبالغ فى انذارهم وسب آلهتهم ثم انصرف عنهم فقال أبو جهل يامعشر قريش ان محمدا قد أبى الا ماترون منه وانى أعاهد الله أن أجىء له غدا بحجر لايطيق حمله فاذا سجد رضخت به رأسه فلما أصبح فعل كما وصف فلما سجد صلى الله عليه وسلم وقريش ينظرون احتمل اللعين الحجر ثم أقبل نحوه حتى اذا دنا منه رجع منهزما منتقعا لونه مرعوبا قد يبست يداه على حجره فقالوا له ماشأنك ياأبا الحكم قال قمت اليه لأفعل ماقلت لكم البارحة فلما دنوت منه عرض لى دونه فحل من الابل مارأيت مثل هامته ولا مثل صورته وأنيابه فهم بى أن يأكلنى وقد قال صلى الله عليه وسلم فى تفسير ذلك الفحل انه جبريل ولو دنا أبو جهل منى لأخذه وقوله اذ أى ظرف لهم "المقدر كما علمت أى وهم أيضا بقتله بالحجر أبو جهل وقت أن رأى عنق الفحل بسكون النون وضمها لغة والضم هنا متعين لاجل النظم وقوله اليه متعلق بمحذوف أى بارزا أو ممتدا اليه وقوله كأنه العنقاء أى الداهية العظيمة أو الطائر العظيم المعروف فقد قيل ان العنقاء كانت طيرا عظيما فى قطر الحجاز وجدت بعد عيسى عليه السلام وفرخت وكانت تختطف الصبيان فشكوا ذلك لخالد بن سنان قيل بنبوته وانه كان بين عيسى ونبينا والاصح خلافه فدعا الله تعالى فهلكت هى وفروخها ولم توجد بعد أصلا فصارت العنقاء بعد ذلك اسما دون مسمى وماتقرر من أن أبا جهل معطوف على قوم وأن اذ ظرف لهم المقدر فيه بعد من حيث انه يلزم عليه أن يكون المعنى أنه وقت رؤيته الفحل هم بقتله وذلك خلاف الواقع لانه حصل له حينئذ من الهيبة والخوف ماأذهله فالحق أنه معطوف على الصفواء أى رجعت الصفواء عن الوصول اليه وأبو جهل عن الرمى بها وقت رؤيته الفحل فاذ ظرف لفاءت مع فاعلها وماعطف عليه (قوله واقتضاه) معطوف على هم قوم أى طلب منه النبى أى من أبى جهل دين الاراشى أى طلب منه أن يؤدى ويدفع دين الاراشى بكسر الهمزة واسمه كهلة بن عصام بن اراش وقوله وقد ساء بيعه جملة حالية أى فجحود كره مع أن الكلام فى الشراء لانه نظيره له فهو من مراعاة النظير وقوله والشراء أى وشراؤه من هذا الرجل وغيره فأراد الناظم ذم بيعه وشرائه مطلقا الا فى خصوص الواقعة وحاصلها أن كهلة المذكور قدم مكة بابل يبيعها واشتراها أبو جهل ثم ماطله بأثمانها فجاء الاراشى فوقف على نادى قريش فقال هل من رجل يخلصنى من أبى الحكم فانى غريب وابن سبيل وقد غلبنى على حقى فقالوا لا يخلصك منه الا ذلك الرجل وأشاروا الى محمد صلى الله عليه وسلم وقالوا ذلك استهزاء فجاء الاراشى وقال ياعبد الله ان أبا الحكم قد غلبنى على حقى وقد سألت أولئك القوم فأشاروا اليك تخلصنى منه يرحمك الله فقام معه ليخلصه منه فأمروا واحدا منهم أن يتبعه لينظر ماذا يصنع فضرب صلى الله عليه وسلم بابه فقال من ذا قال محمد فاخرج الى فخرج اليه وقد انتقع لونه فقال أعط هذا الرجل حقه قال نعم لاتبرح حتى يأخذه فدخل فأخرجه اليه فجاء الى أولئك وأخبرهم بما وقع فجاء أبو جهل فقالوا له ويحك والله مارأينا مثل هذا الذى صنعت قط قال ويحكم والله ماهو الا أنه ضرب على بابى فسمعت صوته فلئت منه رعبا ثم خرجت اليه وان فوق رأسه لفحلا من الابل مارأيت مثل هامته ولا صورته ولا أنيابه والله لو أبيت لأكلنى (قوله ورأى المصطفى) أى ومن ثم رأى المصطفى أبو جهل أتاه بما أى بفحل ابل لم ينج منه بفتح ثم ضم وبضم ثم كسر مع تخفيف الجيم من نجا ينجو وأنجى ينجى فهو ناج ومنج وقوله دون الوفا أى عند عدم الوفاء لذلك الدين الذى للاراشى وقوله النجاء بوزن الضراب مبالغة فى ناج فالوفا مقصور ويجوز تخفيف الجيم بوزن سحاب فالوفاء ممدود أى ذلك الفحل الذى أتى له به لاينجى أو لاينجو منه النجاء بالمبالغة أى من تكررت نجاته من الامور الصعبة الا ان وفى ذلك الدين أو لاينجو منه النجاء بالتخفيف أى النجاة الا بعد ذلك الوفاء (قوله هو) أى ذلك الفحل المرئى فى هذه الواقعة ماقد رآه أى الفحل الذى قد رآه من قبل أى فى الواقعة السابقة فى قوله وفاءت الصفواء وقوله لكن أى لا استغراب فى ذلك لان هذا اللعين ماعلى مثله فى العتو والتهور السالبين لادراكه

واقتضاه النبى دين الاراشى وقد ساء بيعه والشراء
ورأى المصطفى أتاه بما لم ينج منه دون الوفا النجاء
هو ماقد رآه من قبل لكن ماعلى مثله بعد الخطاء

وأذاق من بقى منهم على كفره الهوان وأحل من خضع منهم لعزته مأمن البقاء والامان ومما ينبئك بعظيم ايذائهم له ونصره عليهم ماذكره أهل السير أن عمرو بن العاص قال للزبير ما أكثر مارأيت قريشا أصابوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له أن أشرافهم اجتمعوا فى الحجر فذكروا مايفعله بهم من سبهم وسب آلهتهم فطلع عليهم صلى الله عليه وسلم فاستلم الركن وطاف فلما مر بهم انتقصوه فساءه ذلك ثم مر بهم فأساؤه

والموجبين

والموجبين لهلاكه وقوله بعد الخطاء أى لان خطأه لا ينحصر فلا يعد ومد الخطاء لغة شهيره (قوله واعدت) عطف على هم قوم أى هيأت حمالة الحطب لقبت به لانها كانت تحمل حطب الشوك وتطرحه فى طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم ارضاء لزوجها لعنهما الله واسمها أم جميل بنت حرب بن أميه وقوله الفهر أى الحجر الذى يملأ الكف وذلك لما أنزل الله فيها وفى زوجها تبت يدا أبى لهب السورة وقوله وجاءت جملة حالية أى وقد جاءت اليه وهو فى المسجد وأبو بكر عنده بذلك الحجر لترميه به وقوله كانها الورقاء أى جاءت فى غاية السرعة والعجلة كانها الحمامة الورقاء أى الشديدة الاسراع أى حال كونها شبيهة بها فى ذلك فهى حال متداخلة (قوله يوم جاءت) يوم ظرف لاعدت وقوله غضبى حال وفى نسخة غيظا فهو تمييز وذلك من شدة ماسمعت من ذمها فى تلك السورة وقوله أفى مثلى أى وأنا بنت سيد بنى مخزوم والجار والمجرور متعلق بيقال بعده وقوله من أحمد بالتنوين للضرورة حال من الهجاء بعده وهو أى الهجاء السب والذم ونسبت القول اليه لانهم يعتقدون أن القرآن من عند يأته (قوله وتولت) عطف على أعدت وقوله ومارأته جملة حالية أى وكيف تراه وهو فى ظهوره للقلوب السليمة والعقول المستقيمة كالشمس وتلك المرأة فى غاية من عمى البصيرة وفساد السريرة ومن أين ترى الشمس مقلة أى عين عمياء ولما رآها أبو بكر قال يارسول الله انها امرأة بذية أى والبذى لا يخاطب فلو قمت من هذا المجلس لكان حسنا فقال انها لن ترانى فجاءت فلم تره فقالت ياأبابكر أين صاحبك انظر كيف يهجونى فوالله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه ثم انصرفت فقال أبو بكر يارسول لم ترك قال لم يزل ملك يسترنى منها بجناحه وفى رواية قد أخذ الله ببصرها عنى (قوله ثم سمته) أى ثم بعد ماوقع له من هذه الكرامات وقع له كرامة أخرى فى غزوة خيبر فى المحرم سنة سبع وقوله اليهودية وهى زينب بنت الحرث امرأة سلام بن مشكم وقوله الشاة أى جعلت فيها سما قاتلا لوقته لانها تشاورت معهم فى سموم كثيرة فاجمعوا لها على هذا السم بعينه فسمت به الشاة كلها لكنها أكثرت منه فى الذراع والكتف لما قيل لها انه يحب الذراع وقوله وكم أى مرات كثيرة سام من السوم الذى هو مقدمة الشراء أو الذى هو رعى الدواب وقوله الشقوة بكسر الشين وفتحها لغة أى واظب عليها واتصف بها وقوله الاشقياء أى الذين صاروا كالانعام بل هم أضل سبيلا ومنهم تلك المرأة فلما أهدتها اليه أكل منها وأكل بعض أصحابه فأخبره الذراع بأنها مسمومة فقال لاصحابه ارفعوا أيديكم وأرسل الى اليهود فجمعهم فقال لهم هل جعلتم فى هذه الشاة سما قالوا نعم قال ماحملكم على هذا قالوا قلنا ان كنت كذابا استرحنا منك أو نبيا لم يضرك السم (قوله فاذاع) أى أظهر له صلى الله عليه وسلم الذراع مؤنث وقد يذكر كما هنا باعتبار كونه عضوا وقوله من شر أى سم وقوله بنطق أى معجزة له كما صرح بذلك أعنى أنه أخبره بالنطق قوله صلى الله عليه وسلم أخبرتنى هذه الذراع وقوله اخفاؤه أى عند الحاضرين وقوله ابداء أى له صلى الله عليه وسلم أى هو وان خفى عليهم فقد ظهر له كل الظهور ولما قال لها ذلك أى أخبرتنى هذه الذراع صدقته فقال لها ماحملك على هذا قالت قلت ان كان نبيا فلن يضره وان لم يكن نبيا استرحنا منه ولم يعاقبها وتوفى من أصحابه الذين أكلوا بشر بن البراء واحتجم هو صلى الله عليه وسلم على كاهله من أجل الذى أكل منها وكان هذا السم يتحرك عليه كل عام حتى انه قال فى مرض موته مازالت أكلة خيبر تعاودنى حتى قطعت أبهرى فكان لها دخل فى موته لينال رتبة الشهادة حتى لا تفوته رتبة من رتب الكمال وجاء فى رواية أنها جاءت تسأل أى الشاة أحب اليه فقيل لها الذراع فعمدت الى عنز لها فذبحتها وصلتها أى شوتها ثم عمدت الى سم موح بالحاء المهملة أى مسرع لوقته فسمتها به وأكثرت منه فى الذراع والكتف ثم وضعتها بين يديه ومن حضر من أصحابه وفيهم بشر بن البراء فتناول صلى الله عليه وسلم الذراع فانتهش منها وتناول بشر عظما آخر فازدرد القمتيهما وأكل القوم فقال صلى الله عليه وسلم ارفعوا أيديكم فان

وأعدت حمالة الحطب الفهر وجاءت كانها الورقاء

يوم جاءت غضبى تقول أفى مثلى من أحمد يقال الهجاء

وتولت ومارأته ومن أين ترى الشمس مقلة عمياء

ثم سمته اليهودية الشاة وكم سام الشقوة الاشقياء

فأذاع الذراع مافيه من شر بنطق اخفاؤه ابداء

ثم مر بهم فأساؤه فوقف فقال أتسمعون يا معشر قريش أما والذى نفسى بيده لقد جئتكم بالذبح فأخذتهم كلمته وارتعدت منها فرائصهم فألانوا له القول وقالوا انصرف ياأبا القاسم فوالله ما كنت جهولا فاجتمعوا له فى الغد فى الحجر وفعلوا معه مثل ماذكر ثم وثبوا اليه وثبة رجل واحد يؤنبونه بسبب آلهتهم فأخذ بعضهم بمجمع ردائه فقام اليه أبو بكر وحال بينهم وبينه اهـ ابن حجر

وبخلق من النبي كريم
لم تقاصص بجرحها العجماء
من فضلا على هوازن اذ كا
نله قبل ذا فهم رباء
وأتى السبي فيه أخت رضاع
وضع الكفر قدرها والسباء
فحباها برا توهمت النا
س به أنما السباء هداء

هذه الذراع تخبرني بأنها مسمومة ومتوفى بشر فدفعها لاوليائه فقتلوها قصاصا (قوله وبخلق من النبي كريم) بل لاكرم منه أي بسبب ما تحلى به من كمال الحلم والعفو والصفح لم تقاصص بجرحها أي لبواطنهم بذلك السم اذ هو يجرح الباطن كما يجرح الحديد الظاهر وقوله العجماء أي المرأة الشبيهة بالعجماء أي البهيمة سميت بذلك لعدم نطقها فاطلاق العجماء على تلك المرأة استعارة تصريحية وما جرى عليه الناظم من أنها لم تقاصص بجنايتها أي لم تقتل قصاصا هو احدى طريقتين لاهل السير والاخرى أنه دفعها لاولياء بشر فقتلوها وان كانت أسلمت على القول باسلامها (قوله من فضلا) معطوف بعاطف محذوف على لم تقاصص أي وبخلق من النبي كريم منّ فضلا أي أنعم نعمة عظيمة وقوله فضلا مفعول مطلق أو لاجله أي منّ عليهم لاجل تفضله وكرمه الذي جبل عليه وفسر الشارح المنّ برفع الرق عنهم لانهم كانوا نساء وصغارا فرقوا بمجرد السبي فرفع الرق عنهم لاجل فضله أي احسانه العام عليهم وعلى غيرهم بلا عوض هكذا قال الشرح وهذا مشكل لان رفع الرق بعد حصوله لا يكون الا بالعتق ولم ينقل في القصة عتق من الصحابة لسبي هوازن فلعل هذا من قبيل الخصوصية حيث صح رفع الرق من غير صيغة اعتاق أو كان الحكم اذ ذاك أن الاسير من النساء والصبيان لا يرق بمجرد السبي وقوله على هوازن أي نسائهم وصبيانهم أو على رجالهم برد نسائهم وصبيانهم عليهم وهوازن قبيلة حليمة السعدية وهم أهل حنين المذكور في القرآن غزاهم عقب فتح مكة لما بلغه أنه اتفقت أشراف هوازن وثقيف على حربه فخرج اليهم سادس شوال سنة ثمان في اثني عشر ألفا عشرة جاء بهم من المدينة وألفان من طلقاء مكة فلما غلبهم أسر نساءهم وصبيانهم وكانوا ستة آلاف وأخذ ابلهم أربعة وعشرين ألفا وغنمهم فوق أربعين ألفا وحليهم أربعة آلاف أوقية وهرب رجالهم فجعل الغنيمة في الجعرانة وجعل عليها حرسا وتوجه لحرب الطائف فلما فتحه ورجع الى الجعرانة قسم هذه الغنيمة على المسلمين فبعد ذلك جاءت رجالهم طائعين مسلمين فقالوا يا رسول الله انا أهل وعشيرة وقد أصابنا من البلاء ما لم يخف عليك فامنن علينا منّ الله عليك وقام رجل من أقارب حليمة فقال يا رسول الله ان ما في الحظائر عماتك وخالاتك أي من الرضاع لانهن قريبات حليمة وحاضناتك اللاتي كن يكفلنك والحظائر جمع حظيرة وهي في الاصل ما يجعل للابل ويحوط عليها من عيدان الشجر ليقيها البرد والشمس فقال صلى الله عليه وسلم ان أحسن الحديث أصدقه أبناؤكم ونساؤكم أحب اليكم أم أموالكم فقالوا أبناؤنا ونساؤنا فرد عليهم ما كان له وسأل فضل المسلمين فيما لهم وما خصهم فردوه أيضا وقوله اذ كان اذ تعليلية لقوله فضلا فهو علة للعلة أو لقوله منا فهو علة ثانية فيكون حرف العطف مقدرا أي ولاجل أنه كان له قبل ذلك أي قبل المن والمراد بالقبل حالة رضاعه وقوله رباء بفتح الراء والمد أي تربية من ربوت في بني فلان وربيت فيهم اذا نشأت بينهم (قوله وأتى السبي) أصله الاسر أي أخذ الكافر والاستيلاء عليه والمراد هنا المسبي وقد تقدم أنه كان ستة آلاف رأس والمراد أنه أتى من حنين الى الجعرانة أي أمر صلى الله عليه وسلم بنقله ووضعه فيها ليقسمه هنالك وقوله فيه أخت رضاع جملة حالية أي أخت النبي صلى الله عليه وسلم من الرضاع واسمها الشيماء أو الشماء ولما أسروها قالت والله اني أخت صاحبكم فأتوا بها اليه فقالت يا رسول الله اني اختك قال وما علامة ذلك قالت عضة منك في ظهري فعرفها وقوله وضع الكفر صفة لاخت أي خفض الكفر القائم بها قدرها وكذلك وضع قدرها السباء بكسر السين أي الاسر القائم بها فاضمحل في جنب هذين النقصين ما فيها من اخوته كما اضمحل في جنب الكفر ما في نحو أبي طالب من العمومة والتربية ومنع الاعداء ثم منّ الله عليها بالاسلام فارتفع قدرها غاية الرفعة (قوله فحباها) أي أعطاها ما لم يكن في حسابها ولا ظنها وجاد على قومها لاجلها وقوله برا مفعول لاجله أي لاجل بره لها اذ رحم الرضاع كرحم النسب ويجوز أن يكون برا هو المفعول الثاني ويؤيده أنه أبدل منه قوله بسط الخ كما يأتي ولما بسط لها رداءه وأجلسها عليه خيرها فقال ان أحببت فعندي محببة مكرمة وان أحببت أن أمتعك

(قوله لم تقاصص بجرحها الخ) قال العلامة ابن حجر وقال الزهري أسلمت فتركها وفي مغازي سليمان التيمي نحوه وانها قالت استبان لي الآن انك صادق وأني أشهدك ومن حضر أني على دينك وأن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وجمع البيهقي بأنه يحتمل أن يكون تركها أولا فلما مات بشر قتلها به وبذلك أجاب السهيلي وزاد أنه تركها لانه كان لا ينتقم لنفسه ثم قتلها ببشر قصاصا ويحتمل أنه تركها لاسلامها فلما مات بشر تحقق بموته وجوب القصاص عليها فقتلت اه

(قوله اذ تعليلية) قال العلامة ابن حجر تنبيه جعل الناظم اذ تعليلية خلاف ما عليه الجمهور قالوا ولا دليل في ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم الآية لان التقدير بعد اذ ظلمتم وعلى الاول هل هي حينئذ حرف بمنزلة لام العلة أو ظرف بمعنى وقت

وترجعي الى قومك فعلت فاختارت قومها فمتعها وزادفي الاحسان اليها وأعطاها نعماوشاء وثلاثة أعبد وجارية ومن جملة الثلاثة غلام يقال له مكحول فزوجته بالجارية ولم يزل فيهم بقية من نسلهما وقوله توهمت الناس أى الذين رأوا ذلك البر أى وقع فى أذهانهم واسناد ذلك اليهم باعتبار ما من شأنه وقوله به أى بسبب ذلك البر الذى وصل اليها منه وقوله أنما بفتح الهمزة أداة حصر كمكسورتها عند الزمخشرى وجماعة وقوله السباء بالسين المكسورة المشددة ثم الباء الموحدة أى المسبيات أو النساء وان لم يكن مسبيات لانهن يسمين سباء لانهن يسبين القلوب والسباء جمع واحده سبي وقوله هداء بكسر الهاء مصدر هديت المرأة الى زوجها لكنه هنا بمعنى اسم الفاعل أى مهديات لعروس وجملة انما السباء فى محل مفعول توهمت الثانى أى توهم الناس أن النسوة اللواتى معها فى السبي غير مسبيات لعظيم ما لهن من الاكرام وانما جئن لاهداء عروس وجلائها عليه صلى الله عليه وسلم لان ذلك الاكرام انما يفعل مثله عادة لنساء يهدين عروسا لا لنساء مسبيات (قوله بسط المصطفى) بدل من بر أى ومن جملة ذلك البر أنه بسط الخ ويصح كونه بدلا من حبا وقوله من رداء من زائدة أى نشره وجعله فراشا لها تجلس عليه فهنيئا لها ذلك الاكرام وقوله أى فضل الخ نعت لرداء أى شرف عظيم لاغاية له وقوله حواه أى جمعه ذلك الرداء لمماسته لجسده الشريف لانه كان ملبوسا له (قوله فغدت فيه) أى صارت وقوله فيه خبر غدت أى صارت مندرجة فيه أى فى ذلك الفضل وقوله وهى سيدة النسوة جملة حالية من اسم غدت المستكن فيها والمراد النسوة اللواتى كن معها من سبي هوازن وهذه السيادة ثبتت لها عليهن لما حصل لها من التمييز الباهر عليهن لثبوت اخوتها له ومزيد اكرامه لها وقوله والسيدات الخ جملة حالية مؤكدة للتى قبلها أى والحال أن أولئك النسوة السيدات قبل أسرهن وقوله فيه أى فى ذلك الفضل أى بسببه صارت كأنها سيدتهن وكأنهن اماء لها مع كونهن سيدات قبل ذلك (قوله فتنزه) لما ذكر ما اختص به صلى الله عليه وسلم من جميل صفاته طلب من كل عاقل فاتته مشاهدة هذه الصفات التى لم توجد فى غيره أن ينزه سمعه بالاصغاء الى سماعها عوضا عما فاته من رؤيتها فقال فتنزه أى نزه نفسك وفرحها وأزل عنها الكدورات والغمومات فهو مأخوذ من قولهم خرجنا نتنزه فى الرياض وقوله فى ذاته أى فى أوصافها القائمة بها كالبياض والدعج وقوله ومعانيه أى صفاته الغير القائمة بذاته كصفة نومه وجلوسه ومشيه وقوله استماعا تمييز أى من جهة اصغائك الى أوصاف ذاته وجميل صفاته الآتية فى هذا النظم الجامع البديع فشبه الذات الشريفة وصفاتها بروضة نزيهة على سبيل الاستعارة بالكناية والتنزه تخييل وقوله ان عز أى ان فقد وفاتك منها متعلق باجتلاء أى اجتلاء منها اى اجتلاؤها فمن زائدة أى مشاهدتها ورؤيتها بالعين مأخوذ من جلوت العروس واجتليتها اذا نظرت اليها مجلية اى مكشوفة مزينة والمعنى ان فاتك رؤية ذاته الكريمة ومشاهدة هذه الصفات العالية فلا يفتك تفريغ سمعك لكل ما يلقى عليك من أوصاف ذاته وعلى صفاته (قوله واملأ السمع) أى لا تقتصر على سماعك القليل من ذلك بل املأ السمع بأن تكثر من ذلك حتى لو فرض أن ما تسمعه شيء محسوس وأن سمعك اناء واسع لملأته من ذلك المسموع وقوله من محاسن أى محاسنه التى لا توجد فى غيره وهذا جمع على غير قياس لان مفرده حسن لا محسن وقوله يمليها مأخوذ من أمليت الكتاب ويجوز ملأته وقوله الانشاد أى لهذه القصيدة وغيرها والنشد رفع الصوت ومنه انشاد الشعر أى رفع الصوت به وقوله نشدتك الله أى سألتك برفع نشيدى أى صوتى أى الانشاد من شخص شجى الصوت معرب لكلامه فقد قالوا من أقوى الاسباب الباعثة على حبه صلى الله عليه وسلم الاصوات المطربة بالانشادات بالصفات النبوية المعربة اذا صادفت محلا قابلا فانها تحدث للسامع سكرا وخفة وراحة وطربا وذلك يحدث عندها بسببين أحدهما أنها فى نفسها توجب لذة قوية الثانى أنها تحرك النفس الى جهة محبوبها فيحصل الميل للمحبوب واحضاره فى الذهن وقرب صورته من القلب واستيلاؤها على الفكر فيحصل للروح ما هو أعجب من سكر الشراب وأقوى من لذة عناق الشواب وقوله

بسط المصطفى لها من رداء
أى فضل حواه ذاك الرداء
فغدت فيه وهى سيدة النسـ
ـوة والسيدات فيه اماء
فتنزه فى ذاته ومعانيـ
ـه استماعا ان عز منها اجتلاء
واملأ السمع من محاسن يمليـ
ـها عليك الانشاد والانشاء

والتعليل مستفاد من قوة الكلام لا من اللفظ قولان المنسوب الى سيبويه الاول اهـ

(قوله فتنزه) قال العلامة ابن حجر قال الشارح هو من قولهم خرجنا نتنزه فى الرياض اهـ وكأنه جرى فى ذلك على العرف اذ التنزه كما فى القاموس التباعد ثم قال وأرض نزهة بعيدة عن الريف أى الخصب والزرع وعمق المياه وذبان القرى وومد البحار وفساد الهواء ثم قال واستعمال التنزه فى الخروج الى البساتين والخضر والرياض غلط قبيح اهـ وقوله الشارح أى الجوجرى

والانشاء أى نظم الشعر وتأليفه واسناد الاملاء الى الانشاد والانشاء مجاز لان المملى حقيقة انما هو المنشئ والناشد (قوله كل وصف له) أى ومهما بالغت على استفراغ وسعك فى ذلك التنزه واملاء السمع من تلك المحاسن أنه يجب عليك أن تعتقد أن محاسن ذاته وكمال صفاته لا يمكنك أن تحيط بها وكيف وكل وصف له من صفاته الذاتية والمعنوية ابتدأت أنت أو ابتدأت أنا فالتاء مضمومة أو مفتوحة والمراد ابتدأت به فى الذكر أى ذكرته أولا وقوله استوعب أخبار الفضل أى الاخبار الدالة على فضله وشرفه أى جمع أخبار الفضائل والكمال وقوله منه متعلق بابتداء الذى هو فاعل استوعب وأخبار مفعول مقدم أى كلما ابتدأت بوصف له وتأملت ما اشتمل عليه صريحا وايماء وجدت ذلك الوصف المبتدأ به جمع أنواع الفضل وغايات الكمال ولا يستبعد ذلك فان كل وصف من أوصافه آخذ بحجز بقية تلك الاوصاف والحجز بضم الحاء وفتح الجيم وآخره زاى معجمة هى الازار والعرا اذ لا يتحقق كمال وصف من أوصاف الانسان كمالا الا اذا كمل فى بقية أوصافه كالعلم والكرم والشجاعة والخلق الحسن وحينئذ فكل من صفاته يدل على ما وضع له مطابقة وعلى ما عداه منها ايماء والتزاما وبهذا التحقيق الذى تنبه له الناظم يعلم انه ثابت النظر كامل المعرفة متضلع من العلوم والمعارف ويجب على كل مكلف ان يعتقد ان من تمام الايمان به الايمان بأن الله خلق بدنه الشريف على وجه لم يظهر قبله ولا بعده فى آدمى ومن ثم قال الناظم فى بردة المديح * فهو الذى تم معناه وصورته * البيتين فتبين ان حقيقة الحسن الكامل تملك فيه وحده ولم تنقسم بينه وبين غيره لانه هو الذى تم معناه دون غيره ولو شورك لم يتم معناه واعلم ان الناظم شرح تمام معناه بما مر ويأتى ولم يشرح تمام حسن ذاته وانما أشار الى ذلك بقوله ليته خصنى برؤية وجه الخ وبقوله سيد ضحكه التبسم الخ وبقوله أو بتقبيل راحة الخ وقد تكفل بذلك الترمذى فى شمائله وغيره فليراجع (قوله سيد) أى العالمين الاولين والآخرين وقوله ضحكه أى الذى يظهر سروره به وقوله التبسم هو مبادى الضحك من غير صوت والضحك انبساط الوجه حتى تظهر الاسنان مع صوت خفى فان كان معه صوت يسمع من بعيد فهو القهقهة وما ذكره الناظم من ان ضحكه كان تبسما أى من غير صوت أصلا فهو فى غالب أحواله فلا ينافى ان الضحك الذى تقدم تعريفه وقع منه فى بعض الاحيان كحديث فضحك حتى بدت نواجذه وهى الاضراس وهى لا تظهر الا عند المبالغة فى الضحك وأما بكاؤه فكان من جنس ضحكه فلم يكن بشهيق ولا برفع صوت ولكن تدمع عيناه وجاء ان الله حفظه من التثاؤب وكذا بقية الانبياء والتثاؤب بالهمز بعد الالف وأما بالواو بعد الالف فغلط اهـ قسطلانى على البخارى ثم قال وهو تنفس ينفتح منه الفم من الامتلاء وثقل النفس وكدورة الحواس وقوله والمشى أى الكائن منه الهوينى تصغير الهون وهو السكينة والوقار والتعظيم قال ابن الانبارى العرب تمدح بالهين اللين مخففا وتذم بالهين اللين مشددا وقال غيره انهما بمعنى والاصل الثقيل مخفف وفى البيضاوى عند قوله تعالى يمشون على الارض هونا هينين أو مشيا هوينى مصدر وصف به والمعنى يمشون بسكينة وتواضع وكون مشيه الهوينى لا ينافيه ما ورد انه واسع دريع المشى لان معناه انه الخطا وقوله ونومه الاغفاء أى الخفيف بحيث لا يستغرق لان الاستغراق انما يتولد من نوم القلب وغفلته المتولدين عن الشبع المفرط وهو صلى الله عليه وسلم كسائر الانبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم ومن ثم كان من خصائصه انه لا ينتقض وضوءه بالنوم لكمال حياة قلبه وتيقظه ودوام شهوده لربه ومن ثم كان اذا نام لا يوقظ لانه لا يدرى ما هو فيه ومن ثم أيضا كان من خصائصه أنه لا يحتلم ولا ينزل منه منى فى النوم أصلا ولو بغير احتلام وغير رؤيا كما هو رأى الجمهور (قوله ما سوى خلقه النسيم الخ) لما أنهى الكلام على شىء من محاسن ذاته الشريفة شرع يذكر شيأ مما يتعلق بمحاسن أخلاقه فقال ما سوى خلقه أى ليس نظير خلقه النسيم وظاهر العبارة ان النسيم عين خلقه وليس مرادا بل المعنى على التشبيه أى لا يشبه خلق أحد الا خلقه الكريم والنسيم الريح أى فى غاية اللطافة واللين والطيب

كل وصف له ابتدأت به استو
عب أخبار الفضل منه ابتداء
سيد ضحكه التبسم والمش
ى الهوينى ونومه الاغفاء
ما سوى خلقه النسيم ولا غيـ
ر محياه الروضة الغناء

(قوله الهوينى) تصغير الهون وهو السكينة والوقار التعظيم نحو قول الشاعر
وكل أناس سوف تدخل بينهم
دويهية تصفر منها الانامل
وقد مدح الله من يمشون كذلك فقال عز قائلا وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا اهـ ابن حجر

وتشبيه

وتشبيه خلقه بالنسيم انما هو باعتبار ما فيه مما يقيت الروح ويحيي القلب ويجلي صدأ النفس وغير ذلك مما لا قيام لحقيقة الحيوان الا به وما اشتهر من ان المشبه به يكون أقوى من المشبه أمر أغلبي والا فقد يشبه الافضل بالمفضول لنكتة كما في صيغة التشهد والخلق بضمتين أو بضم فسكون والمراد هنا الثاني لاجل النظم وقد عرف الخلق الحسن بانه ملكة تسهل على من قامت به فعل الجميل وتجنب القبيح وقوله ولا غير محياه أي وجهه الروضة الغناء بالغين المعجمة أي الكثيرة النبات والازهار والثمار أي لبست الروضة الغناء الا وجهه والمعنى على التشبيه كما تقدم أي لا يشبهها وجه أحد غير وجهه صلى الله عليه وسلم **(قوله رحمة)** خبر مقدم وقوله كله مبتدأ مؤخر وقوله وحزم وعزم ووقار وعصمة وحياء الخمسة معطوفة على الخبر المقدم فيكون قد أخبر عن المبتدأ بستة أخبار وقدم واحدا منها عليه والرحمة عطف وميل نفساني غايته التفضل والانعام أي هو عين الرحمة وما عطف عليها مبالغة واشارة الى ان هذه المصادر الستة التي أخبر بها قد امتزجت بذاته واستحال انفكاكه عنها حتى كأنها هو وكأنه هي فهو رحمة للمؤمنين بالهداية والامان من القتل وللكافرين بتأخير العذاب عنهم ولسائر الحيوانات لانه ببركته ينزل المطر فينبت النبات ويكون لها قوتا وقال بعضهم الانبياء كلهم خلقوا من الرحمة ونبينا عين الرحمة لا يقال كيف هو عين الرحمة وقد جاء بالسيف واستباحة الاموال لانا نقول انما ذلك لمن أدبر واستكبر ولم ينفع فيه وعظ ولا ارشاد وقوله وحزم أي كله حزم أي جميع أحواله التي تصدر منه انما تصدر على غاية من الضبط والقوة والشدة الباطنة والظاهرة وقوله وعزم أي كله عزم من عزم على الشيء قطع به أي جميع ما يفعله بوحي أو اجتهاد انما يفعله مع امضائه والقطع به من غير اعراض عنه وقوله ووقار أي كله وقار لان الله ألقى عليه من المهابة ما لا غاية له وروي عن عمرو بن العاص قال صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم فما ملأت عيني منه قط حياء منه وتعظيما له ولو قيل لي صفه لما قدرت واذا كان هذا وهو من أجلاء الصحابة كذلك فما بالك بغيره فعلم انه لولا انه كان يباسطهم ويمزح معهم ويتواضع لهم لما قدر واحد منهم ان يجالسه ولا يحادثه لما ألقى الله عليه من المهابة والجلالة وقوله وعصمة أي كله عصمة أي حفظ مستحيل شرعا وقوع خلافه من سائر الذنوب صغيرها وكبيرها عمدها وسهوها قبل النبوة وبعدها في سائر حركاته وسكناته في باطنه وظاهره سره وعلانيته جده ومزحه رضاه وغضبه ومثله في ذلك الانبياء كلهم فهم معصومون وقوله وحياء أي كله حياء والحياء بالمد لغة تغير وانكسار يعتري الانسان من خوف ما يعاب به وشرعا خلق يبعث على اجتناب القبيح ويمنع من التقصير في حق ذي الحق وأما الحيا بالقصر فهو المطر وقوته وضعفه بقوة حياء القلب وضعفه وهو اقسام ثمانية يطول استقصاؤها منها حياء الكرم كحيائه ممن دعاهم الى وليمة زينب فطولوا عنده المقام واستحيا ان يقول لهم انصرفوا ومنها حياء المحبة وهو ما يخطر بقلب المحب في غيبة محبوبه فيهيجه اليه ومنها حياء العبودية وهو ممتزج بين محبة وخوف وغايته شهود عدم صلاح عبوديته لمعبوده فيستحيي منه لا محالة ومنها حياء المرء من نفسه ان رضيت بالنقص حتى كأن له نفسين يستحيي باحداهما من الاخرى وهذا أكمل ما يكون من الحياء وهو حياء النفوس الشريفة وهو الذي قال فيه صلى الله عليه وسلم الحياء لا يأتي الا بخير والحياء من الايمان رواهما البخاري قال ابن قتيبة معنى هذا الحديث ان الحياء يمنع صاحبه من ارتكاب المعاصي كما يمنع الايمان فجاز أن يسمى ايمانا لان العرب تسمي الشيء باسم ما قام مقامه وهو من التشبيه البليغ **(قوله لا تحل)** بضم الحاء البأساء أي الشدة وان أفرطت وهذا كالمتفرع على ما قبله وقوله منه متعلق بالصبر الذي بعده وقوله عرا الصبر الصبر حبس النفس على ما تكره وعراه أسبابه من الحلم والعفو والصفح والشجاعة وأقسام الصبر ثلاثة أعلاها صبر الصديقين وهو التلذذ بما يصيبهم من المكاره ويليه صبر الزاهدين وهو الرضا بما قدر الله وأراده ويليه صبر المتوكلين وربما اتصف بالشكوى وفي الكلام استعارة بالكناية حيث شبه الصبر

رحمة كله وحزم وعزم
ووقار وعصمة وحياء
لا تحل البأساء منه عرا الصبـ
ـر ولا تستخفه السراء

(قوله ووقار) عن أبي سعيد الخدري كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جلس في المسجد احتبى بيديه وكان كثير السكوت لا يتكلم في غير حاجة وكان ضحكه تبسما وكلامه فصلا لا فضول ولا تقصير وكان ضحك أصحابه عنده التبسم مجلسه مجلس علم وحياء وخير وأمانة لا ترفع فيه الاصوات ولا تنتهك فيه الحرم اهـ ابن حجر (قوله البأساء) أي الشدة وان أفرطت لا سيما في الحروب وقد استعرت نيرانها واصطلت عقول شجعانها اهـ ابن حجر

بالثوب السابغ ذي الازرار والعرا المخيل ولا تحل ترشيح وحسبك صبره على من سار بوه
يوم أحد ووقع منهم ما وقع فقال أصحابه لو دعوت عليهم فقال اللهم اغفر لقومي أو اهد قومي فانهم لا يعلمون أي
لا تعاجلهم بالعقوبة من أجلي فانهم لا يعلمون تفاصيل ما يترتب عليهم في ذلك من أنواع العذاب وأصناف
العقاب قال القاضي انظر ما في هذا القول من جماع الفضل ودرجات الاحسان وحسن الخلق وكرم النفس
وغاية الصبر والحلم اذ لم يقتصر على السكوت عنهم بل عفا عنهم ثم أشفق عليهم ورحمهم ودعا وشفع لهم فقال
اللهم اهد واغفر ثم أظهر الشفقة والرحمة بقوله لقومي ثم اعتذر عنهم فقال فانهم لا يعلمون وقد صح عن زيد بن
سعنة بسين مهملة وعين كذلك فنون مفتوحات وهو من أجل أحبار اليهود الذين أسلموا انه قال لم يبق من
علامات النبوة شيء الا وقد عرفته في وجه محمد حين نظرت اليه الا اثنتين لم أعرفهما منه يسبق حلمه غضبه
ولا تزيده شدة الجهل عليه الا حلما فابتعت منه تمرا الى أجل فأعطيته الثمن فلما كان قبل محل أجل التمر
بيومين أو ثلاثة أتيته فأخذت بمجامع قميصه وردائه ونظرت اليه بوجه غليظ ثم قلت ألا تعطيني يا محمد حقي
فوالله انكم يا بني عبد المطلب مطل فقال عمر أي عدو الله أتقول لرسول الله ما أسمع فوالله لولا ما أحاذر فوته
لضربت بسيفي رأسك ورسول الله ينظر الى عمر في سكون وتؤدة وتبسم ثم قال أنا وهو كنا أحوج الى غير هذا
منك يا عمر أن تأمرني بحسن الاداء وتأمره بحسن التقاضي اذهب به يا عمر فاقضه حقه وزده عشرين صاعا مكان
ما رعته ففعل فقلت يا عمر كل علامات النبوة قد عرفتها في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اثنتين وذكرهما
مامر وقد عرفتهما فاشهد انى قد أسلمت وقد قال الصحابة كنا اذا حمي البأس أي الحرب اتقينا برسول الله
صلى الله عليه وسلم أي جعلناه بيننا وبين العدو نقصد ناحيته محتمين به وقد قاتل في ثمان غزوات ولم يقتل أحدا بيده
الشريفة الا أشقى الاشقياء اللعين أبي بن خلف حين قال يوم أحد أين محمد لا نجوت ان نجا فتناول صلى الله
عليه وسلم الحربة من الحرث بن الصمة وقال لاصحابه خلوا سبيله فطعنه في عنقه طعنة كان فيها اتلاف نفسه
الخبيثة ولم يخرج منها دم ورجع بها الى قومه وقال لهم قد كان قال لي بمكة أنا أقتلك فوالله لو بصق على لقتلني
وقال لاصحابه لو كان هذا الذي بي بأهل ذي المجاز لماتوا جميعا والمجاز موضع بمنى كان به سوق في الجاهلية وورد
أن أشقى الاشقياء من قتل نبيا أو قتله نبي وقوله ولا تستخفه أي لا تخرجه عن ثباته ووقاره وتواضعه وقوله
السراء أي الرخاء والسعة في الجيوش والفتوح التي فتحها في آخر حياته بل هو معها كهو قبلها لم يزدد
الا تواضعا وسلما وعفوا وصبرا ومن ثم لما دخل مكة يوم الفتح في تلك الجيوش الهائلة وهو على ناقته القصواء في
كتيبته الخضراء دخل وهو خافض رأسه تواضعا لما رأى من اكرام الله له بهذا الفتح فازداد شكره وخضوعه
لعظمة الله تعالى حيث أحل له بلده ولم يحلها لاحد قبله (**قوله** كرمت نفسه الخ) هذا في المعنى كالتعليل لما قبله
أي وانما اتصف بهذه الكمالات التي لم توجد في غيره لانه كرمت نفسه أي طهرت من كل نقص واتصفت بكل
كمال لانه تعالى لما أراد ايجاد خلقه أبرز الحقيقة المحمدية من أنواره الصمدية في حضرته الاحدية ثم سلخ منها
العوالم كلها علويها وسفليها على ما اقتضاه كمال حكمه وسبق في ارادته وعلمه ثم أعلمه تعالى بكماله ونبوته
وبشره بعموم دعوته ورسالته وبأنه نبي الانبياء وواسطة عقد الاصفياء وأبوه آدم بين الروح والجسد
بل ولا روح ولا جسد ثم انبجست منه عيون الارواح وظهر بمد الهاني عالمها المتقدم على عالم الاشباح
وكان هو الجنس العالي على جميع الاجناس والاب الاكبر لجميع الموجودات والناس فهو وان تأخر
وجود جسمه متميز على العوالم كلها برفعته وتقدمه وقوله فما يخطر أي فبسبب كرامة نفسه وتشريفها عن
كل رذيلة ونقص لا يخطر السوء على قلبه وقوله ولا الفحشاء هي السوء الذي جاوز حده وذكرها مع السوء
لان المقام مقام اطناب وكيف يخطر السوء على قلبه وقد طهر بشق وغسله المرات المتعددة وأخرج ما فيه مما
جبل عليه النوع الانساني ثم ملئ من الحلم والعلوم ما لا يحيط به الا الله تعالى (**قوله** عظمت نعمة الاله عليه)

اى

كرمت نفسه فما يخطر السو
ء على قلبه ولا الفحشاء
عظمت نعمة الاله عليه
فاستقلت لذكره العظماء

(قوله لذكره) اللام
التأقيت أى وقت ذكره
ونظيره أقم الصلاة لذكرى
وأقم الصلاة لدلوك الشمس
وقولهم لثلاث خلون اه
حفني على ابن حجر

أي واذا تأملت ما آتاه الله من تلك الكمالات التي لا تحد ولا تعد علمت انه قد عظمت نعمة الاله عليه عظمة قطعت سائر الخلق عن أن يصل أحد منهم الى مبادي غاياتها ومقاصد نهاياتها وقوله فاستقلت أي فبسبب هذه العظمة المذكورة استقلت لذكره أي عند أو وقت ذكره والضمير راجع لنعمة الاله وذكره لاكتساب النعمة التذكير من المضاف اليه أو باعتبار كونها شيأ منعما به وقوله العظماء فاعل استقلت وهم الانبياء والصلحاء ومفعول استقلت محذوف أي جميع ما أنعم الله به عليهم ومعنى استقلالهم له انهم رأوه وعدوه قليلا في جانب ما أنعم الله به عليه فجميع ما أعطى لغيره انفرادا واجتماعا قليل في جنب ما أعطيه هو فليس المراد بالاستقلال الاحتقار كما قد يتوهم لان احتقار النعم قد يجر بما أدى الى الكفر (قوله جهلت قومه) أي قريش وغيرهم والمراد بالجهل لازمه من ايذائهم له أي آذوه أذى لا يطاق تحمله عادة فضربوه وخنقوه وأغروا به سفهاءهم وصغارهم فضربوه ودوروجوه بالحجارة الى أن أدموا رجليه فسال منهما الدم على نعليه وشجوا وجهه وكسروا رباعيته ورموه بالسحر والكهانة والجنون وتواعدوا على قتله مرات وحصروا لاجله بني هاشم وبني المطلب في شعبهم سنتين حتى كادوا ان يهلكوا كما هو جميع ذلك ان قلت ما حملهم على وصفه بالجنون وما شبهتهم في ذلك مع انه كان مشهورا بينهم بالامين ولم يجربوا عليه خللا ولا نقصا فالجواب ان شبهتهم في ذلك ما رأوه منه عند نزول الملائكة من الاستغراق لتلقي الوحي ومن حمرة الوجه وكثرة غطيطه وعميت قلوبهم عن الفرق بين هذه الحالة وحالة الجنون التي لا تخفى على أدنى عاقل وقوله فأغضى الاغضاء في الاصل اطباق العين عن رؤية المكروه فاستعير للتغافل وعدم الالتفات الى انه أوذى فضلا عن ان ينتقم ممن آذاه أي فأعرض عنهم حلما وكرما وقوله وأخو الحلم أي التأني في الامور وعدم الانتقام ممن أتى بمكروه وان عظم والمراد بأخيه الملازم له والمصاحب أي الذي طبعه الله عليه حتى صار غريزة له وقوله دأبه أي شأنه وعادته المستمر هو عليها وقوله الاغضاء أي التغافل عن ان يلتفت الى الخلق واذا كان أخو الحلم دأبه ذلك فكيف بنبينا وهو الذي وصل من الحلم الى غاية لم يصل اليها مخلوق لان الله تعالى تولى تأديبه بنفسه وأفاض عليه من حقائق حلمه وكل من عرف له حلم عرفت له زلة تنافي الحلم وهفوة الا نبينا صلى الله عليه وسلم فانه لا يزيد على كثرة الاذى الا صبرا ولا على جهل الجاهلين الا حلما ولما دخل في غزوة فتح مكة على قريش وقد جلسوا في المسجد الحرام وأصحابه ينتظرون أمره فيهم من قتل أو غيره قال لهم ما تظنون اني فاعل بكم قالوا خيرا أخ كريم وابن أخ كريم فقال أقول لكم كما قال أخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم اذهبوا فانتم الطلقاء (قوله وسع) بكسر السين العالمين جمع عالم وللمحققين فيه في الآية كلام منتشر لا بأس بتلخيصه وتحريره هنا وهو مع اشتقاقه من العلامة اسم لما يعلم به كالخاتم اسم لما يختم به مع كونه مشتقا من الختم ثم غلب فيما يعلم به الخالق فصار اسما لكل ما سواه تعالى من الجواهر والاعراض فانها لامكانها وافتقارها الى مؤثر واجب لذاته تدل على وجوده وجمع ليشمل ما تحته من الاجناس المختلفة ولا يعارضه ان المفرد وهو العالم أدل على الشمول والاستغراق اذ الجمع قد يحتمل غير الشمول لان الغرض هنا افادة ان له أجناسا مختلفة كالجن والانس والملك والافلاك والدواب والجماد وغير ذلك واستغراق جميعها بطريق المطابقة ولو قيل العالم بالافراد لاوهم استغراق بعض افراد الاجناس فقط وغلب في جمعه بالواو والياء والنون العقلاء لشرفهم وجمع جمع قلة مع ان الظاهر مستدع للاتيان بجمع الكثرة تنبيها على ان العوالم وان كثرت فهي قليلة في جنب عظمة الله وكبريائه وقيل العالم اسم وضع لذوي العلم فقط وهم الانس والجن والملائكة وتناوله لغيرهم انما هو على سبيل الاستتباع وعلى هذا فهو مشتق من العلم وينقسم العالم ثلاثة أقسام عالم الملك وهو الظاهر للحواس وعالم الملكوت وهو المدرك بالعقل وعالم الجبروت وهو المتوسط الذي أخذ بطرف كل منهما وقد اجتمعت الثلاثة في الانسان فهو من الاول باعتبار أجزاء بدنه ومن الثاني باعتبار روحه وعقله وارادته ومن الثالث باعتبار الادراكات بالحواس

جهلت قومه عليه فأغضى ... وأخو الحلم دأبه الاغضاء
وسع العالمين علما وحلما ... فهو بحر لم تعيه الاعباء

(قوله علما وحلما) بينهما الجناس المضارع لتقارب مخرجي العين والحاء وقوله فهو بحر هو تشبيه بليغ أو استعارة على قول اه ابن حجر

والقوى الموجودة بأجزاء البدن وقوله علما تمييز محول عن الفاعل أي ووسع علمه علوم العالمين الانس والجن والملائكة لان الله أطلعه على العالم كله فعلم علم الاولين والآخرين ما كان وما يكون وحسبك علمه بعلوم القرآن وقد قال تعالى ما فرطنا في الكتاب من شئ وقوله وحلما تمييز كامر أي وسع حلمه حلم العالمين باسرهم كما عرف مما سبق وقوله فهو بحر أي فهو بسبب جمعه لتلك المعالي التي لم تجتمع لغيره بحر أي واسع العلم والحلم وغيرهما من أخلاق نفسه الزكية وصفاته العلية فهو تشبيه بليغ وقوله لم تعيه من أعيا فلان في مشيه أي تعب أو وقف أي لم تتعبه الاعباء قال الجوهري وأعيا الرجل في مشيه فهو معي ولا يقال عيان وأعياه الله فيستعمل لازما ومتعديا وكلاهما بالالف وقوله الاعباء جمع عبء كحمل وثقل وزنا ومعنى فهو بكسر أوله والموحدة الساكنة والهمز أي لم تعيه الاثقال من أي شئ كان أي لم يكدر بحر علمه شك ولا شبهة ولا بحر حلمه ايذاء ولا جهالة فاستعار الاعياء للكدورة والاعباء للشبه والجهالات أي لم تكدر بحر علمه الشبه ولا بحر حلمه الجهالات (قوله مستقل) أي واذا تأملت ما تقدم من أوصاف كمالاته الباهرة وعصمته ونزاهته علمت انه لعصمته عن التلفت لما سوى الله مستقل أي محتقر هذا هو المراد بالاستقلال هنا بخلافه فيما مر في قوله فاستقلت لذكره أي عدته ورأته قليلا كما تقدم وقوله دنياك المراد بها ما في قوله تعالى زين للناس حب الشهوات الآية وهي مأخوذة من الدنو أي القرب لقربها من الزوال وقوله ان ينسب الخ بدل من دنياك أي محتقر امساكها واعطاءها وعبارة ابن عبد الحق ان ينسب الامساك منها عن غير المستحق والاعطاء منها للمستحق أي بعد ذلك قليلا بالنسبة لما عسكه عن غير المستحق ويعطيه للمستحق من العلوم والمعارف والارشاد والدلالة وانما احتقرها لانه الفناءها وكثرة الاشتغال بها عن الله حقيقة بمزيد الاعراض عنها وعدم الالتفات الى امساكها واخراجها ولو استحقها احتقار الشأنها وتعليما للامة عدم الاعتداد بها وقد أشار الناظم لهذا المعنى بقوله في بردة المديح * وراودته الجبال الشم من ذهب * الابيات الثلاثة ومعنى البيت الثالث كيف تدعو ضرورة سيد المعصومين الى زخرف الدنيا وزينتها وهي انما خلقت لاجله وقوله هنا مستقل دنياك الخ أحسن من قوله * وأكدت زهده فيها ضرورته لان بعض العلماء أنكر وصفه بالزهد فقال وما قدر الدنيا حتى يزهد فيها وذكر الزركشي عن بعض الفقهاء المتأخرين انه كان يقول لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم فقيرا من المال بل كان أغنى الناس بالله قد كفي أمر دنياه في نفسه وعياله وكان يقول في قوله صلى الله عليه وسلم اللهم أحيني مسكينا ان المراد استكانة القلب لا المسكنة المرادفة للفقر وأما خبر الفقر فخري وبه أفتخر فموضوع وقد صح انه استعاذ من فتنة الفقر كما استعاذ من فتنة الغنى وعن السبكي ان فقهاء الاندلس أفتوا باراقة دم من وصفه بالفقر وقد تعارضت الاحاديث في ذم المال وفي مدحه ويجمع بينهما بان المال ليس خيرا محضا من كل وجه ولا شرا محضا من كل وجه وانما هو كالسيف في يد المقاتل يقتل به معصوما تارة ومهدرا أخرى أو كحية في يد انسان فيها سم وترياق لكن سمها أكثر وأغلب وفي هذا اعياء الى ترجيح القول بتفضيل الفقير الصابر على الغني الشاكر سيما اذا وردمن اعراضه صلى الله عليه وسلم عنها كل الاعراض مع انه سيد الشاكرين ولا يخشى عليه منها ضرر أصلا (قوله شمس فضل) أي واذا تأملت ما تقرر من كمالاته العلية علمت انه شمس فضل أي شمس مشرقة على كل فضل أي شرف وكمال وجد في غيره فكل كمال تحلى به غيره فهو مستضيء ومستمد من تلك الشمس التي هي ذاته والمراد بالنور تلك الشمس فكأنه قال كل فضل وكمال تحلى با كامل فانما هو بواسطة استمداده من فضله وكماله وقوله تحقق الظن الخ جملة حالية أو نعت لفضل وتحقق من حق بمعنى ثبت والمراد بالظن هنا الاعتقاد الجازم المطابق للواقع وقوله فيه أي في ذاته وصفاته وقوله انه أي بالنسبة لبغية الكمل في اشراقه ورفعته عليهم كالشمس المشرقة على هذا العالم وقوله رفعه أي فلا يصل اليها أحد وقوله والضياء أي وانه الضياء المفيض عليهم أضواء الكمالات وخوارق الامدادات

مستقل دنياك ان ينسب الامساك منها اليه والاعطاء شمس فضل تحقق الظن فيه أنه الشمس رفعة والضياء

(قوله دنياك) لم يقل دنياه لانه صلى الله عليه وسلم لم ينسبها الى نفسه فقال حبب الي من دنيا كم ثلاث ولم يقل من دنياي اهـ حفني على ابن حجر

فاذا ماضحا محا نوره الظلا
ل وقد أثبت الظلال الضحاء
فكأن الغمامة استودعته
من أظلت من ظله الدفقاء

(قوله الغمامة) ذكر الشارح المالكي لتظليل الغمام معنى لطيفا هو ان الشمس لما بهرت وقت سلطان ضوئها تجلت ان تقابل النور الاصلي الذي هو أعلى من نورها وأصل له فاسدلت حجابا بينها وبينه حياء منه وهو الغمامة فنزلت منزلة عاقل أعطى التصرف في السحاب لارسال قطعة منه حاملة لما ذكر اهـ حفني على ابن حجر

وتقدم ان كون المشبه به أعلى من المشبه ليس أمرا مطردا بل قد ينعكس الحال كما في صلاة التشهد كما صليت على ابراهيم على أحد الاجوبة فيه وما هنا من ذلك كما تنبه الناظم له حيث بين انه صلى الله عليه وسلم أعلى شأنا في الضياء من الشمس فقال عاطفا بالفاء السببية اشعارا بالنكتة التي ذكرنا انه تنبه لها فاذا ما ضحا (قوله فاذا ما ضحا) أي فبسبب ان المشبه قد يكون أعلى من المشبه به كان شأنه انه اذا ما ضحا ما زائدة واذا هذه قيل انها حرف وقيل ظرف كما قيل بهما في اذ ما والاصح انها ظرف للمستقبل مضمنة معنى الشرط وتختص بالجمل الفعلية وتحتاج لجواب وجوابها اما فعل كما هنا أو جملة اسمية وقوله ضحا أي مشى عقب طلوع الشمس اذ هذا الوقت هو الضحى بضم الضاد وهذا ليس لتقييد الجزاء اذ محو نوره الظل كان في هذا الوقت وغيره لكنه في هذا الوقت أظهر لقوة ضياء الشمس وقوله محا نوره الظل أي ظل ذاته الكريمة أو مطلق الظل مبالغة بل حقيقة لان نوره أصل كل نور وهو لا يبقى معه ظلمة ومنها الظل أو المراد بالظل كل ضلالة ونقص وبنوره ما جاء به من الكتاب والسنة والعلوم والآداب وعلى هذا فالمراد محا مطلق ظهوره في هذا الكون باوصافه الكاملة لا خصوص وقت الضحى هكذا قال الشارح وفي الاحتمال الثاني وهو قوله أو مطلق الظل نظر لما ثبت انه اذا كان هو وأصحابه في سفر ينظرون الشجرة الظليلة فيتركونها له فيستظل بها ويتفرقون في الاشجار فلو كان ظله يزيل ظلها لم يكن لاستظلاله بها فائدة فالاولى الاحتمال الاول وهو ان نوره يمحو ظل ذاته فقط أو يقال ان نوره يمحو ظل الشجر من حيث ما فيه من الظلمة واما من حيث كونه مانعا لحر الشمس فلا يزيله فيكون نظير من أوقد مصباحا في بيت مظلم في وقت الحر فظلمة البيت قد زالت بالمصباح ووقايته لحر الشمس باقية وقوله وقد أثبت أي والحال انه قد أثبت الظلال جمع ظل الضحاء بالضم أي ارتفاع الشمس وهو بالضم مقصور ومده هنا لضرورة النظم فنبينا أكمل من الشمس رفعة وضوأ لان نورها يثبت الظل ونور نبينا يمحوه ومن خصائصه أنه اذا مشى في الشمس لا يظهر له ظل لان الله استجاب دعاءه ان يجعله نورا فكان بدنه في غاية الاضاءة وفي القاموس ان الضحاء بالفتح والمد ما قرب من انتصاف النهار وتصح ارادته هنا أيضا فتصح قراءة المتن بالضم والفتح فالضحى بالضم والقصر اسم لما بعد ارتفاع الشمس الى نحو ربع النهار والضحاء بالفتح والمد ما بعده الى الزوال (قوله فكأن الغمامة) هي سحابة كان طولها عشرة أذرع وعرضها كذلك وارتفاعها عن رأسه كذلك وتقدم انها ظللته وهو في بني سعد وظللته أيضا في سفره الى الشام وعوده منه عند اقباله على مكة وتقدم ان تظليلها له انما كان قبل النبوة ارهاصا وتأسيسا لها ولم يثبت انها أظلته بعدها وقوله استودعته فاعل استودعت ضمير مستكن في الفعل وهذا الضمير البارز مفعول أول عائد على النبي صلى الله عليه وسلم وقوله من أظلت هو المفعول الثاني ومن عبارة عن الامة باسرها غير الصحابة وقوله من ظله من فيه تبعيضية وقوله الدفقاء فاعل بأظلت ومفعوله ضمير محذوف يعود على من التي هي عبارة عن التابعين فمن بعدهم والدفقاء جمع دافق كعلماء جمع عالم وهم جيوشه وأصحابه الذين قاتلوا معه سموا بذلك لانهم يدفقون نحو العدو أي يسيرون اليه لدفعه أو استئصاله وهذا البيت اشارة الى جواب ايراد على البيت الذي قبله لكن على الاحتمال الثاني هنالك وهو ان نوره يمحو كل ظل تقرير الايراد ان يقال كيف يمحو نوره الظل وقد ثبت ان الغمامة اظلته فلم يمح نوره ظلها وتقرير الجواب أن يقال ان محو نوره صلى الله عليه وسلم للظلال هو الاصل المستمر واما بقاء ظل الغمامة مع نوره فهو على خلاف الاصل خرقا للعادة التي كان عليها وذلك لحكمتين احداهما الارهاص والتأسيس لنبوته كما تقرر الثانية الاشارة الى أن نوره المعنوي لم يزل بموته بل يبقى مشرقا على أمته الى يوم القيامة يتلقاه كل قرن من القرن الذي قبله فكأن حال الغمامة يقول للنبي بقاء ظلي مع نورك المنافي له فيه اشارة الى أن ظلك يبقى مع ما ينافي بقاءه وهو موتك خرقا للعادة في كل فاشار الناظم لذلك بعبارة تقصر عنه في بادئ الرأي فقال فكأن الغمامة الخ أي فبسبب محو نوره الظل الحسي صار هو الظل المعنوي على جميع أتباعه الى يوم

الغيامة حتى كأن الغمامة لما أظلته أعلمته بأنها استودعت أى استودعته أى استودعت النبي من أظلتهم الدفقاء أى أصحابه ومن أظلتهم أصحابه بظلاله هم جميع الامة الى يوم القيامة لكن التابعون أظلتهم الصحابة بظل النبي من غير واسطة وأتباع التابعين أظلتهم الصحابة بواسطة التابعين وهكذا ومعنى هذا الايداع والاستحفاظ ان بقاء ظلها يشير الى ان أمته فى ظله أى فى رعايته وحفظه من حيث ان ظله المعنوى سار فيهم وعام لهم لكن الصحابة بلا واسطة ومن بعدهم بواسطة الصحابة لكن الذى أفادته عبارة النظم ان الغمامة استودعته التابعين فمن بعدهم ولم تفد انها استودعته الصحابة لما عرفت ان المفعول الثانى لقوله استودعته هو من أظلتهم الدفقاء أى الصحابة ومن أظلتهم الصحابة بواسطة و بدونها هم التابعون فمن بعدهم وكأن قصورها عن الصحابة لان أمرهم ظاهر لانهم باشروا الاخذ عنه فى حياته بخلاف من بعدهم لانه هو الذى يحتاج الى استيداع واستحفاظ لانه انما جاء بعد موته فربما يقال لم يدرك نور النبي صلى الله عليه وسلم وعبارة شارحها ابن قطليع المالكى نصها ولما كان نوره صلى الله عليه وسلم أصل الانوار ولا يبقى مع النور ظلمة فلا ثبوت للظل مع نور ونور الشمس من جملة فروع نوره فلما اشتدت عند الظهيرة خجلت ان تظهر مع الاصل الذى هو نوره فأسدلت حجابا بينها وبينه حياء منه وذلك الحجاب هو الغمامة التى كانت تظله اذا سار فأن قات قول الناظم فى بردة المديح

مثل الغمامة أنى سار سائرة * تقيه حر وطيس للهجير حمى

يفهم منه ان حر الشمس كان يؤثر فيه وان الغمامة تقيه منه بظلها فينافى ما مر أن تظليلها انما كان للحكمتين السابقتين قلت ما أفهمه كلامه فى البردة يعارضه ان تظليلها لم يكن الا قبل النبوة ارهاصا كما مر ولو كان لوقاية حر الشمس كما أفهمه كلامه لكان بعد النبوة أيضا فان قلت يساعد ما أفهمه كلامه فى البردة ما ثبت انه قد ظلل عليه عند رميه للجمرة بثوب وهذا يشعر بالاحتياج قلت هذا من ضرورة الخلقة والجبلة البشرية وما نحن فيه من حيث الحقيقة والامور الاصلية فتأمل (قوله خفيت الخ) أى واذا تقرر أن كل فضل مستمد من فضله وأن نوره يعلو الظل على ماسبق فى معناه علم انه قد خفيت عنده أى فى جنب ما أعطيه من الكمالات والفضائل وقوله الفضائل أى التى أوتيها غيره من الانس والجن والملائكة وقوله وانجابت أى انكشفت وقوله به أى بسببه أى النبي أى بسبب مابثه لنا من علومه وآدابه وأخلاقه وقوله من عقولنا أى معشر أمة الاجابة والعقل لغة المنع واصطلاحا غريزة يتبعها العلم بالضروريات عند سلامة الآلات وقيل فى تعريفه شرعا هو نور روحانى به تدرك النفس العلوم الضرورية والنظرية وابتداء وجوده عند اجتنان الولد ثم لا يزال ينمو الى ان يكمل عند البلوغ وقوله الاهواء أى الضلالات والنقائص فلم تقع عقولنا فى ورطة شئ منها كما وقع فيها من أعرض عن الهدى وسلك سبيل الردى (قوله أمع الصبح) أى أيوجد مع الصبح للنجوم تجل أى اشراق وظهور نور وقوله أو مع الشمس أى أيوجد مع الشمس للظلام بقاء وهذا كالدليل لما قبله فالمصراع الاول دليل المصراع الاول من البيت قبله والثانى للثانى فهو لف ونشر مرتب أى انما خفيت عنده الفضائل لانه الفجر الصادق وغيره من سائر الكمل كالنجوم فكما أن النجوم لا يبقى لها نور مع الفجر فكذلك سائر الكمل وكذلك انما انكشفت به الاهواء عن عقولنا لانه الشمس كما مر والاهوية أى الضلالات كالظلام فكما أن الظلام لا يبقى مع الشمس فكذلك الاهوية والضلالات لا تبقى مع اشراق الشمس من غير حائل بينها وبين ما أشرقت عليه (قوله معجز القول) عطف على قوله شمس فضل بحذف حرف العطف أو مستأنف وانما كان معجز القول لان الله امتن عليه بجوامع الكلم التى أوتيها دون غيره ومن ثم قال بعض العلماء ان كلامه معجز كالقرآن وكأن الناظم جرى على هذا القول وان احتمل ان ينزل كلامه على مذهب الجمهور من ان الحديث غير معجز بأن يؤول و يقال مراده بكونه معجز القول أن كلامه فيه الاخبار بالمغيبات وهو من هذه الحيثية معجز باتفاق وقوله والفعال أى ومعجز الفعال فلا يقدر مخلوق على أن يوجد فعلا مطابقا لسائر المصالح الظاهرة

خفيت عنده الفضائل وانجا
بت به عن عقولنا الاهواء
أمع الصبح للنجوم تجل
أو مع الشمس للظلام بقاء
معجز القول والفعال كريم
الخلق والخلق مقسط معطاء

(قوله أمع الصباح) قال ابن حجر وفى البيت الكلام الجامع اهـ قال الحفنى وهو ان يأتى الشاعر ببيت تكون جملته حكمة أو موعظة أو تنبيها أو غير ذلك كقول الصفى الحلى من كان يعلم ان الشهد مطلبه * فلا يخاف لدغ النحل من الم اهـ

(قوله مقسط) أى عادل وصح ان رجلا قال وهو صلى الله عليه وسلم يقسم اعدل فقال صلى الله عليه وسلم ويلك فمن يعدل ان لم أعدل خبت وخسرت ان لم أعدل وكان صلى الله عليه وسلم لا يؤاخذ أحدا بقول أحد ولا يصدق أحدا فى أحد اهـ من ابن حجر

والباطنة فى ذلك الوقت الذى أوجد فيه ذلك الفعل غيره صلى الله عليه وسلم وهذه هى مرتبة وارث الحضرة الالهية التى لايدخل فيها أحد الا باذنه وقوله كريم الخلق بفتح الخاء وقد تقدم الكلام عليه عند قوله فتنزه فى ذاته الخ وقوله والخلق بضم الخاء وسكون اللام كما مر بسطه عند قوله ماسوى خلقه النسيم الخ وقوله مقسط اى عادل فى أحكامه وأقواله وأفعاله فلا يصدر منه شئ الا على غاية العدل باطنا وظاهرا باتفاق كل من رآه أو علم أحواله حتى أعداؤه وكان صلى الله عليه وسلم يقول أبلغوا حاجة من لايستطيع ابلاغها فانه من أبلغ حاجة من لايستطيع ابلاغها أمنه الله يوم الفزع الاكبر وقوله معطاء أى كثير العطاء الذى يعجز عن أدناه الملوك وعن أنس ماسئل صلى الله عليه وسلم شيأ الا أعطاه وجاءه رجل فأعطاه غنما كثيرة كأنها تملأ مابين الجبلين فرجع الى قومه فقال أسلموا فان محمدا يعطى عطاء من لايخاف الفقر وأعطى صفوان بن أمية يوم حنين حين أسلم مائة ثم مائة ثم مائة وعن جابر ماسئل صلى الله عليه وسلم شيأ فقال لا أى لاينطق بالرد بل ان كان عنده المسؤل وساغ الاعطاء بان لم يرصد ماعنده لما هو أهم أعطاه والا سكت وقال صلى الله عليه وسلم لسائل ماعندى شئ لكن ابتع على أى اشتر فى الذمة وأنا أدفع عنك الثمن اذا جاء بالشئ فقال له عمر ما كلفك الله مالا تقدر عليه فكره منه ذلك فقال سعد بن معاذ أنفق يارسول الله ولاتخش من ذى العرش اقلالا فتبسم وقال بهذا أمرت وقوّم ماأعطاه يوم حنين فكان خمسمائة ألف ألف قيل وهذا نهاية الجود وصح انه أتى بمال من البحرين فامر بصبه فى المسجد فكان أكثر مال أتى به فكان مائة ألف فخرج للصلاة ولم يلتفت اليه ثم بعدها جلس ففرقه ومع هذا الجود الواسع كان يعيش عيش الفقراء وكان يأتى عليه الشهران لايوقد فى بيته نار وربما ربط الحجر على بطنه من شدة الجوع وجاءه سبى فسألته فاطمة فى خادم يكفيها مؤنة بيتها فامرها ان تستعين بالتسبيح والتكبير والتحميد وقال لا أعطيك وأدع أهل الصفة يطوون بطونهم من الجوع (قوله لاتقس) أى اذا علمت اتصافه بهذه الاوصاف الجليلة التى لم يوجد مثلها ولا يقاربها فى مخلوق غيره علمت أن الواجب على كل من عرف ذلك أن يقول لمن لم يعرفه حق معرفته لاتقس من قست الشئ بغيره قدرته على مثاله أى لاتشبه بالنبى الموصوف بما ذكر وهو نبينا صلى الله عليه وسلم فى الفضل الجامع لتلك الصفات بل ولا فى كل وصف منها على حدته لان كل وصف من أوصافه وصل فيه الى غاية لم يلحقه فيها مخلوق وقوله خلقا أى نبيا أو ملكا أو غيرهما أى لاتعتقد ان مخلوقا يساويه أو يقاربه فى وصف من أوصاف كماله كما مر عند قوله لم يساووك فى علاك الخ وقوله فهو البحر أى هو لاغيره البحر الجامع لكل وصف من أوصاف الكمال البالغ الغاية وقوله والانام هو كما فى القاموس كسحاب الخلق أو الجن أو الانس أو جميع ماعلى وجه الارض ومثله أنيم كأمير وآنام بالمد كساباط اهـ والمراد هنا الاوّل أى الخلق مطلقا لكن المراد من هذا الاوّل بعض ماصدقاته وهو الانس والجن والملك بدليل قوله الآتى كل فضل فى العالمين وقوله اضاء بالكسر والمد جمع أضاة كقناة وهو الغدير وشتان مابين البحر والغدير وفى المختار والغدير القطعة من الماء يغادرها السيل وفى نسخة والانام ركاء جمع ركوة وهو الدلو الصغير (قوله كل فضل فى العالمين) أى وجد فى العالمين وقوله فمن فضل خبر مبتدا محذوف أى فهو كائن من فضل ذلك النبى الاكرم على ربه من سائر الانبياء والمرسلين والملائكة المقربين وقوله استعاره جملة حال من الضمير المستكن فى الجار والمجرور وانما استعاروه منه لانه الممد لهم اذ هو الوارث للحضرة الالهية والمستمد منها بلا واسطة دون غيره فانه لايستمد منها الا بواسطته فلا يصل لكامل منها شئ الا وهو من بعض مدده وعلى يديه فآيات كل نبى انما هى مقتبسة من نوره لانه كالشمس وهم كالكواكب فهى غير مضيئة بذاتها وانما هى مستمدة من نور الشمس فاذا غابت أظهرت أنوارها فهم قبل وجوده انما كانوا يظهرون فضله وأنوارهم مستمدة من نوره الفائض ومدده الواسع وقد أشار لهذا فى بردة المديح بقوله وكل آى أتى الرسل الكرام بها الابيات الثلاثة ألا ترى ان ظهور خلافة آدم واحاطته بالاسماء كلها انما هو مستمد من جوامع الكلم المخصوص به ثم توالت

لاتقس بالنبى فى الفضل خلـ
قا فهو البحر والانام اضاء
كل فضل فى العالمين فمن فضـ
ل النبى استعاره الفضلاء

انخلا ثق الى زمن بروز جسمه فلما برز كان كالشمس اندرج فى نوره كل نور وانطوى تحت منشور آياته كل آية لغيره من الانبياء فلم يعط أحد منهم كرامة أو فضيلة الا وقد أعطى مثلها أو أعظم منها كما سبره الائمة ووضحوه وقد قال الفخر الرازى لم يكن سجود الملائكة الا لنور محمد صلى الله عليه وسلم الذى فى جبهة آدم ووقع فى تفسير الرازى انه أعطى مكان سفينة نوح أنه دعا حجرا وهو على شط الماء فانقلع وسبح الى أن جاء اليه وشهد له بالرسالة وذلك لما قال له عكرمة بن أبى جهل ان كنت صادقا فادع ذلك الحجر الذى فى الجانب الآخر فليسبح ولا يغرق فدعاه الى آخر ما تقدم فقال له النبى صلى الله عليه وسلم أيكفيك هذا فقال حتى يرجع الى مكانه وقد أعطى نبينا مكان انفلاق البحر لموسى انشقاق القمر الذى هو أبهر لانه تصرف فى العالم العلوى على انه نقل أن بين السماء والارض بحرا يسمى المكفوف بحور الارض بالنسبة اليه كالقطرة من البحر المحيط فعليه يكون انفلاق لنبينا ليلة الاسراء وعن سلمان الفارسى قال تحت هذه السماء بحر ماء تصطفق فيه الدواب مثل ما فى بحركم هذا ومن ذلك البحر أغرق الله قوم نوح وينزله الله الارض قبل يوم القيامة فيغرق به من يشاء ويعذب به من يشاء ذكره السيوطى (**قوله شق عن صدره**) وفى نسخة عن قلبه وكل منهما صحيح لانه شق صدره أولا ثم قلبه المرة بعد المرة الى أن تكرر ذلك أربع مرات أو خمسا مبالغة فى التطهير ولم يحصل لاحد من الكمل نظير ذلك وقوله وشق له أى لاجله البدر أى القمر بمكة قبل الهجرة بنحو خمس سنين لما كذبته قريش وبالغوا فى عناده وطلبوا منه آية يريها اياهم تدل على صدقه وهى أن يشق لهم القمر نصفين فانشق له كذلك ولم يقع هذا لغيره وهو من أمهات معجزاته لا يكاد يعدله شئ من آيات الانبياء لظهوره فى ملكوت السماء خارجا عن جملة طباع ما فى هذا العالم المركب من الطبائع فلم يطمع أحد فى الوصول اليه وجاء ان فرقة منه كانت فوق جبل حراء وأخرى كانت أسفله وفى رواية لاحمد فصار فرقتين فرقة على هذا الجبل وفرقة على هذا الجبل وانه قال لهم اشهدوا فقالوا سحرنا محمد ثم اتفقوا على أن يسألوا المسافرين فجاؤا من كل ناحية وأخبروا بانهم رأوه منشقا فقال بعض الكفار لبعض لا يستطيع محمد أن يسحر الناس كلهم وما قيل ان القمر قد دخل فى جيبه صلى الله عليه وسلم وخرج من كمه باطل لا أصل له واعلم أن البدر اسم للقمر ليلة أربعة عشر وظاهر تعبير الناظم به دون القمر ان الشق كان ليلة أربعة عشر ولم أر له فى ذلك سلفا ولعله أراد بالبدر مطلق القمر وقوله ومن شرط أى وانما شق له القمر لانه شق عن صدره حتى أخرج قلبه ثم شق وطهر فجوزى على ذلك بجزاء من جنسه اذ من شرط كل شرط وقع فى البدن لغرض مقصود أن يكون له جزاء وفائدة وثمرة كبرء من مرض فهكذا هنا لما وقع وأولم صلى الله عليه وسلم فى شق قلبه المرة بعد المرة جوزى على ذلك بجزاء عظيم مشابه له فى الصورة وهو شق القمر الذى هو أظهر معجزاته وأبهرها بعد القرآن فتبين من هذا أن الشرط الاول ما علق بحصوله حصول شئ آخر يسمى جزاء وان الثانى شق الجلد واللحم وفى ذكر الجزاء تورية اذ يطلق على الجزاء النحوى والجزاء العرفى وهو المجازاة على صنيع وقع (**قوله ورمى بالحصى**) أى ومن معجزاته أيضا أنه فى غزوة بدر وغزوة حنين رمى أعداءه بالحصى فاقصد أى أصاب فاهلك ففى القاموس اقصد السهم أصاب فقتل مكانه وقوله جيشا أى عظيما كانوا تحزبوا عليه حتى ظن أنهم لا يبقون أحدا من المسلمين وبيان ذلك أنه لما التقى الجمعان يوم بدر تناول كفا من الحصى فرمى به فى وجوههم وقال شاهت الوجوه أى قبحت وانهزمت فلم يبق مشرك مع كثرتهم وقلة ذلك الحصى الا دخل فى عينيه ومنخريه منها شئ فانهزموا فقتل من قتل من صناديد قريش واسر من اسر من أشرافهم ونزل فى هذه الرمية التى فى بدر قوله تعالى ومارميت اذ رميت وقال الجبرية فى هذه الآية سلب فعل النبى عنه واضافته الى ربه وهو يعين الجبر ويبطل نسبة أفعال العباد اليهم ورد بأن هذا غلط وليس كما زعموا والا لزمهم ان لا تكليف ولا عقاب والمراد من الآية عند أهل السنة ان تلك الرمية من البشر لما لم تبلغ هذا المبلغ عادة كان منه صلى الله عليه وسلم مبدؤها وهو الحذف والالقاء ومن الرب نهايتها وهو الايصال فأضاف تعالى الى نبيه رمى الحذف وهو مبدؤه بقوله اذ رميت ونفى عنه

شق عن صدره وشق له البد
ر ومن شرط كل شرط جزاء
ورمى بالحصى فأقصد جيشا
ما العصا عنده وما الالقاء

(قوله وقد أعطى نبينا مكان انفلاق البحر لموسى الخ) قال ابن حجر ولما أعطى موسى عليه الصلاة والسلام قلب العصا حية أعطى نبينا صلى الله عليه وسلم حنين الجذع الذى هو أبهر وأغرب وذكر الرازى وغيره أن أبا جهل أراد أن يرميه بحجر فرأى على كتفه ثعبانين فانصرف مرعوبا اه

(قوله انه فى غزوة بدر الخ) قيل ورماهم بالحصى يوم الاحزاب وفيه نظر وانما الذى نقل انه صلى الله عليه وسلم لما بلغت القلوب الحناجر دعا عليهم فأرسل الله تعالى عليهم الريح فرمتهم بالحصى وسفت عليهم التراب وقلعت أوتاد خيامهم فسقطت عليهم وكفأت قدورهم فارتحلوا آيسين خائبين اه من ابن حجر

رمى الايصال الذى هو نهايته بقوله ومارميت ونظير هذه الآية نفسها فلم تقتلوهم ولكنّ الله قتلهم فاخبر تعالى بانه المنفرد بالتأثير وان غيره ليس منه الا أسباب تظهر للناس ولما التقى الجمعان يوم حنين استقبل المسلمين من هوازن مالم ير وامثله فى السواد والكثرة فحملوا حملة واحدة ولم يبق معه صلى الله عليه وسلم الا أناس قليلون من أهل بيته العباس وعلى وأبو سفيان بن الحرث ومن أصحابه أبو بكر وعمر والفضل وآخرون فحينئذ تناول صلى الله عليه وسلم حصيات من الارض ثم قال شاهت الوجوه ورمى بها فى وجوه المشركين فما بقى منهم أحد الاملئت عيناه من تلك القبضة وقوله ما العصا عنده أى واذ قد علمت ماترتب على رميه بالحصى من تشتيت جمعهم وافتراق شملهم وهزيمتهم آن لك أن تقول لمن قال لك ان القاء موسى لعصاه والقاء السحرة لحبالهم وعصيهم يعادل الرمى بالحصى لاتقل ذلك ما العصا ما استفهام انكارى والمراد عصا موسى التى ألقاها على حبال سحرة فرعون وعصيهم حتى ابتلعت ذلك وقوله عنده أى الحصى المرمى أى بالنسبة اليه وفى جنبه وقوله وما الالقاء أى لتلك العصا على تلك الحبال أى لاتقاس معجزة نبينا فى القائه ذلك الحصى بمعجزة موسى فى القاء عصاه على ماذكر فان القاء الحصى القليل على هذا الجيش الكثير حتى هزمهم عن آخرهم وشتت شملهم أبهر من قلب العصا ثعبانا وابتلاعها تلك الحبال فانهم لم تقهر العدو بل زاد بعدها طغيانه وعتوه على موسى وقومه *(تنبيه)* أكثر معجزات بنى اسرائيل كانت حسية لبلادتهم وعمى بصيرتهم وأكثر معجزات هذه الامة عقلية لفرط ذكائهم وكمال أفهامهم ولان هذه الشريعة لما كانت باقية على سفحات الدهر الى يوم القيامة خصت بالمعجزة العقلية الباقية ليراها ذوو البصائر كما قال صلى الله عليه وسلم فى حديث البخارى مامن الانبياء نبى الا أعطى ماثله آمن عليه البشر وانما كان الذى أوتيته وحيا أوحاه الله الى وأنا أرجو أن أكون أكثرهم تابعا وفى معناه قولان غير متنافيين اذ يرجع حاصلهما الى ان المراد ان معجزات الانبياء انقرضت بانقراض أعصارهم مع كونها حسية تشاهد بالابصار كعصا موسى وناقة صالح فلم يشاهدها الامن حضرها ومعجزات القرآن تشاهد بالبصيرة وتستمر الى يوم القيامة لا يمر عصر الا وفيه يظهر شئ أخبر بأنه سيكون فكان من يتبعه لاجلها أكثراذ مايدرك بالعقل يشاهده كل من جاء بعد الاول (قوله ودعا الانام) أى ومن معجزاته أيضا انه دعا للانام والمراد به هنا أهل المدينة ومن داناهم وقوله اذدهمتهم أى وقت أولاجل ان دهمتهم أى غشيتهم سنة من محولها أى من أجل محولها بضم الميم والحاء أى شدة جدبها وقحطها وهو متعلق بقوله شهباء الواقع نعتا للسنة والشهباء التى لاخضرة فيها ولامطر وأما السنة فزمن الجدب والمحل وان لم تكن سنة بالمعنى المشهور أو المراد بها الزمن المخصوص الذى هو اثنا عشر شهرا فعلى الاول يكون قوله شهباء تأكيدا وعلى الثانى يكون تأسيسا وسبب هذا الدعاء ان الناس أصابتهم سنة على عهده صلى الله عليه وسلم فقام اعرابى وهو يخطب يوم الجمعة فقال يارسول الله هلك المال وجاع العيال فادع الله لنا فرفع يديه وليس فى السماء شئ من السحاب فما وضعهما حتى صار السحاب أمثال الجبال فلم ينزل من على المنبر حتى اصابه المطر واستمر الى الجمعة الاخرى فقام ذلك الاعرابى أو غيره فقال يارسول الله تهدم البناء وغرق المال فادع الله لنا فرفع يديه فقال اللهم حوالينا ولا علينا فانقطع المطر وخرجوا يمشون فى الشمس وسال الوادى شهرا ولم يجئ أحد من ناحية الا حدث بالجود وهو بفتح الجيم المطر الواسع الغزير (قوله فاستهلت) أى فبسبب دعائه استهلت بالغيث أى صبت المطر بشدة وقوله سبعة أيام أى كوامل لما علمت أنه استمر من خطبة الجمعة الى خطبة الجمعة الاخرى وقوله سحابة فاعل استهلت وقوله وطفاء أى مسترخية الجوانب لكثرة ماحملت من الماء (قوله تتحرى) نعت لسحابة أو حال منها أى تقصد تلك السحابة بمائها واسناد التقصد اليها مجاز وقوله مواضع الرعى أى الكلأ الذى يرعى وقوله السقى أى ومواضع السقى التى يجتمع فيها الماء ليشرب منها البهائم وقوله وحيث العطاش أى وتتحرى أيضا مواضع العطاش فحيث بمعنى الاماكن والمواضع وقوله توهى السقاء صلة لموصول محذوف نعت لحيث أى التى توهى

ودعا للانام اذ دهمتهم
سنة من محولها شهباء
فاستهلت بالغيث سبعة أيا
م عليهم سحابة وطفاء
تتحرى مواضع الرعى والسق
ى وحيث العطاش توهى السقاء

(قوله وحيث العطاش الخ) قال الشارح أى الجوجرى فيه اقتباس المثل وهو قولهم خل سبيل من وهى سقاؤه ومن هريق فى الفلاة ماؤه اه من ابن حجر

بالبناء للمفعول أي تخرق السقاء منهم فيها أي في حيث فالعائد مقدر أي ان تلك السحابة عمت جميع الاماكن بمائها حتى انها تحري الامكنة المعطشة التي تخرق أسقية العطاش فيها ليبسها وجفافها من عدم الماء والسقاء الظرف للماء واللبن وأما المختص باللبن فيقال له وطب وأما النحي والعكة فهما وعاآن من جلد يوضع فيهما السمن فقط وأما القربة فهي وعاء الماء خاصة (قوله وأتى الناس) أي ولما استمر عليهم الايام السبعة وكاد الناس يهلكون أتى الناس اليه صلى الله عليه وسلم وهو يخطب يوم الجمعة وسألوه أن يدعو لهم وقوله يشتكون أذاها أي تلك السحابة وهذه الجملة حال من الناس وانما اشتكوا منها لقطع المطر السبيل وتعطيله المعاش وتخريبه البيوت وذكر الناس مع ان الشاكي واحد لان ما به من الضرر لحق بقية الناس فكان الكل شاكين بلسان الحال فلذا أسنده الى كلهم وقوله ورخاء أي سعة من المطر وقوله غلاء أي شدة عظيمة وأصله ارتفاع السعر المؤدي الى الشدة فاستعمل اسم السبب في المسبب (قوله فدعا) أي فبسبب ان هذا الرخاء الذي المقصود منه حياة النفوس انتقل الى ضده وهو الهلاك كما دعا ربه أن يكشف عنهم وقوله فانجلى الغمام أي السحاب عقب دعائه وخرجوا يمشون في الشمس كما مر وقوله فقل أي اذا تقرر هذا فقل أيها العالم بهذه الواقعة ما شئت من الكلام الدال على التعجب أو معنى فقل فتعجب وقوله اقلاعه أي انكشافه استسقاء أي ذو استسقاء على خلاف المتعارف اذ الاستسقاء يكون عادة لطلب حصول الماء وهذا الطلب لرفعه أو يقال في معنى قوله اقلاعه استسقاء أي اقلاعه على حذف مضاف أي طلب اقلاعه وقوله استسقاء على حذف كاف التشبيه أي طلب اقلاعه كالاستسقاء بجامع ترتب دفع الضرر على كل (قوله ثم أثرى الثرى) أي ثم بعد ذلك الغيث الواسع النافع ببركة دعائه أثرى الثرى الثرى فاعل أثرى مأخوذ من قولهم أثرى الرجل اذا كثر ماله والثرى اسم للتراب فالمعنى هنا ثم أثرى التراب أي كثر خيره أي كثر الخير بسببه أي كثر المطر الواقع عليه فكثرة فوائده لكثرة انباته الزرع والثمار المؤدية الى كثرة الاموال وقوله فقرت أي فبسبب هذه الكثرة قرت أي فرحت واطمأنت من قولهم أقر الله عينه أي أعطاه حتى لا تطمع عينه الى من فوقه وقوله عيون أي عيون أهل المدينة وقوله بقراها أي بسبب عمارة قراها أي العيون أو المدينة وبلادها بتلك الفوائد الكثيرة من الخصب بعد ما زال عنهم الكرب وقوله وأحييت أي بعد ما حصل لها من الجدب والشدة ما يصيرها كالموتى من أحياه الله فحيي بالفك وحي بالادغام وهو الاكثر وقوله أحياء جمع حي أي قبائل العرب بواسطة احياء نفوسها ومواشيها فشبه انقاذهم من الهلاك باحياء الموتى بجامع النفع في كل واستعير الاحياء للانقاذ واشتق منه أحييت أي أنقذت من الهلاك (قوله فترى) أيها المخاطب لو شاهدت تلك الواقعة الارض غبه أي ذلك المطر أي عقبه من حيث انه تولد عنه ما يدهش الابصار من الزروع والنباتات والازهار وقوله كسماء حال ان جعلت رأى بصرية وهو الظاهر أو مفعول ثان ان جعلت علمية وقوله أشرقت أي زالت عنها وقوله من نجومها أي من أجل نجومها وقوله الظلماء فيه تجوز اذ الاشراق انما يستعمل للنور ووجه الشبه ما حصل للارض باصابة الغيث وللسماء من النجوم من زوال ظلمتها الحقيقية في السماء والمجازية في الارض (قوله تخجل) أي تحير وتدهش وقوله الدر أي اللؤلؤ واسناد الخجل اليهما مجاز وهو على حذف مضاف أي أهلهما يعني ان من بأيديهم تلك الجواهر يشاهدونها ليلا ونهارا لا يملكون نفوسهم عند رؤية تلك الازهار الغريبة والاعشاب العجيبة وقوله من نور بفتح النون أي زهر وهو بيان لفاعل تخجل الآتي وهو البيضاء والحمراء قدم عليه لاجل النظم وقوله رباها بضم الراء أي المحال المرتفعة منها وخصت بالذكر لان الذي بها من النبات يكون أنضر وأبهى من بقية الارض وقوله البيضاء راجع للدر وقوله الحمراء راجع لليواقيت أي تخجل نورها الابيض الدر ونورها الاحمر اليواقيت ففيه لف ونشر مرتب وما تقرر من ان الناظم أراد القصة المذكورة التي كانت بالمدينة وصحت بها الاحاديث هو الظاهر ويجوز أن يريد أيضا القصة التي وقعت بمكة

وأتى الناس يشتكون أذاها
ورخاء يؤذي الانام غلاء
فدعا فانجلى الغمام فقل في
وصف غيث اقلاعه استسقاء
ثم أثرى الثرى فقرت عيون
بقراها وأحييت أحياء
فترى الارض غبه كسماء
أشرقت من نجومها الظلماء
تخجل الدر واليواقيت من نو
ر رباها البيضاء والحمراء

(قوله وذكر الناس مع ان الشاكي واحد الخ) نظيره قوله تعالى الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم اذ المراد بالناس الاول واحد كما هنا اهـ من ابن حجر

فقد ورد أن قريشا لما ابطؤا عن الاسلام دعا عليهم صلى الله عليه وسلم بالقحط فأخذتهم سنة حتى هلكوا فيها
وأكلوا الميتة والعظام فجاءه أبو سفيان فقال يا محمد قد جئت تأمر بصلة الرحم وان قومك هلكوا فادع الله لهم
فدعا فسقوا الغيث واستمر عليهم سبعة أيام فشكا الناس كثرته فسأل الله رفعه فارتفع (قوله ليتنى خصنى) لما
ذكر من صفاته الباهرة ما يشوق كل سامع لشئ منها الى رؤية وجهه الكريم تمنى ذلك فقال ليته وهى للتمنى
ما لا طمع فى حصوله أو ما فيه عسر خصنى برؤية وجه أى ليتنى أدركت زمنه فرأيته لاكون من أصحابه اذهم
أفضل من جميع من جاء بعدهم عند الاكثرين وذهب ابن عبد البر الى أنه يمكن أن يكون فى زمن من بعدهم
من هو أفضل من بعضهم وأشار بعضهم الى أن محل الخلاف فى صحابى لم يحصل له الا مجرد الرؤية وأما من زاد
على ذلك برواية عنه أو غزو معه فلا نزاع فيه أو ليتنى أراه فى الموقف وعلى الحوض وفى الجنة شافعا الى أو ليتنى
أراه فى النوم رؤية تدل على اعتنائه بى لاخباره صلى الله عليه وسلم بأن من رآه فى النوم فقد رآه حقا لان
الشيطان لا يتمثل بصورته وبأن من رآه فيه فقد رآه فى اليقظة أى كأنه رآه فيها لما تقرر أن الشيطان لا يتمثل
به مطلقا أى فى أى صورة كانت وقال بعضهم محله ان رؤى بصورته التى كان عليها فى الدنيا وصح عن ابن
سيرين وعن ابن عباس ما يفيد هذا التقييد ومقتضاه ان الشيطان يتمثل به اذا رؤى على صورة غير صورته
التى كان عليها فى الدنيا أو على صفة غير صفته وجاء فى حديث ضعيف انى أرى فى كل صورة وصحح النووى وغيره
أنه يرى حقيقة ولو على غير صفته وقال عياض فى رواية مسلم من رآنى فى النوم فسيرانى فى اليقظة يحتمل
ان المراد ان رؤيته على صفته موجبة لرؤيته فى الآخرة على أنواع خصوصية من قربه أو شفاعته له وقال
الغزالى فى رؤيته على صفته ليس المراد رؤية ذاته حقيقة بل مثال يحكيها على التحقيق كما فى رؤية الله تعالى اذ
لا صورة له ترى بل تمثال بحسب خيال الرائى معرف لها أى لذاته تعالى من نور أو غيره أو ليتنى أراه فى يقظتى
بناء على امكان ذلك وهو ما حكاه ابن أبى جمرة وكثيرون عن جماعة من التابعين ومن بعدهم أنهم رأوه فى اليقظة
وسألوه عن أشياء قال ابن أبى جمرة وهذه من جملة كرامات الاولياء وعن الغزالى ان أرباب القلوب فى يقظتهم
قد يشاهدون الملائكة وأرواح الانبياء ويسمعون منهم أصواتا ويستفيدون منهم فوائد ومما يؤيد هذا انه
لا يبعد ان من أكرم برؤيته يزيل الله الحجب بينه وبينه وهو بحاله فى قبره ويخلق الله فى الرائى قوة فى بصره
فيراه ولو مع بعد المسافة ويحادثه ويسمع كل كلام الآخر فتلخص ان الاحتمالات أربعة ليتنى رأيته فى
حياته ليتنى أراه فى القيامة ليتنى أراه فى النوم ليتنى أراه فى اليقظة والظاهر ان مراد الناظم هذا الرابع
وقرينة ذلك أنه تلميذ القطب أبى العباس المرسى فهو الذى حلت عليه بركته حتى وصل الى هذا المقام والقطب
المذكور وارث القطب الاكبر أبى الحسن الشاذلى وكل منهما حفظت عنه رؤية النبى يقظة بل قال الشاذلى
لو حجب عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفة عين ما عددت نفسى مسلما وممن حفظت عنه رؤية رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقظة مرارا العارف بالله تعالى سيدى على وفا ابن القطب الكامل سيدى محمد وفا وهما
من جملة المنتسبين الى القطب الشاذلى ومن ثم قالوا طريقة الوفائية خلاصة طريقة الشاذلية وكان سيدى على
يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا عند قبر والده بالقرافة فيكون الناظم منسوبا لهؤلاء يقرب انه سألها
يقظة كما وقع لهم ولقد كان شيخى وشيخ والدى الشمس محمد بن أبى الحمائل يرى النبى يقظة كثيرا حتى يقع له
أنه يسئل فى الشئ فيقول حتى أعرضه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يدخل رأسه فى جيب قميصه ثم يقول
قال رسول الله فيه كذا فيكون كما أخبر لا يتخلف ذلك أبدا وقوله زال أى تحول فزال هنا تامة وقوله من رآه
أى مؤمنا به فى حياته أو بعد موته فى يقظة الرائى أو فى النوم على صفته التى كان عليها فى الدنيا أو فى الآخرة
على وجه مخصوص وقوله الشقاء أى جميع أنواعه (قوله مسفر) بالجر نعت أو بالرفع خبر لمبتدأ محذوف
وكذا يقال فيما بعده فلما ذكر الوجه الكريم ذكر بعض صفاته فقال مسفر أى مشرق مضئ يكاد

زال عن كل من رآه الشقاء
مسفر يلتقى الكتيبة بسا
ما اذا أسهم الوجوه اللقاء

(قوله برؤية) هى والرؤيا بالألف التأنيث قيل بمعنى والاظهر ان الاولى أعم لشمولها اليقظة والمنام واختصاص الثانية بالثانى ولنا رسالة تتعلق برؤيا النبى صلى الله عليه وسلم سميناها بتبليغ المرام ببيان حقيقة رؤيته فى اليقظة والمنام فارجع اليها ان اردت اه حفنى على ابن حجر

نوره أن يخطف الابصار وقوله يلتقي أي ذلك الوجه وقوله الكتيبة أي الجيش العظيم وقوله بساما حال أي مبتسما وقوله اذا أسهم أي غير من سهم بفتح الهاء وضمها اذا احمر وتغير وقوله اللقاء اى لقاء العدوّ أي فهو في الحالات التي يتزعزع غيره فيها ويضطرب ويتغير وجهه على غاية من الطمأنينة والثبات والتبسم لعظم ما آتاه الله من الشجاعة التي لم يصل غيره الى أدناها وذهب بعض المالكية الى ان من قال ان النبي هزم انه يستتاب فان تاب والا قتل لانه ينقصه واعترضه بعض آخر منهم بما حاصله انه حيث كان ذلك تنقيصا لم يستتب ولم تقبل له توبة وقياس مذهبنا خلافا لمن أخطأ فيه انه ان نوى بذلك تنقيصه كفر والا فلا واذا قلنا بكفره فذهب بعض أئمتنا الى انه لا تقبل توبته والمعتمد قبولها منه (قوله جعلت مسجد الله) أي لذلك الوجه المكرم ولأمته بطريق التبع له وقوله الارض أي كلها وتصح الصلاة في سائر بقاعها كما في الحديث أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل وأحلت لي الغنائم ولم تحل لاحد قبلي وأعطيت الشفاعة وكل نبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة رواه الشيخان والنسائي عن جابر والمراد بقوله مسجدا أي موضع سجود أي ان السجود لا يختص بموضع منها دون غيره ومعناه ان الصلاة لم تحل لمن قبلنا الا في محل يهيؤنه للصلاة كالبيع والكنائس والصوامع والخبر مصرح بذلك ولفظه وكان من قبلي انما يصلون في كنائسهم وهذا ظاهر في حال اقامتهم أما في حال سفرهم فيحتمل ان صلاتهم كانت تسقط عنهم فيه ويحتمل انهم كانوا يؤخرونها الى ان يجدوا كنيسة أو نحوها ويحتمل انه كانت تجوز صلاتهم في أي بقعة كانت فتكون الخصوصية لنا عليهم بالنسبة لحالة الاقامة وقوله فاهتز أي فبسبب هذا الجعل اهتز أي تحرك طربا وفرحا به صلى الله عليه وسلم للصلاة أي لاجلها فيها أي الارض أي وذلك الجبل من جملة بقاعها فلا بد من هذه الضميمة ليظهر التعليل ومحصله ان فرحه المذكور وتحركه لاجل جواز الصلاة وحلها فيه من حيث انه من جملة أجزاء الارض وفي الحديث ما يقتضي ان تحركه وسروره من حيث مشي النبي عليه وصعوده عليه ولا منافاة اذ يمكن ان يكون فرحه بكل من الامرين وقوله حراء بالكسر والمد ويجوز قصره وصرفه باعتبار المكان والبقعة كسائر أسماء الامكنة وهو الجبل الذي كان يتعبد فيه قبل النبوّة ودليل ذلك انه صلى الله عليه وسلم كان على حراء ذات يوم هو وأبو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير فتحرك الجبل فقال اسكن حراء ما عليك الا نبي أو صديق أو شهيد وجاء في رواية انه كان معه العشرة الا أبا عبيدة وجاء ان هذا وقع له في أحد أيضا وكان معه فيه أبو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم فضربه برجله وقال اثبت أحد فانما عليك نبي وصديق وشهيد وجاء هذا في ثبير أيضا وهو جبل مقابل لحراء قال الطبري وغيره واختلاف الروايات يحمل على انها قصص قد تكررت وهو واضح (قوله مظهر) أي ذلك الوجه الكريم وقوله شجة الجبين أي جرح جبينه وهو المنحرف عن الجبهة فوق الصدغ وفي التعبير به مسامحة وتجوّز لما يأتي ان الذي شج أي جرح جبهته وفي رواية وجنته والوجنة ما ارتفع من الخدين والجبين غيرهما فالتعبير به من مجاز المجاورة وقوله على البرء أي معه فعلى بمعنى مع من برئ من المرض بكسر الراء وبضم الباء وبفتحها مع سكون الراء فيهما وهذه الشجة كانت يوم أحد فعن أبي سعيد الخدري ان عتبة بن أبي وقاص الذي مات شقيا وهو أخو سعد بن أبي وقاص أول من رمى بسهم في سبيل الله وكان النبي صلى الله عليه وسلم يفتخر به ويقول هذا سعد خالي أي لانه زهري فليرني امرؤ خاله فشتان ما بين هذين الاخرين رمى ذلك الشقي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد فشج وجهه وكسر رباعيته اليمنى السفلى وعن أبي سعيد أيضا ان عبد الله بن شهاب الزهري شج رسول الله صلى الله عليه وسلم في جبهته وان عمرو بن قمئة جرح وجنته فدخلت حلقتان من المغفر فيها ووقع في حفرة وهشموا البيضة على رأسه ورموه بالحجارة حتى وقع على شقه في حفرة وجاء في خبر مرسل ان وجهه صلى الله عليه وسلم ضرب يومئذ بالسيف سبعين ضربة

جعلت مسجد الله الارض فاهتز
زت به للصلاة فيها حراء
مظهر شجة الجبين على البر
ء كما أظهر الهلال البراء

(قوله اذا أسهم الخ) وصح انه صلى الله عليه وسلم ثبت على بغلته في غزوة حنين لما تفرق عنه أصحابه وبركضها الى وجه العدوّ وينوّه باسمه ليعرفه من لا يعرفه قائلا * انا النبي لا كذب * انا ابن عبد المطلب * ولا شجاعة وراء ذلك اهـ من ابن حجر

(قوله وان عمرو بن قمئة الخ) ولما رماه قال خذها وانا ابن قمئة فقال صلى الله عليه وسلم وهو يمسح الدم عن وجهه اقمأك الله فسلط الله عليه تيس جبل فلم يزل ينطحه حتى قطعه قطعة قطعة اهـ ابن حجر

ووفاه

ووقاه الله شرها كلها وقوله كما مامصدرية وقوله البراء بفتح الموحدة وهو يطلق على أول ليلة من الشهر وعلى آخر ليلة منه وعلى آخر ليلة من النصف الاول والمراد هنا الاول لاجل ذكر الهلال اذ هو اسم للقمر أول ليلة وقيل والثانية والثالثة أى ان وجهه المكرم أظهر آثار تلك الشجة مع برئها ظهورا واضحا ليس فيه أدنى شين بل كان فى غاية الجمال كظهور الهلال ليلة استهلاله وذلك لحكمتين ليتذكر الراؤن بذلك والراوون بعدهم ما وقع له من المحنة وعظيم الصبر عليها حتى يقتدى به فى ذلك وليعلموا ان تلك الشجة لم تشنه بل زادته جمالا على جماله لانها صارت بعد البرء فى وجهه كالهلال فى السماء (قوله ستر) أى ذلك الوجه الحسن أى الاصلى وقوله منه أى من ذلك الوجه وقوله بالحسن أى العارض من الشجة وقوله لجمال أى أصلى وقوله له الجمال أى العارض وقوله وقاء أى وقاية وسبب ذلك أن الله تعالى أعطاه غاية الجمال فى باطنه وظاهره ويكفيك شاهدا على ذلك ما مر ان الله جعله كله نورا حتى لم يظهر له ظل فكان جلده ساترا لجماله الباطن فلما أزالته الشجة ظهر من أنواره الباطنة ما صيرها كالهلال فى وجهه وصار حينئذ حسن ظاهره مستورا بما ظهر من حسن باطنه فهما جمالان عظيمان صار باطنهما وقاية لظاهرهما وهذا مما يستغرب ويتعجب منه ولذلك شبهه بتشبيهات توضح ذلك وتكشفه فقال فهو كالزهر الخ (قوله فهو) أى ما ظهر بالشجة من باطن بدنه كالزهر أى نور النبات وقوله لاح أى ظهر وقوله من سجف الاكمام السجف بفتح أوله وكسره الستر والاكمام جمع كم بكسر الكاف وهو غطاء النور المشبه به هنا ظاهر الجلد فالاضافة فى سجف الاكمام بيانية وقوله والعود أى وهو أيضا كالعود الذى يتطيب به اذا شق عنه أى أزيل عنه اللحاء وهو قشر الشجر من لحوته ألحوه قشرته باللحاء فظاهر الجلد كاللحاء وباطنه كالعود وفى هذين التشبيهين ما يعلمك أن جمال باطنه بما فاق جمال ظاهره ومن ثم قال كاد أن يغشى الخ (قوله كاد) أى قارب ما ظهر من جماله بالشجة أن يغشى بالغين المعجمة أى يغطى أطهر من المهملة وقوله سنى بالقصر أى ضوء عظيم وقوله منه متعلق بمحذوف أى خارج منه وقوله نسر فيه أى فى ذلك الباطن الذى ظهر وهو سره صلى الله عليه وسلم كله ضياء ونور أعظم من ضياء الشمس وقوله حكته أى شابهته وقوله ذكاء بضم المعجمة وعدم الصرف أى الشمس (قوله صانه) أى صان ذلك الجمال الذى ظهر الحسن أى لو انفرد فكيف وقد انضم اليه السكينة وهى الوقار مع طمأنينة القلب وعدم تحركه مما يمحن به من المؤذيات التى لا يسكن عندها غيره وقوله أن تظهر أى من أن تظهر فيه آثارها الضمير يعود على البأساء الواقع فاعلا أى الشدائد فلذلك لم يظهر عليه من تلك الشجة الا غاية الطمأنينة ونهاية الجمال فعلم أنه فى حالة اليسر كهو فى حالة البأساء لما أودعه الله من كمال الجمال وتمام البهاء بلا تؤثر فيه البأساء شيأ (قوله وتخال) أى تظن أنت وقوله ان قابلته أى عاينته وجواب ان محذوف أى تحيرت من فرط جماله وتلونت بالالوان المختلفة ويدل على هذا المحذوف قوله ألبستها الخ الذى سد مسد مفعول تخال الثانى وجملة الشرط وجوابه معترضة بين المفعولين وقوله ألوانها ضميره عائد على الحرباء الواقع فاعلا وهى طائر مشهور ومن شأنها أنها تستقبل الشمس وتدور معها كيف دارت وتتلون بالالوان العجيبة المختلفة وهى على قدر القطا أو قريب منها قال بعضهم وهذا الطائر الذى هو الحرباء موجود فى بلاد الشام كثيرا وذكر من رآها أنها اذا وقع عليها ثوب أبيض صار لونها أبيض أو أصفر صار لونها أصفر مثله وأنها اذا رأت ذبابة على الارض وهى على الشجرة التقطتها بلسانها الطول لسانها اه ثم رأيت فى حياة الحيوان الكبرى للعلامة كمال الدين الدميرى ما نصه الحرباء كنيته أبو جارف وأبو الزنديق وأبو شقيق وأبو قادم قال الامام القزوينى فى عجائب المخلوقات لما كان الحرباء خلقا بطىء النهضة وكان لا بد له من القوت خلقه الله على صورة عجيبة تخلق عينيه تدور الى كل جهة من الجهات حتى يدرك صيده من غير حركة فى بدنه ولا قصد اليه ويبقى كأنه جامد كأنه ليس من الحيوان ثم أعطى من السكون خاصية أخرى وهى أنه يتشكل فى لون الشجرة التى يكون عليها حتى يكاد يختلط لونه بلونها

ستر الحسن منه بالحسن فاعجب
بجمال له الجمال وقاء
فهو كالزهر لاح من سجف الا
كمام والعود شق عنه اللحاء
كاد أن يغشى العيون سنى منـ
ـه لسر فيه حكته ذكاء
صانه الحسن والسكينة أن تظـ
ـهر فيه آثارها البأساء
وتخال الوجوه ان قابلته
ألبستها ألوانها الحرباء

(قوله والسكينة) أى وقار الظاهر مع طمأنينة القلب وعدم تحركه بما يمحن به من المؤذيات التى لا يسكن عندها غيره اه ابن حجر (قول المحشى وهى طائر مشهور) الصواب اسقاطه لانها كسام أبرص ليس لها جناح كما شاهدناها

فاذا شمت بشره ونداه
أذهلتك الانوار والانواء
أو بتقبيل راحة كان للـ
ـه وبالله أخذها والعطاء
تتقي بأسها الملوك وتحظى
بالغنى من نوالها الفقراء
لاتسل سيل جودها انما يكـ
ـفيك من وكف سحبها الانداء
درت الشاة حين مرت عليها
فلها ثروة بها ونماء

(قوله أو بتقبيل راحة) أي بأثمي في اليقظة أو النوم نظير مامر لكفه التي كان لله الخ اهـ ابن حجر

ثم اذا قرب منه ما يصطاده من ذباب وغيره أخرج لسانه ويخطف ذلك بسرعة كلمعوق البرق ثم يعود الى حاله كأنه جزء من الشجر فوخلق الله لسانه بخلاف المعتاد ليلحق مابعد عنه بثلاثة أشبار ونحوها يصطاد به على هذه المسافة واذا رأى مايريعه ويخيفه تشكل وتكون على هيئة تشكل يفر منه كل من يريده من الجوارح ويكرهه بسبب ذلك التلون انتهت والحرباء أكبر من القطاة وهي تستقبل الشمس وتدور معها كيف دارت وتتلون بحر الشمس كما قال الامام الغزالي ألوانا مختلفة فتتلون الى حمرة وخضرة وصفرة وماشاءت وهو ذكر والجمع الحرابي والانثى حرباية وهي أبدا تطالب الشمس فحين تبدو تحرف بوجهها اليها حتى اذا استوت الشمس علت رأس شجرة ومايجري مجراها فاذا صار قرص الشمس فوق رأسها بحيث لاتراها أصابها مثل الجنون فلا تزال طالبة لها ولاتفتر الى أن تتصوب الى جهة الغرب فترجع بوجهها اليها مستقبلة لها ولا تحرف عنها الى أن تغيب فاذا غابت الشمس طاب هذا الحيوان معاشه ليله كله الى أن يصبح وهذا الحيوان يشبه رأس العجل وعلى هيئة السمكة الصغيرة ولها أربعة أرجل كسام أبرص وسنام كسنام البعير (قوله فاذا شمت) أي فبسبب هذا الجمال الباهر والاحسان الكثير اذا شمت بالمعجمة من شمت البرق نظرت الى سحابه وقوله بشره أي طلاقة وجهه وقوله ونداه أي جوده أي اذا تطلعت الى مخايله بصرك متنظرا اليه أذهلتك أي أدهشتك ما أنت بصدده الانوار الباهرة التي تحصل لك من بشره عند رؤيته وجهه وقوله والانواء جمع نوء وهو ما تضيف العرب الامطار اليه من النجم أو وتتمه نحو مطرنا بنوء الثريا وهي هنا كناية عن الخيرات الواصلة منه لمن قصد نداه وأمله ففيه لف ونشر مرتب لرجوع الانوار للبشر والانواء للندى (قوله أو بتقبيل راحة) لما أنهى رؤية الوجه الكريم وأتبعه باوصافه العلية أخذ في تمني تقبيل راحته الكريمة ووصفها بأوصافها العلية فقال أو بتقبيل أي أوليته خصني بتقبيل راحة وأو بمعنى الواو والراحة بطن الكف لكن المراد بها هنا الكف بتمامها أي بتقبيلها في اليقظة أو في النوم على مامر من الوجوه الاربعة في رؤية الوجه ووقع تقبيلها في اليقظة لكثير كالقطب الرفاعي لما حج ووقف على القبر الشريف وأنشد

في حالة البعد روحي كنت أرسلها * تقبل الارض عني وهي نائبتي
وهذه دولة الاشباح قد حضرت * فامدد يمينك كي تحظى بها شفتي

فخرجت له اليد الشريفة من القبر فقبلها بحضرة الناس ووقع ذلك أيضا للشيخ الناظم فقد طلب المريد فانه قال صاحبت كفي هذه كف النبي مرارا اهـ ومن لازم هذا تقبيلها وقوله كان لله أي لاجل ابتغاء وجهه دون غرض آخر وقوله وبالله أي بسبب شهوده اعانته واقداره وقوله والعطاء اسم مصدر بمعنى الاعطاء وذلك لبراءتها عن كل غرض ينافي الكمال الاعظم (قوله تتقي) بفتح التاءين أي تخاف وتحذر وقوله بأسها أي شدتها في الحرب وقوله الملوك كقيصر وكسرى والمقوقس وقوله وتحظى بفتح التاء أي تفوز وتظفر بالغنى الحسي والمعنوي وقوله من نوالها أي اعطائها وذلك لانه كان أجود الناس ومع ذلك يعيش عيش الفقراء بايثاره على نفسه وعياله وكان جوده كله لله وفي ابتغاء مرضاته ببذل المال تارة للفقراء وتارة ينفقه في سبيل الله وتارة يتألف به من يقوى اسلامه أو من يسلم باسلامه نظراؤه (قوله لاتسل) اصله تسأل بالهمزة ثم خفف بحذفه كما قرئ به في سأل سائل وقوله سيل هو الماء الكثير الجاري وقوله جودها بفتح الجيم وهو المطر الغزير أي لاتسأل هذا الامر المكنى به عن سعة عطائه وجوده فان هذا شئ لايقدر أحد من البشر قدره وقوله انما أي ان الذي يليق بك أن تسأل مايكفيك وهو أن يصل اليك من وكف أي تقطر سحبها جمع سحاب والانداء جمع ندى وهو البلل على أن بلل هذا القطر فيه الغنى الكلي (قوله درت الشاة) أي أرسلت لبنها الغزير وقوله فلها أي فبسبب ذلك صار لها بعد فقد اللبن منها بالكلية اذ لم يكن طرقها فحل قط وقوله ثروة أي كثرة لبن وقوله بها أي بسبب تلك الراحة الكريمة وقوله ونماء أي زيادة في تلك الثروة وهذه القصة وقعت لما خرج من غار

ثو رمهاجرا الى المدينة ومعه أبو بكر ومولاه عامر بن فهيرة فأخذ بهم الدليل طريق الساحل فمروا بقديد قرب
رابغ على أم معبد عاتكة بنت خالد الخزاعية وكانت برزة أى كثيرة البروز للرجال مع عفتها وصيانتها وانما
تبرز لهم لتسقى العطاش وتطعم الجائعين وكان الوقت وقت قحط فطلبوا منها لبنا ولحما يشترونه فلم يجدوا
عندها شيأ فنظر صلى الله عليه وسلم الى شاة فى جنب الخيمة تخلفت عن صواحبها أن تسرح معها لضعفها من
شدة الجوع فسألها هل بها لبن فقالت هى أجهد من ذلك وما ضربها فحل قط فقال أتأذنين لى أن أحلبها قالت
نعم ان رأيت بها حلبا فاحلبها فدعا بالشاة فاعتقلها أى جعل رجلها بين ساقه وفخذه على عادة حلب الشياه
ومسح ضرعها وسمى الله فتفاجت أى فرقت بين رجليها ليسهل حلبها ودعا باناء يشبع الجماعة فملأه من
حلبها وسقى القوم حتى رووا ثم شرب آخرهم ثم حلب فيه مرة بعد أخرى فتركه عندها وذهبوا (قوله
نبع الماء) أى ومن أوصاف تلك الراحة أيضا أنه نبع الماء أى بها اذ قول الناظم فيما يأتى بها راجع لكل
من الامرين نبع الماء واثمار النخل ولم يقل منها مع أنه المتبادر ليفيد أن نبع الماء وقع تارة منها نفسها وتارة
من غيرها ببركتها أما الاول فقد وقع مرات كثيرة فمنها ما فى الصحيحين عن أنس ان الناس احتاجوا الصلاة
العصر فلم يجدوا ماء فأتى النبى صلى الله عليه وسلم بوضوء فوضع يده فى ذلك الاناء فنبع الماء من بين أصابعه
حتى توضؤا وكانوا ثمانين وفيه أى البخارى أن الماء نبع من بين أصابعه ومن أطراف أصابعه ووقع نظير
ذلك فى غزوة تبوك وكانوا ألفا وخمسمائة وظاهر الروايات أن الماء نبع من نفس اللحم الكائن فى الاصابع
وصححه النووى وجزم به غيره وانما استدعى قليل ماء تأدبا مع ربه فانه المنفرد بايجاد المعدومات من غير مادة
وأما الثانى فمنه ما وقع فى الحديبية انهم أتوا على بئرها وكان ماؤها قليلا فنزحوه ثم عطشوا فأخذ صلى الله عليه
وسلم سهما من كنانته فغرزه فى قعر البئر ففارت البئر ومكثوا عليها أياما عديدة يستقون لانفسهم ومواشيهم
وكانوا ألفا وأربعمائة وماؤها كثير الى الآن وقوله أثمر النخل أى فى عامه أى فى سنة غرسه وقوله بها أى بسبب
تلك الراحة الكريمة وذلك فى قصة سلمان الفارسى * وحاصلها أنه لما قدم المدينة أتاه سلمان وآمن به وكان
مسترقا فأمره أن يكاتب سيده فكاتبه على غرس ثلثمائة ودية وتعهدها حتى تثمر وعلى أربعين أوقية ذهبا
فأخبر سلمان رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فأمر أصحابه أن يعينوه بالودى فأعانوه به ثم غرسه صلى الله
عليه وسلم بيده فما مات منها واحدة بل أثمرت كلها فى عامها وبقى عليه الذهب فجاء رسول الله صلى الله عليه
وسلم بمثل بيضة دجاجة من ذهب فأعطاه اياه فقال وأين تقع هذه مما على فقال خذها فان الله سيؤدى بها
عنك فوزن لهم منها أربعين أوقية قال سلمان والذى نفسى بيده انه قد فضل منها قدر ما وزنت لهم وقوله سبحت
بها أى فيها الحصباء لغة فى الحصى * وحاصل قصته أنه كان عنده أبو بكر وعمر وعثمان فقبض حصيات فسبحن
فى كفه حتى سمع لهن حس كحس النحل فناولهن أبا بكر فسبحن فى كفه كذلك ثم عمر كذلك ثم عثمان كذلك
ثم أخذها الحاضرون فلم تسبح مع أحد منهم ومعنى تسبيح الحصى وغيره من الجمادات أن الله خلق فيه اللفظ
الدال على التنزيه حقيقة خرقا للعادة (قوله أحيت المرملين) أى ومن أوصافها أيضا أنها أحيت المرملين الذين
نفدت أزوادهم من القحط حتى أشرفوا على الموت فشبه انقاذهم من الهلاك باحياء الموتى على سبيل
الاستعارة التصريحية التبعية وقوله من موت جهد أى قحط شديد والاضافة بيانية مبالغة بادعاء أن ذلك الجهد
لما كان قريبا من الموت أطلق عليه اسمه وقوله أعوز القوم يقال أعوزه الشئ اذا احتاج اليه فلم يقدر عليه
أى عز وتعذر عليهم وقوله فيه أى فى ذلك الجهد وقوله زاد عبر به مع أنه يقال لطعام المسافر خاصة وذلك
للاشارة الى أنهم لما حصلت لهم تلك الشدة صاروا كالمسافرين المشرفين على الهلاك (قوله فتغدى)
الغداء بفتح الغين المعجمة والدال المهملة يقال لما يؤكل من أول النهار الى الزوال والعشاء بفتح العين ما يؤكل
بعد الزوال الى الفجر كما فى القاموس وأما الغذاء بكسر الغين المعجمة والذال المعجمة فهو اسم لما يؤكل على

نبع الماء أثمر النخل فى عا
مه بها سبحت بها الحصباء
أحيت المرملين من موت جهد
أعوز القوم فيه زاد وماء
فتغدى بالصاع ألف جياع
وتروى بالصاع ألف ظماء

(قوله نبع الماء) قال العلامة ابن حجر وصح عن مقاتل فى بعض رواية أن العطش اشتد بهم فى غزوة تبوك حتى كادت رقابهم تنقطع وكان الرجل ينحر بعيره فيعصر فرثه ويشربه ويجعل الباقى على كبده فسأله أبو بكر رضى الله تعالى عنه أن يدعو لهم فقال صلى الله عليه وسلم أتحبون ذلك قال نعم فرفع صلى الله عليه وسلم يده فلم يرجعها حتى سالت السماء فاسكبت فملؤا ما معهم من آنية ثم ذهبوا ينظرونها فلم يجدوها جاوزت العسكر اهـ

ووفى قدر بيضة من نضار   دين سلمان حين حان الوفاء
كان يدعى قنا فأعتق لما   أينعت من نخيله الاقناء

(قوله الوفاء) أي حلول الاجل وبين وفى والوفاء الجناس الناقص ورد العجز على الصدر وحين ودين وحان الجناس اللاحق اه ابن حجر

سبيل التفوّت في أي وقت كان فقول الناظم فتغدى بالغين المعجمة والدال المهملة وذلك لان قصة جابر كانت في أوّل النهار وقوله ظماء جمع ظامئ أي عاطش أما تروّى الالف الظماء بالماء القليل النابع من بين أصابعه تارة وببركته أخرى فقد مر الكلام عليه والتعبير فيه بالصاع للاشارة الى تقليله لا لخصوص هذا المقدار وانما ذكره للمشاكلة لما قبله وكذلك التعبير بالالف المراد به العدد الكثير ففي بعض المواطن كالحديبية كانوا ألفا وأربعمائة أو خمسمائة خصوصا وقد مكثوا أياما عديدة على ماء وفي بعضها كغزوة تبوك كانوا ألوفا مؤلفة وأما تغدى الالف الجياع بالصاع فهو ما في الصحيحين عن جابر أنه رأى بالنبي في حفر الخندق جوعا شديدا فذهب لامرأته وأخبرها فأخرجت صاعا من شعير وشاة فذبحها وطحنت الشعير ثم ذهب للنبي فأخبره وطلب أن يأتي بنفر قليل معه فصاح النبي صلى الله عليه وسلم يا أهل الخندق ان جابرا قد صنع لكم سورا فحيهلا بكم والسور بالفارسية هو الطعام وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يتكلم تارة بغير العربية ثم أمره أن لا ينزل البرمة ولا يخبز العجين حتى يجيء فلما جاء بصق في العجين وفي البرمة وبارك فيهما ثم أمرها أن تدعو خابزة تخبز معها وأن تغرف من برمتها ولا تنزلها فأكلوا وهم ألف حتى تركوه وان عجينهم وبرمتهم كما هما (قوله ووفى) بالتخفيف قدر بيضة أي بيضة دجاجة من نضار بضم النون أي ذهب وقوله دين سلمان أي الفارسي أي الدين الذي كان عليه من جملة ما كاتب عليه سيده وهو أربعون أوقية من الذهب كما مر مع صغر تلك البيضة وعظم ذلك الدين وقوله حين حان أي قرب الوفاء أي حلول الاجل (قوله كان يدعى قنا) أي أرق بالباطل * وملخص قصته كما حكاه هو عن نفسه أنه كان من أصبهان واجتهد في المجوسية حتى صار رئيسا فمر بكنيسة النصارى فأعجبوه لانهم كانوا حواري عيسى وكانوا يتعبدون على ذلك الدين حين كان حقا فذكر ذلك لابيه فقيده وقال له دينك ودين آبائك خير من دينهم وكان سلمان قد سألهم عن أصل دينهم أي عن العلماء الكبار فيهم فقالوا له بالشام فلما حبسه أبوه أرسل اليهم اذا جاءكم أحد من الشام فأخبروني ففعلوا فحل القيد وسافر الى الشام فاجتمع بالنصارى هناك فسألهم عن أعلمهم فدلوه عليه فخدمه الى أن مات ثم خدم من أقيم مقامه فلما احتضر قال له بمن توصيني قال بفلان بالموصل فسافر اليه وأخبره بقصته ثم خدمه فلما احتضر قال له بمن توصيني قال بفلان بنصيبين المدة من بلاد اليمن فسافر اليه وأخبره خبره ثم خدمه فلما احتضر قال بمن توصيني قال بفلان بعمورية من أرض الروم وكانت محل قيصر وهي مدينة كبيرة فسافر اليه وأخبره خبره ثم خدمه فلما احتضر قال له بمن توصيني قال يا بني ما أعلم أحدا على ما كنا عليه حتى آمرك أن تأتيه وانه قد أظل زمان نبي هو مبعوث بدين ابراهيم يخرج من أرض العرب يهاجر الى أرض بين حرتين به علامات لا تخفى يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة بين كتفيه خاتم النبوة فان استطعت أن تلحق بأرضه فافعل ثم مات فمر بي نفر من كلب فقلت لهم تحملوني الى أرض العرب وأعطيكم ما عندي فحملوني فلما بلغوا وادي القرى مكان قريب من المدينة ظلموه وادعوا رقه فباعوه من يهودي فباعه لابن عم له من بني قريظة بالمدينة قال فلما رأيتها عرفتها فبعث صلى الله عليه وسلم بمكة فلم أسمع له ذكرا ثم هاجر الى المدينة فبينا أنا ذات يوم على رأس نخلة أجني لسيدي رطبا اذ جاءه ابن عم له فقال له قاتل الله بني قيلة وهي أم الاوس والخزرج انهم الآن مجتمعون بقباء على رجل قدم اليهم من مكة يزعمون أنه نبي فأخذتني رعدة وشدة حتى ظننت أني ساقط فنزلت فقلت لسيدي ماذا قال لك هذا فغضب ولطمني لطمة شديدة وقال مالك ولهذا أقبل على عملك فلما أمسى أخذ طبقا من رطب وذهب به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بقباء ووضعه بين يديه فقال ما هذا يا سلمان فقال له هذا صدقة فأمر أصحابه بأكله ولم يأكل منه فلما قدم المدينة أتاه بطبق آخر من رطب فقال له ما هذا فقال هدية لك فأكل منه ثم ذهب النبي صلى الله عليه وسلم الى البقيع وقد تبع جنازة فجاء سلمان فجعل ينظر الى ظهره فعرف النبي أنه يتأمل لشيء وصف له فألقى رداءه عن ظهره فرأى خاتم النبوة فقص عليه حديثه وأسلم فأمره

أن يكاتب سيده نظر الظاهر حاله والا فهو من جملة الاحرار اذ هو من أتباع حوارى عيسى فكاتب سيده على غرس الثمانمائة نخلة وتعهدها حتى تثمر وعلى أربعين أوقية ذهبا فغرس له النخل فأثمرت من عامها وأعطاه مثل بيضة من ذهب فوفت الاربعين فأعتق بأداء النجوم وعاش سلمان من العمر مائتين وخمسين سنة وقيل أكثر وقوله لما أى حين أينعت أى نضجت من نخيله حال من قوله الاقناء جمع قنو وهو العذق بكسر العين أى العرجون وأما بفتحها فهو النخلة (قوله أفلا تعذرون) الهمزة داخلة على محذوف أى أتظلمون سلمان وتمنعونه من الاجتماع بمحمد فلا تعذرون سلمان بضم الذال المعجمة أى ترون له عذرا يمنعكم من ايذائه ومنعه وقد وضح الدليل عندكم على نبوته وقوله لما أن عرته أى حين عرته أى اعترته وغشيته وقوله من ذكره أى من أجل ذكره أى ذكر اليهودى لقريبه النبي واجتماع الناس به فى قباء وقوله العرواء بضم العين وفتح الراء والمد أى قوة الحمى فى أول أخذها الانسان بالشدة والرعدة (قوله وأزالت) أى ومن أوصاف تلك الراحة أيضا أنها أزالت بلمسها لمن به أمراض كل داء وقوله أكبرته أى استعظمته وعجزت عن مداراته وقوله أطبة جمع طبيب وهو العالم بعلم الطب الذى حفظ صحة الانسان وقوله واساء بكسر الهمزة أى مرضى جمع آس كرعاء وراع روى الدارمى أن امرأة جاءت الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله ان ابنى به جنون وانه ليأخذه عند غدائنا وعشائنا فمسح صدره فخرج من جوفه مثل الجرو الاسود فشفى والجرو ولد الكلب والسباع (قوله وعيون) أى ومن أوصافها أيضا أنه يرى بها عيون باصرة مرت أى تلك الراحة وهى رمد جمع رمداء تأنيث أرمد أى معطلة الابصار وقوله فأرتها أى أرت تلك الراحة العيون مالم ترأى الشئ البعيد الذى لم تره الزرقاء المشهورة بزرقاء اليمامة التى كانت ترى من مسيرة ثلاثة أيام روى البخارى فى غزوة خيبر أنه صلى الله عليه وسلم قال أين على أى ليعطيه الراية ليكون الفتح على يديه فقالوا يشتكى عينيه قال أرسلوه الى فأتى به فبصق فى عينيه ودعا فبرئ حتى كأن لم يكن به وجع وفى رواية عن على قال فوضع رأسى فى حجره ثم بصق فى راحته فدلك بها عينى فما اشتكيتهما قط (قوله وأعادت على قتادة) بن النعمان عينا له قد ذهبت وقوله حتى أى الى مماته النجلاء أى الواسعة والمراد واسعة النظر * وقصته أن عينه أصيبت يوم أحد فوقعت على وجنته وفى رواية على كفه فأتى بها النبي صلى الله عليه وسلم وقال يارسول الله ان لى امرأة أحبها وأخشى أن ترانى أعور فتكرهنى قال صلى الله عليه وسلم ان شئت اخترت أما أن أردها لك أو أضمن لك على الله الجنة فقال أختار الامرين يارسول الله فأخذها بيده وردها الى موضعها وقال اللهم اكسها جمالا فكانت أحسن عينيه وأحدهما نظرا وقد وفد على عمر بن عبد العزيز رجل من ذرية قتادة فقال له عمر من أنت قال

أبونا الذى سالت على الخد عينه * فردت بكف المصطفى أيما رد
فعادت كما كانت لأول أمرها * فياحسن ماعين ويا حسن مارد

فوصله عمر وأحسن جائزته قال السهيلى وفى رواية عن قتادة أصيبت عيناى يوم أحد فسقطتا على وجنتى فأتيت بهما النبي فأعادهما مكانهما وبصق فيهما فعادتا تبرقان وأخرج الطبرانى عنه قال كنت يوم أحد أتقى السهام بوجهى دون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان آخرها سهم اندرت منه حدقتى فأخذتها بيدى وسعيت الى رسول الله فلما رآها فى كفى دمعت عيناه فقال اللهم ق قتادة كما وقى وجه نبيك بوجهه فاجعلها أحسن عينيه وأحدهما نظرا ويجمع بين رواية الواحدة ورواية الثنتين بان أحد الرواة ظن أن الساقط واحدة وبعضهم علم أنه ثنتان فأخبر كل بحسب علمه ومن قواعدهم أن زيادة الثقة مقبولة وبها ترجح رواية الثنتين (قوله أو بلثم التراب) أو بمعنى الواو أى ولينتصحنى فى اليقظة أو النوم نظير مامر بلثم أى تقبيل التراب وقوله من قدم متعلق بمحذوف أى المنفصل من قدم اى قدمه عليه الصلاة والسلام وقوله حياء أى لاجل الحياء فهو مفعول لاجله أو تمييز أى من جهة الحياء وقوله من مشيها أى من أجل مشيها أى تلك القدم وقوله

افلا تعذرون سلمان لما * أن عرته من ذكره العرواء
وأزالت بلمسها كل داء * أكبرته أطبة واساء
وعيون مرت بها وهى رمد * فأرتها مالم تر الزرقاء
وأعادت على قتادة عينا * فهى حتى مماته النجلاء
أو بلثم التراب من قدم لا * نتحياء من مشيها الصفواء

(قوله وعيون الخ) قال العلامة ابن حجر فائدة روى ابن أبى شيبة والبغوى والبيهقى والطبرانى وأبو نعيم أنه صلى الله عليه وسلم نفث فى عينى فديك وكانتا مبيضتين لا يبصر بهما شيأ وكان قد وقع على بيض حية فكان يدخل الخيط الابيض فى الابرة وانه لابن ثمانين سنة وان عينيه لمبيضتان اه

الصفوا جمع صفاة وهي الحجر الصلد أي شديد الصلابة وفي هذا تنبيه للعاقل على أنه ينبغي له أن يكون على غاية من الحياء من مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه اذا علم أن الحجر استحيا منه أن يبقى على صلابته فيشق عليه مشيه عليه فلان له حتى يسهل عليه مشيه عليه فالعاقل أولى بالاستحياء من أن يبقى على مخالفته مع علمه بجليل أوصافه وما ذكره الناظم ذكره غير واحد ممن تكلم على الخصائص وقال بعضهم وأعجب من هذا أنه كان اذا مشى على الرمل لا يؤثر فيه خوفا للعادة في كل منهما وقال بعضهم لم يثبت كل من الامرين فقد قال السيوطي لا أعلم ذلك ولم أحفظه واذا سئل الحافظ عن شيء وقال لا أعلمه يكون في الغالب ممنوعا (قوله موطئ) بدل من التراب وقوله الاخمص بضم الميم والمراد به الجنس أي الاخمصين وهو من التعبير بالبعض عن الكل اذ الاخمص من القدم الموضع المرتفع من باطنها الذي لا يلصق بالارض ولا يصلها عند المشي وكان خمصه أي ارتفاع وسط باطن قدمه معتدلا وهو الممدوح بخلاف البالغ في الارتفاع فهو مذموم وبخلاف القدم التي لا أخمص لها أي لا ارتفاع فيها بل هي مستوية فهي مذمومة أيضا وتسمى رحاء وأما التي فيها الخمص فتسمى خمصاء والارتفاع فيها يسمى خمصا والموضع المرتفع يسمى أخمصا بوزن أفلس وقوله الذي نعت لموطئ وقوله منه حال من المبتدا المؤخر وهو وطاء وقوله للقلب خبر مقدم والجملة صلة الموصول والقلب الفؤاد وقوله اذا اضجعي بفتح الجيم أي جنبي الذي أضطجع عليه وقوله اقض بالقاف والمعجمة أي أصابه القضض وهو التراب الذي يعلو الفراش كما في القاموس والمراد تراب مسه القدمان الشريفان وقوله وطاء أي فراش فقد وصف ذلك التراب الذي هو موطئ القدمين الشريفين بانه لو فرض أن مضجعه أصابه منه شيء يكون ذلك الشيء الذي أصاب المضجع الذي هو الجنب فراشا للقلب فالمعنى أنه اذا رقد على تراب مسه القدمان الشريفان صار التراب أيضا راقدا عليه وصار فراشا له كما هو فراش للجنب ومعنى كونه فراشا للقلب أن سره يسري من جنبه الى قلبه فيه فاذا سرى اليه أماره وأراحه من الاغيار وصيره على أكمل الاحوال وصانه من قبائح الخطرات والاهوال كما أن الفراش للبدن يقيه ويصونه ويريحه من المؤذيات فالجامع ترتب الراحة على كل (قوله حظى) أي ومن أوصافها أيضا أنه حظى كرضى المسجد الحرام والمراد به جميع الحرم كما في غالب آياته في القرآن وقوله بممشاها أي بمشي تلك القدم فيه أي فضل حرم مكة سائر البقاع حتى المدينة ما عدا القبر المكرم بواسطة ولادة النبي وتربيته ونشأته فيه وهذا ما عليه أكثر العلماء والحديث الدال على أفضلية المدينة موضوع كما اعترف به امام المالكية أبو عمر بن عبد البر وصرح بان أفضلية مكة هي الحق عند من ألهم رشده وبرئ من التعصب وقوله ولم ينس حظه أي شرفه ايلياء أي بيت المقدس أي بل شرفه بمشيه فيه أيضا وصلاته بالانبياء ليلة الاسراء ولم يذكر الناظم المدينة لان شرفها عارض بحلوله صلى الله عليه وسلم فيها بخلاف شرف المسجد الاقصى والمسجد الحرام فهو قديم (قوله ورمت) أي ومن أوصافها أيضا أنها ورمت بكسر الراء والمضارع كذلك فيقال ورم القدم يرم أي أصابها الورم وهذا من الشواذ أي كون الماضي على فعل والمضارع على يفعل بكسر العين فيهما شاذ والقياس أن يكون المضارع على يفعل بفتح العين وهذا كما في الحديث أنه صلى الله عليه وسلم قام من الليل حتى تورمت قدماه فقيل له أتتكلف هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال أفلا أكون عبدا شكورا والفاء السببية أي أأترك تهجدي فلا أكون عبدا شكورا قال ابن بطال في هذا الحديث أخذ الانسان على نفسه بالشدة في العبادة وان أضر ذلك ببدنه لانه صلى الله عليه وسلم اذا فعل ذلك مع علمه بأن الله قد غفر له ما تقدم وما تأخر فكيف بمن لم يعلم بذلك فضلا عمن لم يأمن أنه استحق النار قال بعض المفسرين قام صلى الله عليه وسلم ليلة على قدميه الا قليلا فلما تورمت قدماه كان يقف على أطراف أصابعه فانزل الله طه أي طأ الارض بكل قدميك واسترح مما أنت فيه من التعب فانا ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى وقوله اذ يحيي بها أي وقت أو لاجل أن يحيي بها ظلم الليل فيه استعارة بالكناية حيث شبه

موطئ الاخمص الذي منه للقلب اذا اضجعي أقض وطاء
حظى المسجد الحرام بممشاها ولم ينس حظه ايلياء
ورمت اذ يحيي بها ظلم الليل الى الله خوفه والرجاء

(قوله حظى المسجد الحرام) قال العلامة ابن حجر يعني جميع حرم مكة اذ المسجد الحرام يراد به ذلك كثيرا كما في القرآن في مواضع كثيرة بل كل ما ورد فيه من ذلك المراد به مكة الا في نحو قوله فول وجهك شطر المسجد الحرام اهـ

القدم الشريفة بسهم صائب من حيث ان قيام القدم فى طاعة الله أوجب زوال ظلمة الليل ووحشته كما أن رمى السهم فى طاعة الله يزيل صولة العدو ووطأته واثبات الرمى لها استعارة تخييلية وقوله الى الله الخ لما كان قيام الليل كذلك ينشأ اما عن مزيد خوف من العذاب أوسعة رجاء للثواب بين الناظم أن قيامه لم يكن لاجل ذلك وانما كان لمحض الشكر مع التلذذ بمناجاة الله والقيام بين يديه وأن خوفه ورجاءه اللذين وصل فيهما الغاية انما كان لمحض التقرب بهما الى الله فقال الى الله خبر مقدم وقوله خوفه مبتدأ مؤخر وقوله والرجاء معطوف على المبتدا أى سعة أمله فيما عنده تعالى لا الى غرض بل لوجه الله تعالى وقال القرطبي ظن من سأله صلى الله عليه وسلم عن سبب تحمله المشقة فى العبادة أنه انما يعبد العبد ربه خوفا من الذنوب وطلبا للمغفرة فمن تحقق أنه غفر له لا يحتاج الى ذلك فأفاده صلى الله عليه وسلم أن لتكلف العبادة طريقا آخر وهو الشكر اذ هو الاعتراف بالنعمة والقيام بالخدمة فمن كثر ذلك منه يسمى شكورا لكنه قليل وكان قيام الليل فى أول الاسلام واجبا عليه وعلى أمته ثم نسخ عن الامة بالصلوات الخمس وكذا عنه على الاصح (قوله دميت) أى ومن أوصافها أيضا انها دميت أى خرج منها الدم فى الوغى هو الصوت ويقال للحرب لما فيها من كثرة اختلاط الاصوات والثانى هو المراد هنا وقوله لتكسب أى تلك القدم وقوله طيبا مفعول ثان مقدم وقوله ما أراقت مفعول أول مؤخر أى الذى أراقته وقوله من الدم بيان لما وقوله الشهداء فاعل بأراقت وهو جمع شهيد فعيل بمعنى فاعل أو مفعول أى من حكمة خروج الدم من قدمه المشرفة أن يعود طيب ذلك الدم وبركته على جميع دم الشهداء فى سائر الاوقات فطيب ريح دم الشهداء الذى أخبر صلى الله عليه وسلم عنه بأنه كريح المسك انما هو مكتسب من دم قدمه أى من ريح دمها قبل وكان على الناظم أن يذكر هذا فى اليد لان الذى فى البخارى أنه دميت أصبعه فقال

هل أنت الا أصبع دميت * وفى سبيل الله ما لقيت

وقد يصحح كلام الناظم بحمله على ما وقع له صلى الله عليه وسلم مع ثقيف حيث خرج لهم فدعاهم الى الله فأغروا به سفهاءهم فرموه بالحجارة الى أن أدموا رجليه فجلس من شدة الاذى وزيد بن حارثة معه يقيه منهم فان قلت ليس هنا حرب والناظم قيد ذلك بالوغى قلت قد علمت أن أصل الوغى الصوت والجلبة وهذا موجود هنا بل نلتزم أن فيه حربا لانه أقام عندهم شهرا يدعوهم وهم لا يجيبونه بل يغرون به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويرمونه بالحجارة حتى اختضب نعلاه بالدم وزيد بن حارثة يقيه بنفسه حتى شج رأسه شجاجا وهذا حرب أى حرب لان من أقام بين ظهرانى العدو يواجههم بما يكرهون محارب لهم فقد وجد من جانبهم ضرب وجرح وغيرهما ومن جانبه غلظة عليهم وسب لهم ولعن لهم (قوله فهى قطب المحراب الخ) أى واذا تقرر أنه صلى الله عليه وسلم قام على قدمه حتى تورمت وأنها دميت فى الحرب ليكسب طيب دمها دم الشهداء طيبا فهى قطب المحراب وهذا راجع للاول وقوله والحرب راجع للثانى فهو لف ونشر مرتب أى فهى حينئذ قطب المحراب أى محل الصلاة وقطب الحرب أى انتهى اليها الثبات فى الصلاة والحرب الى حالة لم توجد فى غيرها فهى قطب العبادات والجهاد فى سبيل الله لا تتحرك ولا تنتقل من مكانها فلذا دارت عليها قبائل العرب الذين أكرمهم الله بالاقتداء به صلى الله عليه وسلم والجاهدة معه كم قال كم أى مرات كثيرة دارت عليها فى طاعة الله وقوله أرحاء جمع رحى بالقصر والمراد بها هنا قبائل العرب وقطب الرحى ما تدور عليه ويسمى أمير الجيش قطب رحى الحرب لانها انما تدور عليه واستفيد من ذلك أنه صلى الله عليه وسلم مركز دائرة الوجود ونقطته المخلوق هو لاجلها ففى الارحاء استعارة تصريحية حيث شبه القبائل التابعين له فى العبادة والحرب بالارحاء بجامع اعتماد كل على غيره وعدم استقلاله بدونه فكما أن الرحى لا تستغنى عن قطبها ولا تتخلف عنه كذلك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنسبة اليه (قوله وأراه) أى أعلم أنه لولم لو شرطية وهى مع شرطها وجوابها سدت مسد المفعول الثانى لاراه وقوله يسكن بها أى بقدمه الشريفة وقوله قبل بالبناء

دميت فى الوغى لتكسب طيبا * ما أراقت من الدم الشهداء

فهى قطب المحراب والحرب كم دا * رت عليها فى طاعة أرحاء

وأراه لولم يسكن بها قبـ * ـل حراء ماجت به الدأماء

(قوله فهى قطب المحراب الخ) قال العلامة ابن حجر أى انتهى اليها الثبات فى الصلاة والحرب الى حالة لم توجد فى غيرها لانه صلى الله عليه وسلم لا أتقى ولا أخشع لله تعالى منه ولا أشجع كما مر فهى قطب العبادات والجهاد فى سبيل الله تعالى لا تتحرك ولا تنتقل عن مكانها فلذا دارت عليها قبائل العرب الذين أكرمهم الله تعالى بطاعته للاقتداء بها والمجاهدة معها اهـ

عجبا للكفار زادوا ضلالا
بالذي فيه للعقول اهتداء
والذي يسألون منه كتاب
منزل قد أتاهم وارتقاء
أولم يكفهم من الله ذكر
فيه للناس رحمة وشفاء

على الضم أي عند ابتداء تحركه به وقوله حراء مفعول يسكن وهو هنا بالصرف لا غير لاجل الوزن وان كان في حد ذاته يجوز فيه الصرف وعدمه كامر وقوله ماجت أي تحركت واضطربت وقوله به أي بالنبي وفي نسخة بها أي القدم وقوله الدأماء بالدال المهملة هو في الاصل اسم للبحر والمراد به هنا الجبل ففي الكلام استعارة تصريحية حيث شبه الجبل بالبحر لانه لما تحرك به صلى الله عليه وسلم اشبه تحركه حينئذ تحرك البحر براكبه وقوله ماجت ترشيح لانه يناسب المشبه به وهو البحر اذ لا يستعمل ماج الا في الماء كما صرح به كلام القاموس وحينئذ فالمعنى أنه لو لم يسكن بقدمه حراء قبل أي عند ابتداء تحركه به بقوله له اثبت حراء لماج أي استمر اضطرابه وتحركه الى آخر الدهر وفي الكلام اظهار في مقام الاضمار لما عرفت أن المراد بالدأماء الجبل وقد ذكر لكنه أتى بالاسم الظاهر ليتوصل الى تشبيه الجبل بالبحر الذي بني عليه الاستعارة لما فيها من البلاغة ويصح حمل النظم على أن المراد لو لم يسكن حراء قبل أي قبل طلوعه عليه باقامته فيه للتعبد قبل النبوة لاستمر تموجه واضطرابه حين طلوعه عليه ثانيا هو وأصحابه ويصح أن يراد بالدأماء الارض فالمعنى لو لم يسكن بقدمه حراء أي بتعبده فيه قبل النبوة لماجت به الارض بعد النبوة فرحا وطربا الى آخر الدهر وخص حراء لانه صلى الله عليه وسلم خصه بتعبده فيه دون غيره (قوله عجبا) لما ذكر جملة كثيرة من معجزاته التي من شاهدها آمن به فورا بين أن الكفار الذين شاهدوها ولم تزدهم الا ضلالا حقيقون بأن يقال في شأنهم عجبا مصدر منصوب على أنه مفعول مطلق وهو بدل من التلفظ بفعله أي أعجب عجبا وهو بمعنى التعجب الذي هو استعظام أمر خفي سببه وقوله للكفار أي منهم وقوله زادوا ضلالا حال وقوله فيه أي في كل فرد من أفراده وذلك ما شاهدوه من المعجزات القرآن وغيره وقوله للعقول أي السليمة الخالية عن العناد والخذلان والحسد والغل وقوله اهتداء أي الى الدين الحق الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ويصح أن يراد العقول لا بالقيد بن المذكورين حملا للاهتداء على ما يشمل ما بالقوة وما بالفعل اذ المعجزة فيها اهتداء بالقوة وان لم تسعد وخذلان توجه التعجب منهم واضح بانهم كانوا مع ما شاهدوه من الآيات والمعجزات التي ترشد العقول الى الحق لا يزدادون الا اباء ونفورا وتمردا لما عندهم من الحسد والتلبيس على الضعفاء منهم كما قال تعالى وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر (قوله والذي يسألون منه) الذي مبتدأ ويسألون صلته والعائد محذوف أي يسألونه وضمير منه للنبي صلى الله عليه وسلم وكتاب خبر المبتدا ومنزل صفة الكتاب وجملة قد أتاهم صفة أخرى أو حال وقوله وارتقاء معطوف على كتاب وقوله يسألون منه أي على جهة التعنت العناد وقوله منزل أي من السماء بعينه عليهم وقوله قد أتاهم أي بأعينهم يشاهدونه وقوله وارتقاء أي منه الى السماء وقد أشار الناظم بما ذكره الى قوله تعالى وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الآيات وقوله ينبوعا أي تكون الك جنة من نخيل وعنب أي بستان فيه ما ذكر وقوله كسفا أي قطعا وقوله قبيلا أي كفيلا بما تدعيه أي شاهدا على صحته ضامنا لدركه أو قبيلا بمعنى المقابل كالعشير بمعنى المعاشر وهو حال من الله وقوله من زخرف أي ذهب وقوله ولن نؤمن لرقيك أي وحده حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه ويكون فيه تصديقك ومن جملة تعنتهم كما في الحديث أنهم قالوا له قد علمت أنه ليس أحد من الناس أضيق بلدا ولا أقل عيشا ولا أقل مالا منا فسل ربك فليزل عنا هذه الجبال التي ضيقت علينا وليبسط لنا في بلادنا وليفجر فيها أنهارا كالشام وليحيي لنا من مضى من آبائنا وليكن فيهم قصي بن كلاب فانه كان شيخ صدق فان صدقوك صدقناك (قوله أولم يكفهم) في الكلام حذف أي أيقولون ذلك كله ويتعنتون فيه ولم يكفهم عن ذلك كله وقوله من الله حال من ذكر الذي هو فاعل يكفهم أي ذكر واصل اليهم على لسانه والمراد به القرآن وتسميته ذكرا جاءت في آية مرادا به الشرف كما في وانه لذكر لك ولقومك وفي أخرى مرادا به أنه مذكر لكل ما ينفع ويحذر من كل ما يضر وقوله للناس أي الانس والجن بل والملائكة وقوله رحمة أي باهتداء المؤمنين به وتأخير عذاب الاستئصال عن

(قوله اهتداء) قال العلامة العدوي العقول اهتداء أي كالقرآن وباقي المعجزات فان بها كرهداية للعقول السليمة الخالية من العناد والغل ومراده بالهداية الوصول الى مراضي الله وبين الضلال والاهتداء جناس الطباق اهـ

الكافرين ببركة كونه بين أظهرهم وقوله وشفاء أى من كل داء ظاهر وباطن حسى أو معنوى كما قال تعالى قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء قال العلماء لم ينزل الله من السماء شفاء قط أعم ولا أنفع ولا أعظم ولا أنجع فى ازالة الداء من القرآن فهو للداء شفاء ولصداء القلوب جلاء كما قال تعالى وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين قال الفخر الرازى وغيره ومن ليست للتبعيض بل للجنس والمعنى وننزل من هذا الجنس الذى هو القرآن ما هو شفاء من الامراض الروحانية كالاعتقادات الفاسدة فى الالوهية والنبوية والمعاد وفى القرآن من النصوص القاطعة بفساد تلك ما يكفى ويشفى وكالاخلاق المذمومة وفيه أوضح بيان لانواعها وحض على اجتنابها ومن الامراض الجسمانية بالتبرك بقراءته عليها لكن مع الخلوص وفراغ القلب واقباله على الله بكليته وعدم أكل الحرام وعدم رين الذنوب وعدم استيلاء الغفلة على القلب ومن ثم قال بعض الائمة متى تخلف الشفاء عن القرآن فهو اما لعدم استقامة القارئ أو لعدم قبول المقرو عليه لعدم تلقيه بالقبول كما يكون ذلك فى الادوية والامراض الحسية (قوله أعجز الانس) شروع فى ذكر بعض صفات القرآن المذكور بقوله أولم يكفهم من الله ذكر وقوله آية منه عبر بها تبعا للقاضى ولم يبال بالنبى عليه الجهور وان ما وقع به التحدى أقصر سورة منه وهى ثلاث آيات أو مثلها وذلك لان المشاهدة قاضية بانهم عجزوا وحتى عن بعض الآية المفيد لان فى ارتباطها بما قبلها وما بعدها أنواعا من بديع الحكم لا يحيط بها غيره تعالى فالحق انهم عاجزون عن محاكاة آية من آياته لكن مع النظر لمناسبتها بما قبلها وما بعدها فلا يستطيع أحد فى زمنه صلى الله عليه وسلم ولا بعده أن يأتى بمثل أقصر سورة أو آية منه على نظامه البديع وتأليفه المنيع وعذوبة منطقه وما فيه من الامثال والاخبار بالمغيبات ودلائل البعث والاخلاق الكريمة وقوله والجن ذكرهم مع الانس مقتبس من قوله تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن الآية والاقتصار على النوعين لانهم الذين تتأتى منهم المعارضة والمعاندة لعدم عصمتهم والا فالملائكة عاجزون أيضا كعجز الانس والجن وقوله فهلا هى فى الاصل للتحضيض والمراد بها هنا التهكم والتوبيخ والتنديم لمن زعم امكان المعارضة كبعض أهل الضلال والالحاد وقوله بها أى الآية وفى نسخة به أى ما ذكر من الآية وفى نسخة ببعضها أى الآية لكن الثالثة يختل بها النظم وقوله البلغاء جمع بليغ وهو من فيه ملكة يقتدر بها على ايراد الكلام البليغ أى المطابق لمقتضى الحال بأن يدل على ما يقتضيه حال المتكلم أو المخاطب من تنكير أو تعريف وتقديم أو تأخير واظهار أو اضمار وايجاز أو اطناب الى غير ذلك وأسباب اعجازه أربعة أحدها ما فيه من الايجاز والبلاغة والتراكيب بحيث وصل فى كل منها الى المرتبة العليا لفظا ومعنى لصدوره ممن أحاط علمه بجميع مراتب الالفاظ ومعانيها فلا يضع لفظة عقب أخرى الا اذا لم يجد غيرها أبلغ ولا أنسب منها وغيره ليس كذلك ومن ثم لما سمع أعرابى قوله تعالى فاصدع بما تؤمر سجد وقال سجدت لفصاحة هذا الكلام ولما سمع نصرانى قوله تعالى ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه الآية قال جمعت هذه الآية ما أنزل على عيسى من الامر والنهى ثانيها أنه مع كونه من جنس كلام العرب خارج عن سائر فنونه من النظم والسجع والخطب والشعر ونحوها فحيرة قولهم حتى لم يهتدوا الى مثل شئ منه اذ لا مثال له يهتدى اليه ثالثها تأثيره فى النفوس والقلوب بحيث يوجد من اللذة والحلاوة عند سماعه ما لا يوجد عند سماع غيره ومن ثم كان قارئه وسامعه لا يمل بل كلما ازداد تكريرا ازدادت حلاوته بخلاف غيره رابعها ما فيه من الاحاطة بعلوم الاولين والآخرين ما فرطنا فى الكتاب من شئ ومن الاخبار بالمغيبات مما كان ويكون وقال بعض المحققين اعجازه من وجهين اما لذاته من حيث لفظه ومعناه المخصوصان اذ ليس تأليفه على هيئة ما يتعاطاه البشر اذ لا يصح أن يقال له رسالة ولا خطابة ولا شعر ولا سجع وفنون كلام العرب لا تخرج عن ذلك واما لصرف الناس عن معارضته والاعجاز فى هذا ظاهر أيضا لانه ما من صناعة محمودة أو مذمومة والا وبينها وبين قوم مناسبة خفية أو جلية ولذا تجد هذا يؤثر حرفة لانشراح صدره لها وآخر يكرهها

أعجز الانس آية منه والجن فهلا تأتى بها البلغاء

(قوله والبلاغة الخ) قال العلماء من أعلى وجوه اعجاز القرآن أن فصاحته وبلاغته خرقتا عادات العرب مع أنهم أوتوا منهما ما لم يؤته غيرهم وروى ابن اسحق والبيهقى أن الوليد بن المغيرة كان زعيم قريش فى الفصاحة طلب منه صلى الله عليه وسلم أن يقرأ عليه فقرأ عليه ان الله يأمر بالعدل والاحسان الآية فاستعاده اياها فأعادها فقال والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان أعلاه لمثمر وان أسفله لمغدق وانه ليعلو وما يعلى عليه وما يقول هذا بشر الحديث اه صاوى

وينشرح لاتوى فلما دعا الله أهل البلاغة الذين يهيمون فى كل واد من المعانى الى معارضة القرآن فعجزوا عن الاتيان بمثله ولم يتصدوا لمعارضته لم يخف على ذوى الالباب أن صارفا الهيا صرفهم عن ذلك والوجه الثانى يعبر عنه بالقول بالصرفة ومعناه أنه كان فى قدرتهم أن يعارضوه لكن الله صرفهم عن ذلك بان سلب قدرتهم عليه فلم يكن معجزا لذاته بل للغير وهذا مردود لأن الاجماع منعقد على اضافة الاعجاز للقرآن والقول بالصرفة يلزمه اضافته الى الله لا الى القرآن وحينئذ يلزمه زوال الاعجاز بزوال زمان التحدى وفيه خرق لاجماع الامة على أن معجزة الرسول باقية ولا معجزة له باقية أظهر من القرآن ويلزم القول بالصرفة أيضا أنه لا أفضلية للقرآن على غيره فان قلت القول بعجزهم مع بقاء قدرتهم فيه الجمع بين الضدين وهو محال قلت معنى قدرتهم أن هممهم توجهت الى المحاكاة لظنها القدرة عليها فعجزت وعلى القول بالصرفة لم يتوجهوا الى المعارضة أصلا لقطعهم من نفوسهم بعجزها وأنه لا قدرة لهم عليها البتة فان قلت توجه الهمم الى المعارضة مع العجز عنها فى نفس الامر لا يسمى قدرة قلت ممنوع بل يسمى قدرة باعتبار العرف وقطع النظر عن الغايات ولا شك أن أهل البلاغة لا يقطعون بسلب القدرة عن المحاكاة ابتداء بل بعد الاختبار فقد أمله انعلم سقوط ما قيل كيف يخاطبون بالتحدى مع القطع بعجزهم عنه ونظير ذلك خطاب من علم الله منهم عدم الايمان بالايمان كأبى جهل وأبى لهب فانهما قادران عليه باعتبار الظاهر واعراضا عن النظر للغايات والعواقب ومن الفاسد أيضا قول فريق من أهل الضلال ان الكل قادرون على الاتيان بمثله وانما تأخروا عنه لعدم العلم بوجه ترتيبه لو تعلموه لوصلوا اليه ومنه أيضا قول آخرين ان العجز انما وقع من الموجودين وأما من بعدهم ففى قدرتهم الاتيان بمثله ومما يرد عليهم أن جماعة ممن انتهت اليهم الرياسة فى الفصاحة تعرضوا لمعارضته كابن المقفع والمعرى والمتنبى ونظرائهم فلم يأتوا الا بما تمجه الاسماع وتنفر عنه الطباع (قوله كل يوم الخ) أى ولاشتمال القرآن على ما لا يحصى من العلوم الغيبيات وأحوال العالم الدنيوى والاخروى وغير ذلك من العجائب كان كل يوم أى كل وقت تهدى فاعله القراء الآتى أى توصل الى من سمعه وأداة التعبير بتهدى تشبيه المعجزات بالذخائر المهداة فهو استعارة بالكناية والاهداء تخييل وقوله معجزات المراد بها هنا الامر الغريب وان لم يصدق عليه حد المعجزة السابق وقوله من لفظه من ابتدائية وذلك لعذوبة تمو انسجامه وجزالته وغاية ايجازه مع غاية فصاحته ولاغته وخروجه عن جنس كلام العرب حتى صار جنسا آخر متميزا عنه مع اتحاد الحروف والاصطلاح وكثرة أخباره الصادقة تارة عن الامم الماضية وأخرى عن المغيبات وما فيه من العلوم التى لا يمكن حصرها وقوله القراء فاعل تهدى كما مر ووجه الاهداء والايصال أن من سمع ألفاظ القرآن وتدبرها حق التدبر علم من كل لفظ منها باعتباره ادل عليه أمرا عجيبا لا يعارض ولا يناقض (قوله تتحلى به) اى واذا بلغ القرآن فى الجلالة التى مرت الاشارة اليها ما لم يبلغه غيره كان حقيقا بانه تتحلى به أى بسماعه المسامع من التحلية بمعنى لبس الحلى وقوله والافواه أى وتتحلى بألفاظه الافواه من الحلوا أى ذوق الشىء الحلو وقوله فهو الحلى راجع للاول والحلواء راجع للثانى ففيه لف ونشر مرتب (قوله رق لفظا) أى حسن من جهة لفظه فلا تجد لفظة منه فيها ما ينافى كمال الرقة الموجبة للفصاحة من تنافر أو تعقيد وقوله وراق أى نصع من شوائب النقص فأعجب كل ناظر فيه وقوله معنى تمييز كسابقه أى من جهة المعنى فلا تجد معنى من معانيه الا وهو واصل فى الاحكام ووضوح المراد الغاية القصوى وقوله فجاءت أى فبسبب كونه رق وراق جاءت اعلية الخنساء وقوله فى حلاها وحليها حال منها أى حال كونها فى حلاها أى صفاتها الجميلة وقوله وحليها أى زينتها وقوله الخنساء المراد بها هنا بنت عمرو أخت صخر وانما كان المراد بها هذه مع أن الخنساء كثيرة لانها كانت شاعرة مطلقة وأما الخنساء بنت خدام وبنت عمرو بن الشريد فصحابيتان وهى صاحلاف أخت صخر وشبه سور القرآن فى صفاتها العليه وتزينها بما أودعته من الاسرار الالهية بامرأة بلغت من الزينة وأوصاف الحسن ما لا يمكن

كل يوم تهدى الى سامعيه
معجزات من لفظه القراء
تتحلى به المسامع والا
فواه فهو الحلى والحلواء
رق لفظا وراق معنى فجاءت
فى حلاها وحليها الخنساء

(قوله مع غاية فصاحته) واختلف العلماء فى تفاوته فى مراتب الفصاحة بعد اتفاقهم على بلوغه الغاية العليا كما مر فاختار القاضى المنع وانما التفاوت فى ادراك الناس له واختار أبو نصر القشيرى وغيره تفاوته وتبعهم ابن عبد السلام اه صاوى

التعبير عنه واستعار اسم تلك المرآة وهو الخنساء لسور القرآن استعارة تصريحية وصح جريانه على ما في العلم لانه اشتهر بوصف فصح أن يؤول بكلي كما علمت من التقرير (قوله وأرتنا) أى أوضحت لنا فيه أى القرآن وقوله غوامض فضل أى خفايا فضل كالعلوم والمعارف المستنبطة منه التى لاحد ولا غاية لها ومن ثم جاء عن على كرم الله وجهه لو شئت ان أوقر بعيرا من تفسير سورة الضحى لفعلت وقوله رقة فاعل أرتنا وقوله من زلالها أى كائنة من زلالها والزلال بضم الزاى ماء فى غاية الحلاوة والبرودة يوجد فى أجواف صور توجد فى نحو الثلج تشبه الحيوان وليست فى الحقيقة بحيوان كما قاله بعض الاكابر وقوله وصفاء أى من ذلك الزلال شبه آى القرآن فى محاسن أساليبها وصفاء موردها الموجبين ان حقق النظر فى خفاياهما وحقق فكره فى غوامضهما برد اليقين وصفاء القلب حتى اطلع على سائر الغوامض من العلوم الالهية والمواهب الرحمانية بماء فى غاية العذوبة والبرودة وصفاء الجوهر بنورتها بحيث لا يمنع من رؤية ما تحته واستعار اسم الماء وهو الزلال لآيات القرآن فهى استعارة تصريحية (قوله انما تجتلى الخ) هذا جواب عن ايراد تقريره كيف تقولون وأرتنا فيه غوامض فضل مع أن كثيرا من الناس لا يرى شيئا من معانى القرآن ولا يفهمه فأجاب بقوله انما تجتلى الخ أى ان آى القرآن كعروس مزينة فيراها من أهديت له ومن هو أهل لها وأما غيره فبينه وبينها الحجب فاشار لذلك بكلام جامع بديع على عادته فقال انما تجتلى الوجوه أى تظهر ظهورا واضحا لا خفاء معه بوجه اذا قوبلت بالمرآة وقوله اذا ما ما زائدة وقوله جليت أى أزيلت وقوله عن مرآتها بكسر الميم والمد وقوله الاصداء جمع صدا وهو وسخ الحديد الذى يركب عليه فكذلك مرآة القلوب لا تجتلى لها العلوم والمعارف من القرآن الا اذا جليت عنها أصداء الاغيار وجاهدت فى ذلك آناء الليل وأطراف النهار (قوله سور) بالسين جمع سورة وهى الطائفة المخصوصة المسماة باسم مخصوص توقيفى وقوله منه من لبيان الجنس لان المشابهة المذكورة جارية فى جميع سوره وقوله أشبهت صورا بالصاد جمع صورة وصورة كل شئ شكله ووجه الشبه اشتمال كل من سور القرآن وصورنا على ما لم يوجد فى غيره فسور القرآن كل منها يشتمل على علوم مستقلة لا تتوقف على ما فى الاخرى من العلوم وصورنا أيضا تشتمل كل واحدة منها على عقل وفهم وادراك لا يشاركه فيه غيره ولا يتوقف عليه فالحاصل ان سور القرآن مشبهة بصورنا من حيث تميز كل سورة منها عن الاخرى بما اشتملت عليه من الصفات الجميلة اللفظية والمعنوية كما أن صورنا امتازت كل واحدة منها عن الاخرى بالصفات الخلقية والخلقية وقوله ومثل النظائر جمع نظير وقوله النظراء جمع نظير أيضا وهو المثل والمناظر وتطلق النظائر على الافاضل والاماثل من الناس أى ومثل النظائر أى الاماثل والافاضل النظراء أى سور القرآن لان بعضها يناظر بعضا كما سبق فالمعنى أن سور القرآن تماثل الافاضل منا فما بعد لفظة مثل هو المشبه به كما هو القاعدة كقوله زيد مثل الاسد وهذا ساقه المتن مساق المثل فهو تأكيد للتشبيه قبله لكنه على سبيل اللف والنشر المشوش فالنظائر هى الصور بالصاد والنظراء هى السور بالسين (قوله والاقاويل) جمع قول والمراد به هنا اللفظ المفيد وقوله عندهم أى الكفار حال من المبتدا أو ظرف للخبر وهو قوله كالتماثيل جمع تمثال وهو الصورة يعنى أن تقولهم فى القرآن وافتراءهم عليه بما يقدح فيه أمر مزخرف مموه كما أن التصاوير التى يخترعها المصورون كذلك فكما أن هذه لا وجود لها فى الحقيقة ولا اعتبار بها فكذلك تقولهم المذكور وقوله فلا يوهمنك أى واذا تقرر أن جميع ما قالوه فى القرآن باطل قطعى البطلان فلا يوهمنك الخطباء أى الوعاظ منهم المتكلمون فى القرآن بما لا يليق أى فاحذر أن يوقع فى وهمك أى ذهنك أدنى ريب أو شك فى شئ من أوصاف القرآن التى مر بيان بعضها المزخرفون للكلام الباطل فى القرآن (قوله كم أبانت) كم خبرية أى مرات كثيرة أبانت أى أوضحت وقوله آياته جمع آية وهى لغة العلامة واصطلاحا طائفة من السورة منقطعة عما قبلها وما بعدها وعن ابن عباس رضى الله عنهما

وأرتنا فيه غوامض فضل
رقة من زلالها وصفاء
انما تجتلى الوجوه اذا ما
جليت عن مرآتها الاصداء
سور منه أشبهت صورا منـ
ـا ومثل النظائر النظراء
والاقاويل عندهم كالتماثيـ
ـل فلا يوهمنك الخطباء
كم أبانت آياته من علوم
عن حروف أبان عنها الهجاء

(قوله صورا بالصاد جمع صورة الخ) قال العلامة الصاوى وصورة الشئ شكله وانما كانت تشبه صورنا لاشتمال كل منها على علوم ومحاسن ظاهرية وباطنية لا تتوقف على ما فى الاخرى ومن ثم وقع التحدى بأقصر سورة منه كما أن صورنا مشتمل كل منها على عقل وادراك وخلق وفهم لا يشاركه فيه غيره ولا يتوقف على ما فى غيره وكأن الناظم قصد بهذا التشبيه الرد على من زعم أن الاعجاز انما هو بمجموع القرآن لا كل سورة وهى مقالة فاسدة اه

قال آيات القرآن ستة آلاف آية وستمائة وست عشرة آية وقوله من علوم من زائدة في الاثبات على رأى
جماعة أى علوما لا غاية لها قال تعالى ما فرطنا في الكتاب من شئ وعن الحسن البصرى أنزل الله مائة وأربعة
كتب وأودع علومها في أربعة منها التوراة والانجيل والزبور والفرقان ثم أودع علوم الثلاثة في القرآن فيه مع
زيادات لا تنحصر وقال الشافعي جميع ما تقوله الامة شرح للسنة وجميع السنة شرح للقرآن وقال أيضا جميع
ما حكم به النبي صلى الله عليه وسلم فهو مما فهمه من القرآن وقال بعضهم لم يحط بعلوم القرآن الا الله ثم نبيه
صلى الله عليه وسلم فيما عدا ما استأثر الله بعلمه ثم ورث عنه معظم ذلك أعلام الصحابة مع تفاوتهم فيه كأبي بكر
فانه أعلمهم بنص ابن عمر وغيره وكعلي كرم الله وجهه لقوله صلى الله عليه وسلم أنا مدينة العلم وعلى بابها ومن ثم
قال ابن عباس جميع ما أبرزته لكم من التفسير فهو من على كرم الله وجهه وكابن عباس حتى قال لو ضاع لى
عقال بعير لوجدته في كتاب الله ثم ورث عنهم التابعون معظم ذلك ثم تقاصرت الهمم عن حمل ما حمله أولئك
من علومه فنوعوا علومه أنواعا ليضبط كل طائفة علما ويتوسعوا فيه بحسب مقدرتهم ثم أفردت غالب تلك
العلوم وتلك الفنون حتى كادت أن تخرج عن الحصر وقال بعضهم علومه خمسون علما وأربعمائة علم وسبعة
آلاف علم وسبعون ألف علم على عدد كلم القرآن مضروبة في أربعة اذ لكل كلمة ظهر وبطن وحد ومقطع
ومما قيل في معنى البطن والظهر أن ظاهر الكلمة ما ظهر من معانيها لاهل العلم بالظاهر وباطنها ما تضمنته من
الاسرار التي تطلع عليها أرباب الحقائق والمراد بالحد أحكام الحلال والحرام وقوله ومقطع سبق قلم والاولى
بدله ومطلع أى اشراف على الوعد والوعيد كما في الاتقان وقال بعضهم أصول علومه ثلاثة توحيد ووعظ وحكم
ولذا سميت الفاتحة أم القرآن لاشتمالها على هذه الثلاثة وكانت الاخلاص ثلثه لاشتمالها على الاول وقوله
عن حروف حال من علوم وعن متعلقة بمحذوف أى حال كونها متولدة وناشئة عن حروف أى قليلة بالنسبة
الى تلك العلوم اذ جميع حروفه ثلثمائة حرف وثلاثة وعشرون ألف حرف وستمائة ألف حرف وواحد
وسبعون حرفا وهذه الحروف ليس المراد بها حروف الهجاء بل مسمياتها فحروف التهجي أسماء كاشفة
عن تلك المسميات كما قال أبان أى كشف عنها الهجاء أى التهجي وهو تعداد الحروف بذكر أسمائها فانك
اذا قلت ضرب مركب من ضَ رَ بَ فقد عددت الحروف البسيطة التي هي مادة الكلمة قبل أن تحصل
صيغتها والمراد هنا أن يتهجى بالاسماء عن المسميات حتى يتبين موضوع كل وبيانه أن الحرف الذي هو
أول زيد مثلا له مسمى وهو زْ والخط فيه بحذف هاء السكت لا يؤثر لانه للتعليم وله اسم هو الزاى لانه تعتريه
سائر علامات الاسم **(قوله فهي كالحب)** أى هذه الحروف القرآنية وان غزرت معانيها وكثرت أحكامها
لا يستبعد منها ذلك وان كانت قليلة جدا بالنسبة لما يستفاد منها لان لها مثالا يقربها نوع تقريب وذلك المثال
أنها كالحب الذي يلقيه الزراع والنوى الذي يلقيه الغراس بالارض فينشأ عن الاول من السنابل والحبوب
ما يكاد أن لا يحصى ولا يتناهى وعن الثاني من الثمر ما هو كذلك واذا وصل الى تلك الحالة أعجب الزراع أى
والغراس كما يدل عليه ذكر النوى ففي الكلام اكتفاء ولف ونشر مرتب بعود الزراع للحب والغراس
للنوى وعود السنابل للاول والزكاء لهما وقوله منها أى من تلك الزروع والاثمار وقوله سنابل فاعل أعجب
وقوله وزكاء بالزاى أى نمو يفوق الحصر بحيث لو اجتمع أهل الارض على استقصاء عددها لما أطاقوه
فوجه الشبه أن المتناهي هنا كما يحصل منه ما لا يتناهى فكذلك حروف القرآن هي متناهية ويحصل منها
من العلوم والمعارف ما لا يتناهى وهذا المثال على سبيل التقريب للعقول والا فشتان ما بين الامرين كما لا يخفى
(قوله فأطالوا فيه) معطوف على قوله زادوا ضلالا أى وعجبا للكفار مع هذه المعجزات والآيات البينات
استمروا على ما هم عليه من غاية الاعراض والانكار فأطالوا فيه التردد والريب أى الشك وهو عطف مرادف
وقوله سحر أى تمويه لا حقيقة له وأصل السحر لغة كل ما لطف مأخذه ودق وقوله افتراء أى كذب وضلوا

فهي كالحب والنوى اعجب الزر
راع منه سنابل وزكاء
فأطالوا فيه التردد والريـ
ـب فقالوا سحر وقالوا افتراء

(قوله اذ لكل كلمة ظهر وبطن وحد ومقطع) ويضم لذلك اعتبار تركيب ما بينهما من روابط لكن هذا لا يحصيه الا المتكلم به تعالى نعم أمهات علومه ثلاثة توحيد ووعظ وحكم وقال ابن جرير الثلاثة التوحيد والاخبار والديانات اهـ صاوى

(قوله فأطالوا فيه) قال العلامة الصاوى أى فتسبب عن تلك المعجزات والآيات والبينات استمرارهم على ما هم عليه من غاية الاعراض والانكار فلذلك قال فأطالوا فيه التردد والريب أى الشك عطف مرادف فقالوا سحر كما حكاه الله عنهم في كتابه وقالوا افتراء أى قالوا مرة أخرى كذب ومرة أساطير الاولين الى غير ذلك من افترائهم وتلبيسهم اهـ

فيما

فيما قالوا بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ لا يأتيه الباطل الآية وهذا كله ينادي عليهم بالبوار والعناد وأنهم لا عقل لهم ولا رأي ولا استعداد (قوله وإذا البينات) أي ولكن ليس بكثير على من عدم التوفيق ولم يبصر سواء الطريق لما هو المقرر في العقول السليمة من الحكم البديعة الجامعة أنه إذا كانت البينات أي الحجج القطعية الواضحة وقوله لم تغن شيأ أي لم تفدهم شيأ من الهدى وقوله فالتماس الهدى أي طلبه منهم وقوله بهن أي بتلك الحجج وقوله عناء بالعين المهملة والمد أي تعب لا يفيد شيأ وفي نسخة لهن باللام والضمير للكفار ولينظر ماوجه تأنيثه (قوله وإذا ضلت) أي عن طريق الحق وقوله على علم أي مع علم أي منها بتلك الطرق أي أضلها فقها وقوله فماذا تقوله أي أي قول تقوله النصحاء من الانبياء والمبلغين عنهم فقولهم حينئذ لا يفيد شيأ والبيت الاول من هذين البيتين مقتبس من قوله تعالى وما تغني الآيات والنذر الآية والثاني من قوله تعالى أفرأيت من اتخذ الهه هواه الآية *(تنبيه)* لا يتوهم من النظم أنه مخالف لقول الائمة أجمعت الامة على التكليف بالمحال لغيره كتكليف أبي جهل مثلا بالايمان مع علم الله بانه لا يؤمن وذلك لان التكليف بذلك انما هو بالنظر للحالة الراهنة المنطوي عنا عاقبتها فهم بالنسبة اليها مكلفون بالايمان لقدرتهم عليه ظاهرا وان كانوا عاجزين عنه باطنا لعلم الله بانهم لا يؤمنون لان هذا لا نظر اليه والا لارتفع الاختيار وثبت القول بالجبر المنافذ لما جاءت به الشرائع فاحذر أن تميل اليه فتزل قدمك وتحق ندمك واستحضر قوله تعالى لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون واعلم ان سائر كتب الله لا اعجاز فيهما من حيث النظم والتأليف لان ألسنتهم لا تفي بذلك بخلافهما من حيث الاخبار بالغيوب فان الكل جميعا مشترك فيه ولكون ألسنتهم كذلك كان كل ما في القرآن حكاية عنهم انما هو حكاية لمعنى ألفاظهم ذكره ابن جني وغيره أي فهي من حيث الاخبار بالمغيبات كلها معجزة بخلافهما من حيث النظم والتأليف فلا معجز منها الا القرآن (قوله قوم عيسى) لما فرغ من الحجاج مع المشركين وبين ما آل اليه أمرهم شرع في الكلام مع أهل الكتابين ليبين ما آل اليه أمرهم أيضا فقال قوم عيسى أي يا قوم عيسى وهم النصارى وقوله قوم موسى وهم اليهود وقوله بالذي أي بالتصديق بكتابهم وهو التوراة فان النصارى صدقوا بها وقوله عاملتكم صلته محذوفة أي عاملتكم بنظيره وهو التصديق بكتابكم وهو الانجيل وقوله الحنفاء أي المسلمون من هذه الامة جمع حنيف وهو المائل عن كل دين الى الدين الحق (قوله صدقوا) شروع في بيان ما أبهمه بقوله عاملتكم فقال صدقوا أي قوم عيسى في هذا التفات من الخطاب الى الغيبة والا فكان الظاهر أن يقول صدقتم كتبهم وقوله كتبكم هي التوراة وما بعدها كالزبور وفي هذا التفات عن الغيبة في قوله قوم موسى وقوله وكذبتم أي أيها اليهود كتبهم أي كتب قوم عيسى وهي الانجيل وجمع للمشاكلة أو لتنزيله منزلة كتب متعددة وهذا أي قوله وكذبتم كلام مستقل ليس من جملة البيان لما قبله وقوله ان ذا الذي فعلتموه أيها اليهود من التكذيب بالانجيل مع تصديق النصارى بالتوراة لبئس البواء أي الصنيع الذي رجعتم به القهقرى وهذا مقتبس من قوله تعالى وباؤا بغضب من الله هكذا قال الشارح ولا يصح لان الاقتباس ان يؤتى بلفظ القرآن أو الحديث مع عدم التنبيه على أنه منه والذي في النظم هنا لفظ البواء وهو غير لفظ القرآن اذ هذا اسم وذاك فعل فلو قال وهذا تلميح لقوله تعالى الخ لكان أوضح (قوله لو جحدنا) من الجحد وهو الانكار عن علم وقوله جحودكم أي مثله بان أنكرنا كتابكم كما أنكرتم كتابنا وكتاب عيسى فالخطاب مع اليهود وقوله لاستوينا أي معكم في الجحد وقوله أو الحق أي أيكون ذلك منا اذ لا يتصور ذلك كيف وليس الحق وهو ما نحن عليه من التصديق بجميع كتب الله ورسله بالضلال أي وهو ما أنتم عليه من التصديق بالبعض والكفر بالبعض وقوله استواء أي مساواة لا بل بينهما غاية التضاد فالحاصل أننا لم نجحد شيأ من كتاب الله وانما وقع الجحد من اليهود لكتاب النصارى ومن النصارى لكتاب اليهود خلاف ما يوهمه النظم قال الله تعالى وقالت اليهود ليست

وإذا البينات لم تغن شيأ
فالتماس الهدى بهن عناء
وإذا ضلت العقول على علم فماذا تقوله النصحاء
قوم عيسى عاملتم قوم موسى
بالذي عاملتكم الحنفاء
صدقوا كتبكم وكذبتم كتبهم ان ذا لبئس البواء
لو جحدنا جحودكم لاستوينا
أو للحق بالضلال استواء

(قوله لو جحدنا) قال العلامة الصاوي وقوله لو جحدنا جحودكم الخطاب لهما اي أنكرنا كتبكم أي التوراة والانجيل كما أنكرتم كتابنا لاستوينا في الضلال وقوله أو للحق بالضلال استواء أي أيكون ذلك منا لا يتصور ذلك كيف وليس للحق وهو ما نحن عليه من التصديق بجميع كتب الله ورسله بالضلال وهو ما أنتم عليه من التصديق بالبعض والكفر بالبعض مساواة بل بينهما غاية التضاد اه

مالكم انحوة الكتاب أناسا ليس يرعى للحق منكم اخاء يحسد الاول الاخير ومازا ل كذا المحدثون والقدماء قد علمتم بظلم قابيل هابيـ ل ومظلوم الاخوة الاتقياء

النصارى على شئ وقالت النصارى ليست اليهود على شئ وهم يتلون الكتاب أى المكذب لهـم فى ذلك وكان الشارح أخذ من هـذا قوله وانما وقع التجاحد من أهـل الكتاب اذ التعبير بالتفاعل مصرح بما ذكر مما يخالف النظم و يوافق ظاهر الآية اهـ وقد يقال لا يلزم من ادعاء كل فرقة فى الاخرى ما ذكر انكار كتابهـم اذ لا مانع أن النصارى قائلون فى اليهود ذلك مع قولهـم انهم ليسوا على شئ باعتبار تبديلهـم وتغييرهم فصح ما فى النظم و يحتمل ارجاع ضمير حسـدوا وكتبهم الى الحنفاء وضمـير الخطاب فى كتبكم وكذبتم للفريقين اليهود والنصارى ويكون ذلك تفسـير العاملتكم الحنفاء وفى السـياق ما يؤيد كلا من الاحتمالين لكن الاول أقرب ولما كان من المعلوم المستقر أن اليهود أشد الناس حسـدا قال تعالى أم يحسدون النـاس على ما آتاهم الله من فضله وأنهم حسدوا عيسى حتى قتلوه فى زعمهم الفاسد واستمر حسدهم للنصارى من بعدهم حتى قالوا ليست النصارى على شئ الموجب لقول النصارى فيهم ذلك أيضا وان الطائفتين حسدوا محمدا صلى الله عليه وسلم وأمته حتى وقع منهم من العناد ما لا يصدر عن سخفاء العقول فضلا عن غيرهم شرع الناظم فى بيان ذلك كله منهم على وجه بديع فقال مالكم الخ (قوله مالكم) أى أى شئ حصل لكم معشر الفريقين وقوله انحوة الكتاب منادى أى يا انحوة الكتاب المراد به الجنس الشامل لكتابيهما سماهم بذلك أى بالاخوة للكتاب لانهم لما اجتمعوا فى الاحكام والتكاليف التى فى الكتاب صار وامستوين فيه كاستواء الاخوة فى الانتساب الى أصـل واحد فليس المراد أن الاخوة بينهم و بين الكتاب كما توهمه تعبير الناظم بل المراد أنهـم اخوة بعضهم مع بعض من حيث انتسابهم الى الكتاب فالكتاب سبب فى أخوة بعضهم لبعض وقوله أناسا حال وقوله ليس يرعى الخ نعت لاناسا وهو المقصود بالحالية وأناسا حال موطئة واسم ليس قوله اخاء ونائب فاعل يرعى ضمير مسـتكن فيه يعود على الاسم المذكور وان تأخر لفظا وقوله اخاء أى مؤاخاة أى ليس يصـدر منكم مراعاة للدين الحق بالقيام بما يجب من الحقوق التى منها تصديق محمد صلى الله عليه وسلم عملا بما فى كتبكم من النصوص الكثيرة لنبوته وعموم رسالته (قوله يحسد الاول الاخير) أى ومن عدم رعايتكم لذلك انه يحسد بضم السين الاول الاخير كما وقع لليهود انهم حسـدوا عيسى حـتى زعموا أنهم قتلوه وصلبوه وما دروا الملاعين أنه شبه لهم مثله فقتلوه ونجاه الله منهم ثم رفعه الى السماء لينزل آخر الزمان حاكما بشريعة محمد صـلى الله عليه وسـلم مصليا وراء المهدى أول نزوله ليعلم أنه نزل تابعا لهـذه الامة عاملا بشريعة نبيها ومنها أى من تلك الشريعة أنه لا يقبل الجزية بل يقتل كل يهودى ونصرانى فى الارض وأما فى أثناء مدته فيكون اماما للمهدى وغيره وقوله ومازال كذا أى على هذا الحال المذكور من حسد الاول للآخر المحدثون والقدماء من لدن آدم الى اليوم (قوله قد علمتم) أى يا أهل الكتاب وقد للتحقيق نظلم قابيل من اضافة المصدر الى فاعله وهو أول أولاد آدم وهم أربعون رزقهم من حواء فى عشرين بطنا فى كل بطن ذكر وأنثى وبارك الله فى نسله فى حياته حتى بلغوا أربعين ألفا وعاش آدم ألف سنة وقوله هابيل بشدخ رأسه بين حجرين وهو ثانى أولاد آدم حسده الله وسبب الحسد أن آدم أمر قابيل أن يزوج أخته لهابيل فامتنع وقال أختى أحسن فلا أمكنه منها ولا أرضى أختى بذلك لان آدم عليه السلام كان يزوج ذكور كل بطن لاناث الاخرى و بالعكس فكان اختـلاف البطون فى شرعه بمنزلة اختـلاف الانساب فلما امتنع قابيـل أمرهما آدم أن يقربا لله قربانا وكانت علامة قبوله نزول نار من السماء تأكله فقرب كل قربانه وكان هابيـل صاحب غنم وكان لين الجانب وكان قابيـل صاحب صيد وقنص وكان فظا غليظا فاصطاد صيدا وقربه وعمد هابيل الى كبش هو أحسـن غنمه فقربه فتقبل قربان هابيل فحسده قابيل فقتله وكان عمر قابيل اذ ذاك خمسا وعشرين سنة وعمر هابيل عشرين وعن ابن عباس أنه لما قتله حمله على عاتقه مائة سنة وكان اذا مشى تخط رجلاه الارض واذا قعد وضعه على جنبه الى أن رأى غرابين اقتتلا فقتل أحدهما الآخر فبحث فى الارض فواراه فقال قابيـل ياويلتى أعجزت أن أكون

(قوله بشدخ رأسه الخ) وهو أول قتيل فى الارض حسدا على كون الله تقبل قربان هابيـل ولم يتقبل قربانه فحينئذ قال لاقتلنك فاستسلم وأجابه بأنه لا يجزى بالسيئة السيئة كما أفاد ذلك ما حكاه تعالى عنه بقوله عز من قائل لئن بسطت الى يدك لتقتلنى الآية ولذلك قال صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح كن خير ابنى آدم كن عبـد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل اهـ صاوى

مثل

مثل هذا الغراب فاوارى سوأة أخى فاصبح من النادمين أى على حمله لا على قتله وحزن آدم على هابيل فمكث مائة سنة لا يضحك وقوله ومظلوم الاخوة الاضافة على معنى من ويصح جعلها على معنى فى وقوله الاتقياء خبر المبتدا ووجه الاخبار عنه بالجمع لان أل فيه جنسية فيصدق بالجمع وغيره وانما كان المظلوم تقيا لانه الذى صبر على تحمل الاذى ولم ينتقم لنفسه فليس المراد بالاخوة هنا خصوص قابيل وهابيل (قوله وسمعتم) معطوف على علمتم أى وقد سمعتم والسماع هنا اليقين فالتعبير به هنا وبالعلم فى سابقه التفنن وقوله يعقوب اسمه اسرائيل كما فى القرآن أى عبد الله وهو ابن اسحق الذبيح عند الاكثرين لكن الاشهر أنه اسمعيل وقوله أخاهم هو يوسف عليه السلام وقوله وكلهم صلحاء أى فلا يتوهم من كيدهم له ولا من ذكرهم أثر قابيل الكافر اللعين أن ذلك صلاحهم لاتفاق العلماء أنهم صلحاء وعدل الى التعبير به دون أن يقول وكلهم أنبياء لان صلاحهم متفق عليه بخلاف نبوتهم نفيها الخلاف المذكور وأن ماوقع منهم مع يوسف من الامور التى جرت بينهم وبينه لا يؤثر فى صلاحهم ولا فى نبوتهم على القول بها لانه مبنى على تأويل كانت تجوزه شريعتهم على أن فى عصمة الانبياء قبل النبوة خلافا فمحل بسطه كتب الاصول (قوله حين ألقوه) ظرف لكيد وألقوه بفتح القاف وسكون الواو وكذا رموه الآتى بفتح الميم وسكون الواو وقوله فى غيابة جب هو البئر التى لم تطو أى لم تبن وغيابته قعره وكادوه بذلك خوفا من تقدمه عليهم مع كونه أصغرهم وقوله ورموه بالافك حيث قالوا ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل يريدون يوسف وقوله وهو براء جملة حالية أى برىء منه أى من الافك وفى تسمية الناظم هذا القول منهم افكا نظر ظاهر بل لا يصح وقد جاء فى قوله تعالى ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل قال صلى الله عليه وسلم سرق يوسف صنما لجده أبى أمه من ذهب وفضة فكسره وألقاه فعيره اخوته بذلك مع انه أراد بذلك الخير وجاء فى رواية أن أمه أمرته بذلك لانها كانت مسلمة فالحاصل أن الذى وقع منه صورة سرقة تذكروها بقولهم فقد سرق أخ له من قبل تعييرا له فلم يكذبوا وانما عيروه بما لا عار فيه بل فيه غاية الرفعة والمدحة (قوله فتأسوا) أى واذ قد علمتم ماوقع لمن قبلكم من المحن وصبرهم عليها ففازوا برضا الله ومحبته فتأسوا أى تعزوا والتأسى التعزى من تأسيت بفلان تعزيت به أى جلت وقست حالى على حاله فمعنى التأسى تسكين النفس على الامر المشق وتصبيرها عليه والتعزى الحمل على الصبر بوعد الاجر فمعنى التأسى والتعزى واحد أو متقارب وساغ ذكرهما على الاول لاختلاف لفظيهما وقوله بمن مضى قبلكم من الكمل وقوله اذ ظلمتم أى وقت أو لاجل اذ ظلمتم من الكفار بما رموكم به من الحسد والبغضاء والعداوة والقتال وقوله فالتأسى أى فى المصائب لاسيما بالكمل وقوله للنفس فيه عزاء أى تسل وتصبر يحملها على أن لا يصدر منها الا كمال الاخلاق والاعراض عن النظر الى ما يصدر من أهل النفاق والشقاق (قوله أترا كم) خطاب للمسلمين المقصرين السابق ذكرهم فى قوله فتأسوا وترى فعل مضارع فيه ضمير مستكن راجع لاهل الكتاب والكاف مفعول به واقعة على المسلمين أى أتظنكم أهل الكتاب وفيتم بما عاهدتم الله عليه فأظهرتم الحق ودمتم على العمل به وقوله حين خانوا ظرف لوفيتم الواقع موقع المفعول الثانى للفعل المذكور وقوله خانوا أى أهل الكتاب أى خانوا ما عاهدوا الله عليه فكتموا الحق وأبوا قبوله من غيرهم وقوله أم تراكم مثل ماقبله وقوله أحسنتم فى محل المفعول الثانى أى فى اتباعكم نبيكم فى جميع ماجاء به فلم تغيروا منه شيأ فى حياته ولا بعد وفاته وقوله اذ أساؤا ظرف لاحسنتم أى أساؤا الطوية فلم يستمروا على العمل بما جاءتهم به رسلهم بل بدلوه وغيروه (قوله بل تمادت) أى بل لم ير أهل الكتاب منكم أيها المسلمون شيأ من الوفاء أى ومن الاحسان وانما الذى حملهم على عدم اتباع الانبياء أنه تمادت أى استمرت وتتابعت على التجاهل الموجب لرفض الحق واتباع الباطل أى اظهار الجهل من نفوسهم مع علمهم بالحق وأنهم على خلافه وقوله تقفت أى اتبعت آثارها الباطلة الابناء انا وجدنا آباءنا على أمة الآية هكذا حل الشارح

(قوله أترا كم) قال العلامة الصاوى الخطاب للمسلمين والكاف مفعول أول عائد عليهم وجملة وفيتم مفعول ثان وحين ظرف لوفيتم وأم متصلة معادلة للهمزة السابقة وجملة تراكم أحسنتم الخ اعرابها كاعراب الاولى اهـ

وسمعتم بكيد أبناء يعقو ب أخاهم وكلهم صلحاء
حين ألقوه فى غيابة جب ورموه بالافك وهو براء
فتأسوا بمن مضى اذ ظلمتم والتأسى للنفس فيه عزاء
أتراكم وفيتم حين خانوا أم تراكم أحسنتم اذ أساؤا
بل تمادت على التجاهل آبا ء تقفت آثارها الابناء

هذا السياق وصنيعه يقتضي أنهم لو رأوا وفينا واحسنا كان هذا هو الحامل لهم على عدم اتباعهم لانبيائهم يدل على هذا قوله بل لم ير أهل الكتاب الى قوله وانما حملهم الخ وهذا لايظهر كما لا يخفى (قوله بينته) أي الحق الذي من جملته نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وعموم رسالته وقوله توراتهم أي المنزلة على موسى مأخوذة من أوريت الزند اذا قدحته لتخرج ناره والنار تستلزم النور فهي ذات نور وقوله والاناجيل أي المنزلة على عيسى مأخوذ من نجل الشئ أخرجه وجمع الانجيل باعتبار أجزائه أو للتعظيم وقوله وهم أي اليهود والنصارى وقوله في جحوده أي جحود ذلك الحق الذي بينته كتاباهما وقوله شركاء أي يشتركون فلعنة الله عليهما (قوله ان تقولوا) ان شرطية أي يا أهل الكتاب اليهود والنصارى وقوله ما بينته ما نافية وفي الفعل ضمير مستكن راجع للتوراة والاناجيل والضمير البارز للحق المذكور وقوله فما زالت أي لم تزل بها أي بالتوراة والانجيل وقوله عشواء فاعل زالت أي فلم تزل العشواء عن عيونهم بها أي بل هي باقية عليها والعشواء بالمعجمة والمهملة المراد بها داء يعلو العين الباصرة فيزيل أبصارها وفي الكلام استعارة تصريحية حيث شبه بسائرهم أي قلوبهم بالعيون التي في الرأس واستعار اسم المشبه به للمشبه والعشواء ترشيح لانه يناسب المشبه به والمعنى ان أنكروا وأبيا ان كتبهم للحق فقلوبهم لم تنجل ولم يزل عنها الرين بل هي على عماها وفي الكلام التفات عن الخطاب في قوله ان تقولوا الى الغيبة في قوله عن عيونهم وكان الظاهر أن يقول عن عيونكم (قوله أو تقولوا) أي يا أهل الكتابين قد بينته أي الحق المذكور كما هو الحق والواقع وقوله فما للاذن أي وأي شئ حصل للاذن أي لا آلة سمعكم وقوله عما تقوله أي التوراة والانجيل واسناد القول اليها مجاز والجار والمجرور متعلق بصماء أي غير سامعة له سماع قبول أي فالموجب للاعراض عن ذلك الا محض العناد والحسد ولم يظهر لرفع صماء وجه اذا قوله فما للاذن مبتدأ وخبر فاعل لفظ صماء منصوب على الحال وصمه انما هو لاجل القافية (قوله عرفوه) أي الحق السابق معرفة يقينية ببواطنهم وقوله وأنكروه أي بظواهرهم كما قال تعالى عنهم يكتمون الحق وهم يعلمون وهذا نتيجة الالزام السابق وقوله وظلما مفعول لاجله قدم على عامله وهو كتمته وقوله كتمته أي الحق المذكور فالضمير مفعول به والفاعل قوله الشهداء وأما قوله الشهادة فهو بدل اشتمال من الضمير في كتمته الذي هو المفعول به أي كتم الشهداء الشهادة به والمراد بالشهداء أهل الكتابين سموا بهذا الاسم لانهم عرفوا صفة النبي صلى الله عليه وسلم وصفة دينه معرفة قطعية ثم أنكروا ذلك رأسا جحدا وعنادا وتلبيسا على ضعفائهم ليبقى لهم ما ينالونه منهم والمقام للاضمار فمقتضى الظاهر أن يقول وكتموه أو يقول وكتموا الشهادة به فعدل عن هذا وعبر بالظاهر وهو الشهداء لاجل التسجيل عليهم ووصفهم بانهم شهداء وقد كتموا ما يجب عليهم أداؤه وانما كانوا شهداء لانهم بلغوا من العلم به وبحقية دينه مبلغ رؤية الشمس ومع ذلك كتموه (قوله ونور الاله) الهمزة داخلة على مقدر أي أتكتمون ذلك وتظهرون الضلال ونور الاله الذي هو النبوة والرسالة وقوله تطفئه من أطفأت النار أذهبت حرها وقوله الافواه أي الالسنة المنقولة بالباطل وجواب الاستفهام مقدر أي لا يكون ذلك كما قال تعالى يريدون أن يطفؤا نور الله بافواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره وكيف يطفأ ذلك النور الالهي وهو الذي به يستضاء ظاهرا وباطنا أي يبصر الحق من الباطل والصادق من الكاذب (قوله أولا ينكرون) الهمزة داخلة على مقدر أي أيستمرون على ضلالهم وينكرون نبوته ولا ينكرون من طحنتهم أي أهلكتهم وقوله برحاها أي أسلحتها وقوله عن أمره متعلق بطحنت أي طحنا ناشئا عن أمره وقوله الهيجاء فاعل طحنت أي حربه وجواب الاستفهام محذوف أي لا ينبغي لهم ذلك بل الذي ينبغي لهم الرجوع عن الضلال والاعتراف بانهم ان استمروا عليه طحنتهم برحا حربه كما طحن آباءهم وأبناءهم وأمثالهم بجلاء بني النضير الى أرض الشام وألزمهم أن لا يحمل كل واحد منهم الا حمل بعير من غير السلاح وقتل بني قريظة (قوله وكساهم) أي ولشدة بأسه عليهم كساهم ثوب الصغار

بينته توراتهم والاناجيـ
ـل وهم في جحوده شركاء

ان تقولوا ما بينته فما زا
لت بها عن عيونهم عشواء

أو تقولوا قد بينته فما لل
اذن عما تقوله صماء

عرفوه وأنكروه وظلما
كتمته الشهادة الشهداء

أو نور الاله تطفئه الاف
واه وهو الذي به يستضاء

أولا ينكرون من طحنتهم
برحاها عن أمره الهيجاء

وكساهم ثوب الصغار وقد طـ
ـلت دماء منهم وصينت دماء

(قوله عرفوه) قال العلامة الصاوي وانما كان تخلفهم عن اتباعه لمحض العناد قال تعالى يكتمون الحق وهم يعلمون يحرفون الكلم عن مواضعه يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وأخرج ابن عساكر أن ابن سلام لما سمع بخروج النبي صلى الله عليه وسلم بمكة ذهب اليه فقال له أنت ابن سلام عالم يثرب قال نعم قال أنشدك الله الذي أنزل التوراة على موسى أتجد نعتي في التوراة قال انسب ربك فارتج النبي صلى الله عليه وسلم فقال له جبريل قل هو الله أحد الى آخرها فقرأها فقال ابن سلام أشهد أنك رسول الله الخ ما نقل عنه اهـ

من اضافة المشبه به للمشبه والصغار الذل وكساترشيح للتشبيه أي وأنالهم وأوقع بهم الصغار أي الذل الذي هو كالثوب في اشتماله على البدن واحاطته به وذلك الذل الذي وقع بهم كضرب الرق على غير المقاتلين من بني قريظة وقتل المقاتلين منهم وكاجلاء بني النضير من الحجاز وقوله وقد أي والحال انه قد طلت أي أهدرت وأريقت وسفكت وقوله دماء بالمد جمع دم وان كان في المتن يقرأ بالقصر لضرورة النظم وقوله وصينت دماء أي منهم كبني النضير فانهم أخرجوا وطردوا من الحجاز من غير قتل وأما الذين طلت دماؤهم فكبني قريظة حيث قتل منهم ستمائة أوسبعمائة أو ثمانمائة على الخلاف في وقت واحد وفي الصحاح وطل دمه بالبناء للمفعول فهو مطلول وأطل دمه وطله الله وأطله أهدره ولا يقال طل دمه بالفتح وأبو عبيدة والكسائي يقولانه وقيل فيه ثلاث لغات طل دمه وطل وأطل (قوله كيف يهدى الاله) أي واذا تقرر اتصاف أهل الكتابين بتلك القبائح الشنيعة حق أن يقال في حقهم كيف يهدى أي يوصل وقوله حشوها أي ملؤها وقوله من حبيبه متعلق بقوله البغضاء ومن بمعنى اللام التي للتعدية أي حشوها شدة البغض لحبيبه (قوله خبرونا) أي أعلمونا يا أهل الكتابين التوراة والانجيل من أين استفهام انكاري وقوله تثليثكم راجع للنصارى أي ادعاؤكم أيها النصارى أن الله ثالث ثلاثة والاثنان عيسى ومريم وقوله والبداء راجع لليهود أي ومن أين ادعاؤكم القول بالبداء وهو بالموحدة والمهملة من بدا الشئ ظهر وهو ظهور مصلحة بعد خفائها أي لم يأت واحد من هذين عن دليل صحيح وانما هو عن محض سفهكم وعنادكم والحاصل أن النصارى على ست فرق أربعة تقول بالتثليث واثنتان لا تقولان به فالاربعة احداها تقول كل من ذات الله وذات عيسى وذات مريم اله مستقل وأخرى تقول الاله مجموع صفات ثلاثة الوجود والعلم والحياة ويسمون الوجود بالاب والعلم بالابن والحياة بروح القدس ومع ذلك يقولون عيسى ابن الله وأخرى تقول الاله مجموع ذات وصفتين ذات الله ويسمونها الاب والصفتان الكلام والحياة ويسمون الاولى الابن والثانية روح القدس ويقولون ان الكل اله واحد وأخرى تقول الاله مجموع ذاتين وصفة فالذاتان ذات الله وذات عيسى والصفة الحياة الحالة في جسد عيسى والفرقتان القائلتان بعدم التثليث فرقة تقول الاله هو نفس عيسى والاخرى تقول عيسى عبد الله ورسوله لكنها كفرت بشئ آخر وكلام الناظم مع الفرق الاربعة القائلة بالتثليث وأما اليهود فعقيدتهم الفاسدة هي البداء ورتبوا عليها أن شريعتهم لم تنسخ زاعمين أن النسخ يلزم عليه البداء أي ظهور مصلحة لله في الحكم الناسخ بعد خفائها عليه في الحكم المنسوخ (قوله ما أتى) أي ما جاء بالعقيدتين المذكورتين كتاب من كتب الله وقوله واعتقاد مبتدأ خبره ادعاء وقوله لا نص فيه أي في اثباته وقوله ادعاء أي باطل لانه اختراع في الدين بمجرد التشهي وكالنص حكم العقل القطعي فالاعتقاد المستند اليه صحيح وان لم يرد فيه نص بل لو ورد النص بخلافه وجب تأويل النص كآيات الصفات وأحاديثها فظاهرها محال عقلا فوجب صرفها عنه بتأويلها الى ما يوافق العقل (قوله والدعاوى) أي التي تقولون بها معشر اليهود والنصارى وهي بفتح الواو وكسرها كالفتاوى بالوجهين وقوله ما لم ما مصدرية ظرفية وقوله بينات أي أدلة قطعية لان الكلام في الاعتقادات وهي لا يفيد فيها الظن وقوله أبناؤها أي نتائجها وقوله أدعياء أي باطلة جمع دعي وهو في الاصل من ينسب الى شخص بالكذب ومن يتبناه الانسان وليس بابن له وفي الكلام استعارة بالكناية من حيث تشبيه دعاويهم بوطء الزنا بجامع فساد كل وقبحه وعدم الاعتداد بما ينشأ منه وذكر الابناء تخييل لانه من ملائمات المشبه به الذي هو وطء الزنا من حيث انه نتيجته والادعياء ترشيح وفي النظم اشارة الى قياس اقتراني من الشكل الاول صغراه الاعتقاد الذي لا نص فيه دعوى وهذه أشار لها بالشطر الاول والكبرى والدعوى بلا بينة باطلة وهذه أشار لها بالشطر الثاني ينتج الاعتقاد الذي لا نص فيه باطل (قوله ليت شعري) ليت حرف تمن وشعري معناه علمي أي ليتني علمت لما تقولونه انضباطا حتى أتكلم معكم في رده بأبلغ وجه وقوله ذكر الثلاثة أي الصادر منكم تارة حيث قلتم

كيف يهدى الاله منهم قلوبا
حشوها من حبيبه البغضاء
خبرونا أهل الكتابين من أيـ
ـن أتاكم تثليثكم والبداء
ما أتى بالعقيدتين كتاب
واعتقاد لا نص فيه ادعاء
والدعاوى ما لم تقيموا عليها
بينات أبناؤها أدعياء
ليت شعري ذكر الثلاثة والوا
حد نقص في عدكم أم نماء

(قوله بشئ آخر) قال العلامة الصاوي وأخرى تقول عبد الله ورسوله لكن كفرت ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم فجملة الفرق غير هذه كفار من قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم اهـ

ان الله ثالث ثلاثة وقوله والواحد أى وذكر الواحد الصادر منكم تارة أخرى حيث ادعيتم توحيده وقوله
نقص فى عدكم أم نماء أى زيادة فحيث ذكرتم التثليث كان ذكركم الواحد نقصا وحيث ذكرتم الواحد كان
ذكركم التثليث زيادة وهذا تناقض عجيب لا يصدر عن عاقل لانكم تارة تثبتون تعدد الاله وتارة تثبتون عدم
تعدده ولذا قال متعجبا منهم كيف وحدتم الخ واعلم أن فرق النصارى أربعة نسطورية ويعقوبية وملكية
ومرقوسية فالنسطورية بضم النون وفتحها أصحاب نسطور الحكيم الذى ظهر فى زمن المأمون وتصرف فى
الانجيل برأيه وقال ان الله واحد ذو أقانيم ثلاثة وان عيسى ابنه والاقانيم جمع أقنوم ومعناه الاصل وهذه
الكلمة ليست فى لغة العرب وانما هى تركية والمراد بالاقانيم الثلاثة الوجود والعلم والحياة ويعبرون عن
الوجود بالاب وعن العلم بالابن وعن الحياة بروح القدس واليعقوبية أصحاب يعقوب راهب القسطنطينية
قال ان المسيح هو الله هبط الى الارض ثم صعد الى السماء والملكية ويقال لهم ملكانية أصحاب ملكان الذى
ظهر ببلاد الروم قالوا المسيح عبد الله ونبيه وكفروا بشئ آخر كانكار البعث والمرقوسية نصارى نجران قالوا
الله ثالث ثلاثة والآخران عيسى وأمه لعنهم الله جميعا (قوله كيف وحدتم) أيها القائلون بالتثليث وقوله
الآباء والابناء أى اللذان اتبعتم وهما فى دعواكم التثليث (قوله أأله) استفهام انكارى أى أيمكن أن
يوجد اله مركب من ثلاثة أجزاء أو أقل أو أكثر لانا ما سمعنا باله لذاته أجزاء بل ولا تعقلناه لانه مما يحيله العقل
(قوله ألكل منهم الخ) أى وبيان احالة العقل لما ذكر أنه لو فرض اله مركب من أجزاء أو متعدد فيقال لهم
ألكل منهم نصيب أى جزء من الملك فان قالوا نعم قيل لهم فلا وفى نسخة فلم لا تميز بالبناء للفاعل على أنه ماض
وهو ظاهر أو مضارع بحذف احدى التاءين فهو مرفوع وقوله الانصباء أى نصيب كل من الآلهة حتى
يكون ذلك التمييز دليلا على ما زعمتموه أى والحال أنه لا تميز فلا تعدد كما هو بديهى (قوله أتراهم) أى فان قالوا
لكل نصيب وانصباء لكنهم خلطوا أنصباءهم قيل لهم أتراهم بضم التاء أى أتظنهم لحاجة أى احتياج
وقوله واضطرار هو شدة الحاجة الى الشئ وقوله خلطوها أى خلطا يمنع تميزها فان قالوا نعم قلنا الاله لا يحتاج
لان احتياجه دليل على عدم ألوهيته وان قالوا خلطوها لا لحاجة ولا اضطرار قلنا لهم أيتصور وجود شركة بين
شريكين أو أكثر من غير بغى أحد الشركاء على بعض فلذا قال وما بغى أى والحال أنه ما بغى وما نافية أى ظلم
الخلطاء أى الشركاء بعضهم على بعض لا يتصور ذلك بل متى وجدت الشركة وجد التمانع والتنازع المستلزم
كل منهما خراب هذا العالم المشاهد لانهما ان استويا فى القوة تمانعا ولم يقع فعل من أحدهما وان تفاوتا وقع
مراد الغالب فقط وتخلف مراد المغلوب فيلزم أن لا يتم نظام هذا العالم واحتمال توافقهما دائما الذى يجوزه
العقل لا نظر اليه لانه مما تحيله العادة التى هى مناط الادلة القرآنية والاساليب العربية واللازم المذكور
باطل لانا نشاهد هذا العالم باقيا على أكمل وجوه الاتقان ويلزم من ذلك انتفاء الشريك مطلقا وان الاله واحد
(قوله أهو الراكب الخ) شروع فى بيان بطلان التعدد من وجه آخر وهو أنه ثبت بالتواتر أن عيسى كان
يركب الحمار وحينئذ يقال لهم أتقولون فى حال ركوب عيسى للحمار هو الاله الراكب للحمار فان قالوا انه هو
فيقال لكم ركوبه يستدعى حدوثه وتعبه وهو يستدعى عجزه والاله لا يكون عاجزا ولا حادثا وما زعمتموه يلزمه
عجزه وحدوثه وقوله فيا عجزاه تعجب من دعواهم المستلزمة لذلك وقوله الاعياء أى التعب وعبارة السنباطى
ثم من النصارى من يزعم أن الله هو عيسى فيقال لهم من المعلوم ان عيسى كان يركب الحمار وحينئذ أتقولون
هو أى الله هو الراكب للحمار فما هذا الاعياء فيا عجزاه الخ (قوله أم جميع) أم متصلة لمعادلتها الهمزة تقولون
الثلاثة الذين زعمتموهم آلهة جميع على الحمار فيقال لكم لقد جل حينئذ حمار يجمعهم أى الآلهة
أى يجمعهم وقوله مشاء صيغة مبالغة من مشى وحينئذ فيقال لهم بئس اله يحتاج الى أن يمشى به حمار
(قوله أم سواهم) أى أم تقولون سواهم أى الثلاثة الذين على الحمار وقوله فما نسبة الفاء للسببية وما

كيف وحدتم الها نفى التو
حيد عنه الآباء والابناء
أأله مركب ما سمعنا
باله لذاته أجزاء
ألكل منهم نصيب من المـ
ـلك فهلا تميز الانصباء
أتراهم لحاجة واضطرار
خلطوها وما بغى الخلطاء
أهو الراكب الحمار فيا عجـ
ـزاله يمسه الاعياء
أم جميع على الحمار لقد جـ
ـل حمار بجمعهم مشاء
أم سواهم هو الاله فما نسـ
ـبة عيسى اليه والانتماء

(قوله كيف وحدتم) أى أعجب منكم أيها القائلون بالتثليث كيف توحدون الها نفى التوحيد الذى أثبتموه الاباء والابناء أى نسبة كل له فى دعوى التثليث فان قالوا ان التثليث لا ينافى الوحدانية لان الثلاثة تركبوا وصاروا واحدا رد عليهم المصنف بقوله أأله الخ اهـ

استفهامية وانسبة مبتدأ واليه خبر وقوله والانتماء هو الانتساب فهو عطف مرادف على نسبة أى أخبرونى عن انتماء عيسى وانتسابه الى الاله حينئذ هل يوجب التثليث الذى زعمتموه وكل عاقل يجزم بانه لا يوجبه بل ولا يقتضيه (**قوله** أم أردتم بها) أى بالثلاثة التى زعمتم أنها آلهة وقوله الصفات أى القائمة بذات الاله والصفة ما دل على معنى زائد على الذات وقوله فلم ما استفهامية حذفت ألفها لدخول حرف الجر عليها وسكنت للوزن وقوله ثلاث بالصرف للوزن وقوله بوصفه أى الاله وقوله وثناء أى وآحاد وحذف من باب الاكتفاء وثلاث وثناء بضم أولهما معدولان عن ثلاث ثلاث واثنين اثنين وليس المراد هنا هذا التكرير بل المراد الثلاث فقط عند من ينظر الى مجموع الثلاثة والاثنان فقط عند من ينظر الى الاله بالحقيقة والاله بالتجوز فان الاول واحد فقط والثانى اثنان فقط وعلى كل فالصفات لا تنحصر فى ثلاث ولا فى ثنتين فادعاء التثليث تحكم صرف هكذا قال الشارح وقوله الاله بالحقيقة أى وهو عيسى على كلامهم والاله بالتجوز هو الصفات الثلاثة التى قامت بعيسى فيقولون الاله بالحقيقة هو عيسى والصفات الثلاثة اله بالتجوز لقيامها بالاله بالحقيقة وهو عيسى (**قوله** أم هو) أى عيسى أى أم تقولون هو ابن الله فيقال لكم لم اختص عيسى بذلك أى بوصف البنوة لله حتى انهم ما شاركتهما نافية أى لم تشاركه الانبياء فى معانى البنوة فما وجه التخصيص فهذا تحكم باطل أيضا فان قالوا انما خص بذلك لكونه لا أب له فيقال لهم يرد عليكم آدم فانه لا أب له ولا أم (**قوله** قتلته) أى عيسى اليهود وقوله فيما زعمتم حال أى حال كون قتلهم له انما هو فى القول الذى زعمتم معشر النصارى أى فلا يكون الها ولا ابنا له والا لم يتمكنوا من قتله وقوله ولأمواتكم أى والحال أنه لأمواتكم به أى بسبب عيسى احياء وهو رد الروح الى الجسد بعد مفارقتها له أى انه كان فيكم يحيى الموتى فكيف من يحيى الموتى يتمكن منه من يقتله لانه اذا كان يرد الحياة بعد ذهابها باذن الله فكيف لا يحفظها على نفسه من الذهاب باذن الله فتصديقكم لليهود فى ذلك شاهد صدق على سخافة عقولكم وأنكم تقعون فى التناقض الصريح ولا تتنبهون له (**قوله** ان قولا) أى مما حكى عنكم كقولكم بالتثليث أطلقتموه على الله تعالى عما تقولونه وقوله ذكرا معمول لتعالى على أنه تمييز أى تعالى من جهة الذكر أى الثناء عليه أى تعالى ذكره وثناؤه وقوله لقول هراء بضم الهاء والراء المهملة من هرأ الكلام اذا كثر فى الخطا وفى نسخة بالزاى من قولهم رجل هزأة بالسكين أى مهزوء به ويصح هزأة بالتحريك أى يهزأ بالناس والمناسب هنا الاول وفى نسخة هذاء بضم الهاء والذال المعجمة من الهذيان (**قوله** مثل ما قالت) مثل يجوز نصبه حالا أى لقول هراء حال كونه مثل ويجوز رفعه خبر مبتدا محذوف أى هو مثل ما قالت اليهود وما مصدرية أى مثل قول اليهود يعنى بالبداء فالتشبيه من حيث مطلق الكفر والفساد وان تباين تفصيل كل من المقالتين وقوله وكل أى من الفريقين وقوله لزمته أى لزمت دعواه وقوله شنعاء أى قبيحة جدا (**قوله** اذهم) أى اليهود استقروا البداء أى تتبعوه حتى قالوا ما عدا العيسوية منهم لا يجوز عقلا ولا سمعا على الله نسخ ملة بملة لانه يوهم البداء وهو ظهور مصلحة بعد خفائها حتى نسخ ما مضى لاجلها ووافقهم بعض غلاة الروافض ومنهم من جوزه عقلا ومنعه شرعا وأجمعوا على أن شريعة نبينا صلى الله عليه وسلم ناسخة لجميع الشرائع اجماعا واختلفوا فى شريعة عيسى هل هى ناسخة لشريعة موسى أو مخصصة والاظهر أنها مخصصة لا ناسخة لقوله ولاحل لكم بعض الذى حرم عليكم ومعنى التخصيص هنا نسخ بعض الاحكام فالقول الثانى معناه نسخ جميعها قال الامام روى أن الرسل بعد موسى كلهم على شريعته الا عيسى *(تنبيه)* ذكر الامام أيضا فى المطالب العالية فى الحكمة فى نسخ الشرائع كلاما حسنا فقال الشرائع منها ما يعرف نفعه بالعقل معاشا ومعادا فهذا يمتنع طروّ النسخ عليه كمعرفة الله تعالى وطاعته أبدا ومجامع هذه الشرائع العقلية أمران التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله ومنها سمعية لا يعرف الانتفاع بها الا من السمع وهذا يمكن طروّ نسخه وتبديله وحكمة نسخه أن الاعمال البدنية اذا واظب عليها الخلف عن السلف صارت كالعادة وظن أنها

أم أردتم بها الصفات فلم خصصت ثلاث بوصفه وثناء
أم هو ابن لله ما شاركته
فى معانى البنوة الانبياء
قتلته اليهود فيما زعمتم
ولأمواتكم به احياء
ان قولا أطلقتموه على الله
تعالى ذكرا القول هراء
مثل ما قالت اليهود وكل
لزمته مقالة شنعاء
اذهم استقروا البداء وكم سا
قو بالا اليهم استقراء

(قوله اذهم أى اليهود) قال العلامة الصاوى وزعم اليهود أن النسخ يستلزم البداء باطل لما تقرر أن المصالح الداعية للنسخ ترجع لاحوال المكلفين وذلك لا يقتضى أن الله ظهر له شئ بعد ان لم يكن لقيام الدليل العقلى أن علمه تعالى محيط بجميع ما كان وما يكون وما هو كائن أزلا وتصرفه فى العالم على مقتضى العلم اهـ

مطلوبة لذاتها فيمتنع الوصول بها لما هو المقصود من الاعمال من معرفة الله وتمجيده بخلاف ما اذا تغيرت تلك الطريق وعلم أن المقصود من الاعمال انما هو رعاية أحوال القلب والروح فى المعرفة والمحبة فان الاوهام تنقطع عن الاشتغال بتلك الصور والظواهر الى تطهير السرائر وقال غيره حكمته أن الخلق طبعوا على الملالة من الشئ فوضع فى عصر كل رسول شريعة جديدة لينشطوا فى أدائها وأعظام الحكم اظهار شرف نبينا صلى الله عليه وسلم فانه نسخ بشريعته شرائعهم وشريعته لاناسخ لها ومن حكم النسخ أيضا ما فيه من حفظ مصالح العباد كطبيب يأمر بدواء فى يوم وبآخر فى يوم آخر وهكذا بحسب المصلحة وان كان الثانى أثقل *(تنبيه آخر) ما زعمه اليهود من أن النسخ يستلزم البداء باطل لما تقرر أن المصالح الداعية للنسخ ترجع اما الاحوال المكلفين أو الازمنة وذلك لا يستلزم البداء ولا يقتضى أن الله ظهر له شئ بعد أن لم يكن و زعم اليهود أنه يستلزمه فمنعوا النسخ نعلم الجواب عن قولهم الفعل اما حسن فيستحيل النهى عنه أو قبيح فيستحيل الامر به فالنسخ محال على التقديرين وبيانه أن التحسين والتقبيح العقليين باطلان وبتسليمهما فالعقل العادى قاطع بأن الفعل قد يكون مصلحة فى وقت مفسدة فى وقت آخر وكذا بالنظر للمكلف يكون مصلحة فى حق واحد مفسدة فى حق آخر ولا مانع أن علمه تعالى يتعلق بان حرمة كذا تنتهى بوقت أو فعل كذا ولو قالوا اسمع منع النسخ أيضا لان اللفظ الدال على شرع موسى اما أن يدل على الدوام وان ضم اليه ما يقتضى نسخه فهو متناقض وان لم ينضم له ذلك كفى فى العمل به مرة فلا يتصور نسخ قالوا ومما يمنعه أيضا ما علم بالتواتر من قول التوراة تمسكوا بالسبت أبدا وجوابه أنهم فى زمن بختنصر قتلوا حتى لم يبق منهم الا دون عدد التواتر بل قيل لم يبق منهم الا ستة أطفال على أن الابد كثيرا ما يراد به الزمن الطويل كما فى التوراة فى سور كثيرة وقوله وكم أى مرات كثيرة وقوله وبالا أى عذابا وقوله استقراء أى تتبع (قوله وأراهم) أى أعلمهم أى أعلم أنهم لقولهم بذلك أعنى امتناع النسخ لئلا يلزم البداء لم يجعلوا أى يعتقدوا الواحد فى ذاته وصفاته وأفعاله وقوله فى الخلق متعلق بالقهار فى بمعنى اللام أو متعلق بقوله بعده فاعلا ما يشاء نفى على حالها ووجه عدم الجعل أن امتناع نسخ عليه يستلزم قهره وعجزه (قوله جوزوا النسخ) جواب لو الآتية وقوله مثل ما جوزوا المسخ مصدر أى جوزوه تجويزا مثل تجويزهم المسخ وقوله فقهاء أى فهماء ولا فهم لهم اذ لا أبا لهم اسم فى العرف أى لو كانوا من أهل الفهم لجوزوا النسخ كما جوزوا المسخ فمنعهم للنسخ وتجويزهم المسخ الذى وقع بهم لا دليل عليه بل هو محض تحكم نشأ من عدم فهمهم والنسخ لغة الازالة والتغيير والنقل كنسخت الشمس الظل ونسخت الكتاب وشرعا بيان انتهاء حكم شرعى بخطاب آخر شرعى والمعنى لو ثبت أنهم فقهاء لجوزوا النسخ لانه بالعلم من حده لا يلزم عليه محذور البتة وزعمهم البداء باطل لا يعول عليه ومما يدل على جوازه ووقوعه ما اعترف به اليهود من وقوع المسخ وهو تحويل الصورة الى أقبح منها فان كثيرا منهم فى زمن موسى لما خالفوه فى السبت مسخهم الله قردة وخنازير كما فى كتابه العزيز (قوله هو الا أن يرفع الحكم) أى وكيف يمنعون النسخ وهو ليس فيه الا أن يرفع الحكم الشرعى أى استمراره أو تعلقه والا فالحكم نفسه لا يصح رفعه ولا يجوز عقلا اذ هو خطاب الله تعالى المتعلق بفعل المكلف وهو قديم يستحيل رفعه وقوله بالحكم أى الشرعى وهذا فيما اذا كان النسخ الى بدل وقوله وخلق أى ايجاد وقوله فيه أى المسخ أى ايجاد الصورة الثانية بعد ذهاب الاولى وقوله وأمر أى تصرف برفع الحكم الاول وايجاد الثانى وقوله سواء أى لما تقرر أن المسخ رفع الصورة الاولى وتخلفها الثانية والنسخ رفع الحكم الاول وتخلفه الثانى فاذا جوزتم الاول لزمكم أن تجوزوا الثانى والا فأنتم معاندون لا يلتفت اليكم (قوله ولحكم من الزمان انتهاء) أى وكيف تستبعدون النسخ وانما غايته ان كان لبدل أن فيه حكمين المنسوخ والناسخ فالاول هو المراد بقوله ولحكم من الزمان انتهاء والثانى هو المراد بقوله ولحكم من الزمان ابتداء ولا ينافى هذا تفسيره النسخ فيما سبق بالرفع لما علمت أن المراد رفع تعلقه بالمكلف ودوامه

وأراهم لم يجعلوا الواحد القهار فى الخلق فاعلا ما يشاء
جوزوا النسخ مثل ما
جوزوا المسخ عليهم لو
أنهم فقهاء
هو الا أن يرفع الحكم بالحكم وخلق فيه وأمر سواء
ولحكم من الزمان انتهاء
ولحكم من الزمان ابتداء

(قوله جوزوا النسخ) قال العلامة الصاوى ثم شرع المصنف يلزمهم الحجة بقوله جوزوا النسخ الخ فجملة جوزوا النسخ جواب لو مقدم والمعنى لو كانوا فقهاء أى أصحاب فهم لحكموا بجواز النسخ فى الاحكام الشرعية مثل حكمهم بتجويز المسخ عليهم قردة وخنازير اذ لا فرق بينهما وقد وقع ذلك التحويل فى زمن داود لما خالفوا فى السبت كما قصه الله تعالى فى قوله واسألهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر الى آخره اه

وهو الانتهاء المذكور هنا وعلى كل فجواز النسخ أولى من جواز المسخ لان الاول فى الاحكام والثانى فى
الذوات (قوله فسلوهم) أى فاذا أردتم أيها المسلمون المبالغة فى ادحاض حجتهم فسلوهم قائلين لهم أكان
فى مسخهم فيه التفات عن خطابهم مبالغة فى تحقيرهم أى أكان فى جعلهم قردة فى الصورة كما هو رأى
الجمهور أو فى قلوبهم وجعلها كقلوب القردة لاتقبل هداية مع بقاء ذواتهم على ما قاله مجاهد وقوله
نسخ لآيات الله وهى الصورة الاولى مع أحكامها أولادراكهم الاول على قول مجاهد وقوله أم انشاء
أى ايجاد لصورة مستقلة وحكم مستقل يتعلق بها فان قالوا بالاول فقد ناقضوا أنفسهم ولزمتهم الحجة
أو بالثانى فهو مكابرة للحس والحق أن المسخ متردد بين انشاء الخلق وبين النسخ لانه بالنسبة للصورة الاولى
نسخ وبالنسبة للصورة الثانية انشاء (قوله وبداء) بالمد وسبق معناه وهو مبتدأ خبره قوله فى قولهم الثابت
عنهم نقد قالوا ندم الله على خلق آدم وقوله أم خطاء بالمد كما أجازه بعضهم وجرى عليه الناظم والمشهور فيه
القصر وهو عطف على بداء الواقع مبتدأ أى سلوهم عن قولهم هذا أصدر منهم عن قصد أو عن خطأ فان قالوا
عن قصد كان عين البداء الذى أنكروه ولانه يستلزم جهل الله تعالى بعواقب الامور وحينئذ فكيف يمنعون
النسخ فرارا من لازمه عندهم وهو البداء هذا تناقض قبيح وان قالوا انه خطأ منهم فيكفيهم الاعتراف به على
أنفسهم وأنهم فى غاية السفاهة (قوله أم محا) معطوف على قوله أكان فى مسخهم أى وسلوهم أيضا عما
لا يمكنهم انكاره لانه أمر محسوس فقولوا لهم أعلامة الليل والنهار كل منهما باقية فلا تزول بالاخرى أم محا
الله أى أذهب آية الليل الاضافة بيانية والليل اسم جنس جمعى واحده ليلة وأتى بالنهار بدله وهكذا الى القيامة
وقوله ذكرا بضم الذال تمييز أى من جهة الذكر أى العلم والعمل وقوله ليوجد الامساء أى الدخول فى
المساء والمراد به هنا ما بعد الغروب وهذا لا يترتب على ما قبله وانما الذى يترتب على محو الليل الدخول فى
الاضاءة بوجود النهار وانما يترتب الامساء على محو النهار فيحتاج الكلام الى تقدير هكذا أم محا الله آية الليل
لتوجد الاضاءة ومحا آية النهار ليوجد الامساء وهذا التقدير يشير اليه قولنا سابقا ومحاو هكذا الى يوم
القيامة أى وسلوهم عن هذا المحو أهو واقع أم لا وبفرض وقوعه فهل هو عمد بعد سهو أو عن سهو ابتداء
فان قالوا بالاول لزمهم القول بالنسخ لانه بمنزلته أو بالثانى من الترديد الاول فقد كابروا الحس أو من الترديد
الثانى لزمهم القول بالبداء لان من يجوز السهو يجوز البداء لانه بمنزلته فلم منعوا النسخ حذرا منه وقد
بين الله تعالى حكمة اختلاف الليل والنهار فى غير ما آية كقوله وجعلنا الليل والنهار آيتين الآية وفى
البيضاوى آيتين تدلان على القادر الحكيم بتواليهما على نسق واحد فمحونا آية الليل أى التى هى
الليل بالاشراق وجعلنا آية النهار مبصرة أى مضيئة أو مبصرة للناس من أبصره فبصر أو مبصرا أهله وقيل
الآيتان الشمس والقمر وتقدير الكلام وجعلنا نيرى الليل والنهار آيتين أو جعلنا الليل والنهار ذوى آيتين
ومحو آية الليل التى هى القمر جعلها مظلمة فى نفسها مطموسة النور ونقص نورها شيأ فشيأ الى المحاقه وجعل
آية النهار التى هى الشمس مبصرة جعلها ذات شعاع تبصر الاشياء بضوئها (قوله أم بدا للاله) أى ظهر له فى
ذبح اسحق والحال أنه قد كان الامر أى بذبحه من الله تعالى للخليل فى النوم وقوله مضاء أى ماض نافذ وفى
نسخة قضاء بالقاف أى حتم لان رؤيا الانبياء وحى أى سلوهم فيما وقع للخليل وهو أمره بذبح ولده ثم عند
ارادته له حين أضجعه على جنبه نسخه الله فأمره بتركه وفداه بذبح عظيم وما يقال ان الرقبة كسيت نحاسا
وأنه أمر السكين عليها فلم تؤثر ونحو ذلك مما يذكره الخطباء فهو باطل لم يثبت فيه شئ فان قالوا ان الامر
بالفداء وترك الذبح نسخ للامر بالذبح لزمهم القول بالنسخ مطلقا أو غير نسخ لزمهم الجهل المفرط واعلم أن
ما جرى عليه الناظم من أن الذبيح اسحق هو ما عليه الاكثرون قيل وأجمع عليه اهل الكتابين لكن سياق
الآية والمشاهدة بان اسمعيل هو الذى كان بمكة ومنى ولم ينقل قط أن اسحق حج ولا أتى تلك الاماكن فانهما

فسلوهم أكان فى مسخهم نسـ
ـخ لآيات الله أم انشاء
وبداء فى قولهم ندم الله
على خلق آدم أم خطاء
أم محا الله آية الليل ذكرا
بعد سهو ليوجد الامساء
أم بدا للاله فى ذبح اسحـ
ـق وقد كان الامر فيه مضاء

(قوله أم بدا للاله الخ) قال العلامة الصاوى تنبيه ما جرى عليه الناظم أن الذبيح اسحق هو ما عليه مالك والاكثرون قيل واجمع عليه أهل الكتابين وقال الشافعى وجماعة انه اسمعيل واستدلوا بسياق الآية وكون اسمعيل كان بمكة ولم ينقل أن اسحق حج ولا أتى تلك الاماكن وبقوله الاعرابى للنبى صلى الله عليه وسلم يا ابن الذبيحين فتبسم ولم ينكر عليه اهـ

أوماحرم الاله نكاح ال
أخت بعد التحليل فهو الزنا
لاتكذب أن اليهود وقدزا
غواعن الحق معشر لؤماء
جحدوا المصطفى وآمن بالطا
غوت قوم هم عندهم شرفاء
قتلوا الانبياء واتخذوا العج
ل ألا انهم هم السفهاء
وسفيه من ساءه المن والسل
وى وأرضاه الفوم والقثاء
ملئت بالخبيث منهم بطون
فهى نار طباقها الامعاء
لو أريدوا فى حال سبت بخير
كان سبتا لديهم الاربعاء

يقضيان بانه اسمعيل وهو التحقيق (قوله أوماحرم الاله) أى وسلوهم أيضا فقولوا لهم أتنكرون النسخ وتقولون ماحرم الله نكاح الاخت بعد التحليل فى زمن آدم أو تقولون حرمه بعدما احله وقوله فهو أى نكاحها الزناء مترتب على الشق الثانى من الترديد أى والزنا موجب للرجم ومد الزنا لغة فان قالوا حرمها بعد أن أحلها فهذا صريح فى النسخ الذى أنكروه وان قالوا لم يحرمها أو لم يحللها فهو عناد محض وقائله لايخاطب ولا يكالم (قوله لاتكذب) أى واذ قد بان لك تجهلهم وتناقضهم وعنادهم فامسك عن محاججتهم ولا تكذب أن اليهود وقوله وقد زاغوا الجملة حالية أى مالوا عن الحق من جهات عديدة سفها وحسدا وقوله لؤماء جمع لئيم وهو الدنىء الاصل الشحيح النفس (قوله جحدوا) بدل من زاغوا أى أنكروا نبوته ورسالته وقوله وآمن جملة حالية وقوله بالطاغوت أى الشيطان وكل ما عبد من دون الله وقوله عندهم أى عند اليهود شرفاء أى معظمون مجلون وهذا بيان لعظيم لؤمهم وزيغهم عن الحق حيث جحدوا وأقروا من آمن بالباطل ومدحوهم على ذلك بل عدوهم من أشرافهم ثم ظاهر النظم أن المؤمن بالطاغوت فرقة من اليهود لا كلهم وليس كذلك بل كلهم آمنوا به كما صرح به قوله تعالى ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب قال المفسرون هم اليهود يؤمنون بالجبت وهو اسم يقع على الصنم والكاهن والساحر والمراد هنا الاول والطاغوت كل ما عبد من دون الله فهو من عطف العام على الخاص ويصح أن يراد بقول المتن وآمن بالطاغوت قوم أى من أشراف قريش هم عندهم أى عند اليهود شرفاء (قوله قتلوا الانبياء) بدل بعد بدل أو معطوف بحذف حرف العطف وذلك كزكريا ويحيى وغيرهما فقد جاء أنهم قتلوا فى يوم واحد سبعين نبيا وقاموا السوقهم ومعاشهم وذكر ابن عطية فى تفسيره أنه لم يقتل من الانبياء الا من لم يؤمر بالقتال وأما من أمر به فقد تكفل الله بنصره وقوله واتخذوا العجل أى الها ومعبودا مع أن السامرى هو الذى صاغه بحضرتهم من الحلى الذى استعاروه من القبط قبل غرقهم وقوله ألا انهم ألا حرف تنبيه وقوله هم السفهاء جمع سفيه وهو من زاد نقص عقله حتى حصلت له خفة وطيش وسخافة رأى وانطماس بصيرة وفى المتن الاقتباس من الآية الشريفة (قوله وسفيه) خبر مقدم أو مبتدأ وما بعده هو الخبر وسوغ الابتداء به وقوعه بيانا لما قبله وقوله من ساءه أى أحزنه المن وهو نوع من الحلواء يسمى الترنجبين كان ينزل عليهم وهم فى التيه فى غاية الاضطرار وقوله والسلوى هو الطير السمانى وهو من أشهى الطيور لحما وأنفعها وأطيبها غذاء كان يأتيهم وهم فى التيه الى ما لهم فيمدون أيديهم اليه فيأخذون منه ما شاؤا وقوله وأرضاه الفوم بضم الفاء بل سألوه كما فى الآية وهو الثوم كما ترى به فى الآية وقيل الحنطة وهو بعيد من السياق لان الحنطة ليست من الادنى (قوله ملئت بالخبيث) وهو ما سألوه من الفوم وما معه وقوله منهم حال من بطون النائب عن الفاعل أو المراد بالخبيث غيرهم من التلبية كالحسد والغل والاول هو الذى يدل عليه السياق ويناسب قوله ملئت والثانى لا يناسب هذين لكنه يناسب قوله فهى نار أى مشتملة على ما يؤدى الى النار وأما الاول فلا يناسبه كما لا يخفى وقوله طباقها أى النار التى هى بطونهم الامعاء أى المصارين جمع معا بالقصر كرضا أى المصران أى ان كل معا فى بطونهم فوقه نار فصارت الامعاء طباقا للنار (قوله لو أريدوا) لو شرطية أى لو أراد الله بهم خيرا وقوله فى حال سبت مصدر سبتت اليهود اذا عظموا سبتهم بالسكون فيه من غير العبادة أى بترك الاشغال الدنيوية والتفرغ للعبادة والسبت معناه لغة القطع وقوله بخير الباء زائدة للتأكيد وكل من الظرفين هذا والذى قبله متعلق بأريدوا أى لو أراد الله باليهود فى حال سبتهم الذى فرض عليهم تعظيمه خيرا وقوله لديهم أى عندهم وقوله الاربعاء بتثليث الباء والمعنى لو أراد الله بهم تمام الخير لجعل زمن عبادتهم يوما مؤذنا ومشعرا بوصلهم واهتدائهم وهو يوم الاربعاء لان النور خلق فيه والنور يحصل به الاهتداء فلما جعل ميقاتهم يوم السبت المؤذن بقطيعتهم اذ السبت لغة القطع كان فى ذلك اشارة الى أنه لم يرد بهم تمام الخير فكأن الناظم يقول لو أراد الله بهم تمام الخير فى حال

(قوله وجاء فى الخبر أن الله خلق التراب الخ) قال العلامة الصاوى واعلم أن الله تعالى خلق العالم فى ستة أيام آخرها الخميس وخلق آدم بعد الفراغ من خلقها اشارة لكونها خلقت لمصالحه فى يوم الجمعة الذى خلق فيه آدم خارج عن الستة الايام التى خلق فيها العالم ويؤيده الخبر الصحيح ان الله هدانا اليوم الجمعة وأضل عنه اليهود والنصارى اه

سبتهم

سبتهم أى في حال عبادتهم وانقطاعهم اليها كان سبتا لهم الاربعاء أى لكان الاربعاء سبتا لهم أى كان محلا لسبتهم أى انقطاعهم وتفرغهم للعبادة ومما وضح هذا أن الله ادخر لهذه الامة يوم الجمعة المؤذن بغاية الوصل لانه مقام الجمعية ومقام الوصل الذى هو أكمل المقامات وأفضلها وجعل لليهود يوم السبت المؤذن بقطيعتهم وحرمانهم وللنصارى الاحد المؤذن بوحدتهم وتفردهم عن مواطن الخيرات والسعادات فكان فيما اختصت به كل أمة من الايام دليلا على أحوالها ومايؤول اليه أمرها فتنبه الناظم رحمه الله تعالى على هذه الحقيقة العرفانية والحكمة الربانية زيادة فى مدح هذه الامة وذم غيرها ومن هذا المعنى قال العارف الفارضى

وكل الليالى ليلة القدر ان دنت * كما أن أيام اللقا يوم جمعة

واعلم أنه اختلف فى أول الاسبوع فقيل السبت وهو الاصح وعليه الاكثرون كما فى الروضة وأصلها ونقله فى شرح المهذب عن الاصحاب بل قال السهيلى فى روضه لم يقل بان أوله الاحد الا ابن جرير وجرى النووى فى موضع آخر على أن أوله الاحد حيث قال فى يوم الاثنين سمى به لانه ثانى أيام الاسبوع ويجاب من طرف الاول بان النووى جرى فى توجيه التسمية الذى يكفى فيه أدنى مناسبة على القول الضعيف ولا حجة فى اشتقاق نحو الاحد من الواحد والاثنين من الثانى وهكذا الان تلك التسمية لم تثبت بأمر من الله ولا من رسوله فلعل اليهود وضعوها على مذهبهم فأخذتها العرب عنهم وجاء فى الخبر أن الله خلق التراب أى الارض فى يوم السبت والجبال فى يوم الاحد والشجر فى يوم الاثنين والمكروه أى الاشياء التى تكرهها النفس فى يوم الثلاثاء والنون وكذا النون أى الحوت أى السمك فى يوم الاربعاء وخلق الدواب فى يوم الخميس وخلق آدم فى يوم الجمعة ويضبط ذلك حروف قولك تجشم نداً فالتاء للتراب أى الارض فى يوم السبت الذى هو أول أيام الاسبوع والجيم للجبال فى يوم الاحد وهكذا على الترتيب السابق وقد انتصر ابن عساكر لكون أوله السبت بما حاصله أن تأييد ابن جرير لكون أوله الاحد بان هذا العالم خلق فى ستة أيام وآدم خلق يوم الجمعة وانما يصح بتقدير أن يوم الجمعة داخل فى الستة التى خلق فيها العالم ولم يصح ذلك لانه صلى الله عليه وسلم فسر خلق الاشياء وجعل خلق آدم فى اليوم السابع وهو يوم الجمعة ولم يثبت أنه خلق آخر الايام وانما أخبر تعالى أنه خلق العالم فى ستة أيام فآخرها يوم الخميس وخلق آدم بعد الفراغ من خلقها اشارة لكونها خلقت لمصالحه وذريته (قوله هو) أى يوم السبت يوم مبارك لان الله ابتدأ فيه خلق هذا العالم كما مر خلافا لما زعمه اليهود أنه ابتدأه يوم الاحد وفرغ منه يوم الجمعة واستراح يوم السبت قالوا فنحن نستريح فيه كما استراح الرب فيه وهذا من جملة غباوتهم وسفاهتهم ومن ثم رد الله عليهم بقوله وما مسنا من لغوب أى تعب تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا اذ لا يتصور التعب الا من حادث مفتقر للغير وقوله قيل انما بناه للمجهول لضيق النظم والا فهذا القول ليس ضعيفا بل هو أمر مشهور مجمع عليه ورد به الكتاب والسنة وقوله للتصريف أى للتصرف ببيع أو نحوه وقوله اعتداء أى تعد وظلم كان سببا للمسخ كثيرة منهم قردة وخنازير فمسخت شبابهم قردة وشيوخهم خنازير لها أذناب تتعاوى وذلك أنهم لما أمروا أن يجردوه للعبادة اعتدى فيه ناس منهم فى زمن داود اثنا عشر ألفا فاصطادوا فيه وكانوا باية قرية على جانب البحر فى طريق الحاج المصرى فابتلاهم الله بان ألهم السمك يوم السبت أن يرفع خرطومه اليهم بحيث لو مدوا أيديهم اليه لاخذوه من غير كلفة وكانت تجتمع جميع حيتان البحر بجنب البر شرعا أى ظاهرة لهم فاذا مضى السبت تفرق فلم يروا منه شيأ فاجتمع رأى جماعة منهم على حيلة يحصلون بها ويتخلصون من الاصطياد يوم السبت فحفروا يوم الجمعة حفرا بجانب البحر وجعلوا فيها جداول من البحر فصارت تمتلئ سمكا يوم السبت ويأخذونه يوم الاحد فشووه وأكلوا فشم جيرانهم الرائحة فسألوهم فاخبروهم بالحيلة فقالوا ان الله معذبكم ثم لما لم يعاجلوا بالعقوبة تبعهم جماعة منهم حتى صاروا قدر الثلث من العدد السابق وهو اثنا عشر ألفا وسكت قدر الثلث عن النهى فاعتزلهم الثلث الباقى الذى نهاهم فبنوا

هو يوم مبارك قيل للتصريف فيه من اليهود اعتداء

بينهم حائطا فاصبحوا وقد مسخ الثلث وهو الذي فعل الحيلة قردة وخنازير على ما مر وكذا الثلث الذي سكت على خلاف فيه ومن ثم قال ابن عباس لا أدري ما فعل بالساكتة نجاها أم مسخها وأما الثلث الذي نهى وبنى الحائط فلم يمسخ باتفاق (قوله فبظلم) متعلق بعدتهم وهو وضع الشيء في غير محله كتحيلاتهم في السبت وأكلهم الربا وأخذهم أموال الناس بالباطل وقوله وكفر من عطف الخاص على العام لزيادة الاهتمام به وقوله عدتهم أي فاتتهم وقوله طيبات أي من الرزق بان حرمها الله عليهم وقوله في تركهن أي تلك الطيبات الذي تحتم الامر به وقوله ابتلاء أي اختبار ومحنة للعبد يكون سببا لفلاحه أو هلاكه وهذه الطيبات التي حرمت عليهم هي التي في قوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الآية أي وعلى اليهود حرمنا كل ذي ظفر الخ الا الشحم الذي على الظهر أو الالية أو الامعاء فاحلوا باقي الامعاء وما اختلط بعظم هو شحم الالية (قوله خدعوا) أي يهود المدينة وما قرب منها بدلا من زاغوا لكن ذاك عام وهذا خاص وقوله بالمنافقين أي بسببهم أي المنافقين من الاوس والخزرج الذين قهرهم الاسلام فاظهروه واتخذوه جنة من القتل مع بقائهم على كفرهم باطنا فكانوا يدسون الى اليهود المكر والخديعة ومعنى خديعتهم بهم أن الله أراد بهم المكر وبسبب المنافقين من العرب الذين كانوا يصدونهم عن النبي فيخدعون لهم اعداءهم وقوله وهل ينفق كيضرب مبنيا للفاعل ويعلم كذلك ويكرم مبنيا للفاعل أو المفعول أي وما ينفق الشقاء الا على السفهاء وهم اليهود شبه الشقاء الحاصل لهم بدراهم تصرف في الشر على سبيل الاستعارة بالكناية وأثبت لها ما هو من لوازم المشبه به وهو الانفاق تخييلا وهذا اذا كان ينفق من أنفق الدراهم أي صرفها وأخرجها ويصح أن يكون من النفاق أي الرواج وعليه فشبه الشقاء بالسلعة المعرضة للبيع على سبيل المكنية أيضا وأثبت له النفاق تخييلا (قوله واطمأنوا) أي في زعمهم أي أمنوا مما كانوا يترقبونه من النبي وقوله بقول الاحزاب أي بسبب قولهم انا لكم أولياء والمراد بالاحزاب طوائف العرب أهل مكة ومن كان معهم من قبائل العرب الذين تجمعوا بعد وقعة أحد لحرب النبي صلى الله عليه وسلم وقوله اخوانهم أي في الكفر وقوله اننا لكم أولياء مقول القول أي متعاونون ومتفقون على حرب محمد وسبب ذلك أن جماعة من اليهود منهم اللعين حيي بن أخطب ازدادت عداوتهم له صلى الله عليه وسلم حتى ذهبوا الى قريش بمكة فندبوهم لحربه صلى الله عليه وسلم وقالوا نكون معكم عليه حتى نستأصله فوافقوهم ثم ذهبوا الى غطفان وذكروا لهم مثل ذلك فوافقوهم فخرجت قريش وغطفان وأهل نجد في عشرة آلاف فلما سمع بهم صلى الله عليه وسلم أشار عليه سلمان بحفر الخندق لان العرب لم تكن تعرفه فاجتهد فيه هو وأصحابه فلما وصل العدو اليه خرج اليهم في ثلاثة آلاف فمكثوا نحو عشرين يوما أو خمسة عشر لا قتال بينهم الا الرمي بالنبل والحصى ثم اشتد الحرب فجاء نعيم بن مسعود الى النبي وكان من رؤساء الاحزاب فقال له اني أسلمت ولم يعلم قومي باسلامي فمرني بما شئت فقال له خذل عنا ما استطعت الى آخر ما في القصة (قوله حالفوهم) أي حالف الاحزاب اليهود فالضمير الفاعل للاحزاب والمفعول لليهود وكذا يقال فيما بعده أي عاهدوهم مع الايمان المغلظة على حرب رسول الله وقوله وخالفوهم في ذلك فرحلوا عنهم وأسلموهم الى النبي صلى الله عليه وسلم حتى قتلهم عن آخرهم وقوله ولم أدر الخ هذا من تجاهل العارف لاغراء السامع على البحث عن سبب ذلك وان كان ظاهرا والا فالناظم عالم به وهو أن الله أراد خذلانهم بتفريق كلمتهم واستئصال جمعهم وتجاهل العارف هو سوق المعلوم مساق غيره وهو سؤال المتكلم عما يعلمه على سبيل التعجب أو الانكار أو التوبيخ كما هنا أو التقرير نحو وما تلك بيمينك يا موسى (قوله أسلموهم) الضمير الفاعل راجع للمنافقين في قوله خدعوا بالمنافقين فلو ذكره عقبه لكان أولى والمفعول لليهود والمراد اليهود بنو النضير وهم وقريظة قبيلتان من يهود خيبر وهم منتسبون الى هرون أخي موسى عليهما السلام وقوله لاول الحشر أي الحشر الاول وهو اجلاؤهم من بلاد الحجاز الى الشام وهذا في عهده صلى

فبظلم منهم وكفر عدتهم
طيبات في تركهن ابتلاء
خدعوا بالمنافقين وهل ينـ
فق الا على السفيه الشقاء
واطمأنوا بقول الاحزاب اخوا
نهم اننا لكم أولياء
حالفوهم وخالفوهم ولم أد
ر لماذا تخالف الحلفاء
أسلموهم لاول الحشر لا مي
عادهم صادق ولا الايلاء

(قوله خدعوا) يعني أن يهود المدينة وما قرب منها خدعهم المنافقون من الاوس والخزرج الذين قهرهم الاسلام فاظهروه واتخذوه وقاية من القتل مع بقائهم على كفرهم باطنا وكان هؤلاء مع اليهود لانهم مثلهم باطنا وكانوا يدسون اليهم المكر والخديعة وكذا أحبار اليهود هم الذين يعنتون على رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل القرآن بمكة مكذبا لهم تارة ومجيبا عن شبههم أخرى اه صاوي

الله عليه وسلم ولهم حشر ثان وهو اجلاء عمر لمن بقى منهم بخيبر الى بلاد الشام ونحوها وهذا مقتبس من قوله تعالى هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب الآيات وقوله لا ميعادهم صادف أى لا ميعاد المنافقين لليهود أنهم ينصرونهم على حرب النبى ثم تخلفوا عنهم وقوله ولا الايلاء أى الحلف منهم لهم صادق أيضا (قوله سكن الرعب) أى هيبة النبى وخشية انتقامه منهم وقوله والخراب أى لديارهم وقوله قلوبا أى لليهود بنى النضير وغيرهم وهذا راجع للرعب وقوله وبيوتا راجع للخراب وقوله نعاها أى أخبر تلك البيوت بموت أهلها المعنوى من نعاه نعوا ونعيا أخبر بموته وقوله الجلاء أى خروجهم من ديارهم شبهه فى كونه معلما بقهرهم وزوال شوكتهم بانسان يخبر بموت أحد استعارة بالكناية وذكر النعى الملائم للمشبه به تخييل وما تقدم فى وجه الشبه وهو كونه معلما بقهرهم الخ يحتاج لمعونة وهو أن ذلك القهر قد نزل منزلة الموت الحسى وظاهر النظم أن واقعة بنى النضير بعد الخندق المشار اليها بقوله واطمأنوا الخ وهو مردود بان بنى قريظة هم الذين ظاهروا الاحزاب وأما بنو النضير فقد كانت وقعتهم قبل الاحزاب وكانت من أعظم الاسباب فى جمع الاحزاب لان حيى ابن أخطب كان رئيس بنى النضير وهو الذى حسن لبنى قريظة الغدر وموافقة الاحزاب وقد هرب فى وقعة بنى النضير ولحق بخيبر فكان فيها حتى ذهب الى قريش وحزبهم على حرب النبى صلى الله عليه وسلم وحاصل وقعة بنى النضير أن النبى صلى الله عليه وسلم خرج لهم يستعينهم فى دية قتيلين قتلهما بعض حلفائهم فأظهروا له الاجابة ثم تواعدوا وهو جالس الى جنب جدار لبعض بيوتهم على ان يصعد واحد منهم و يلقى عليه صخرة ليستريحوا منه فأخبره جبريل فرجع الى المدينة فأمر بالتهيئ لحربهم والمسير اليهم فسار وحاصرهم خمسة عشر يوما فألقى الله الرعب فى قلوبهم فصاروا يخربون بيوتهم من داخل والمسلمون من خارج ثم نزلوا على حكمه صلى الله عليه وسلم فحكم عليهم بان يخرجوا ولا يأخذ كل واحد من ماله الا حمل بعير ولا يأخذون السلاح فلحقوا بخيبر ثم الى الشام على ستمائة بعير (قوله وبيوم الاحزاب) أى وخدعوا أيضا بنو قريظة بيوم الاحزاب الخ ولو قدم هذا البيت على البيتين قبله وقدمهما على البيتين قبلهما لكان أظهر كما لا يخفى وكأن هذا الوضع من غلط النساخ وحاصل ما أشار اليه أن الاحزاب لما أقبلوا ونزلوا حول المدينة وخرج لهم صلى الله عليه وسلم والمسلمون فجعلوا ظهورهم الى سلع والخندق بينه وبين القوم خرج عدو الله حيى بن أخطب وتقدم أنه كان من رؤساء بنى النضير وفى قلبه ما فيه مما أصابه وأصاب قومه قبل ذلك فأتى كعبا القرظى رئيس بنى قريظة وكان قد عاهده صلى الله عليه وسلم وأمنه فطلب حيى منه نقض عهد محمد فامتنع فلم يزل به حتى نقض العهد فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاشتد عليه الامر وخاف على المدينة من بنى قريظة فلما خلص من الاحزاب ورجع المدينة فوضع سلاحه واغتسل فجاءه جبريل على بغلة فقال يا محمد قد وضعت سلاحك فوالله ما وضعنا معشر الملائكة سلاحنا فاخرج اليهم وأشار الى بنى قريظة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا خيل الله اركبى فسار اليهم فى ثلاثة آلاف فحاصرهم خمسة وعشرين ليلة فلما اشتد عليهم الحصار نزلوا على حكم سعد بن معاذ سيد الاوس وكانوا حلفاءه فى الجاهلية فحكمه صلى الله عليه وسلم فيهم فحكم بقتل رجالهم وقسم أموالهم وسبى ذراريهم فأخذت رجالهم فى حبال وكانوا ستمائة وقيل سبعمائة فادخلوا المدينة وحفرت لهم حفيرة وأمر صلى الله عليه وسلم عليا بضرب أعناقهم وألقوا فى الحفيرة (قوله وتعدّوا) اى النصارى واليهود والمنافقون بل مطلق الكفار أى تجاوزوا وقوله الى النبى حال من قوله حدودا أى حال كونها لهم بأن حددها لهم ومنعهم من مجاوزتها فلم يقفوا عندها فقوله كان فيها على حذف مضاف أى فى مجاوزتها او العدواء اسم كان وأحد الظرفين خبرها والآخر حال والعدواء بفتح العين أى بعدهم عن النجاة ووقوعهم فى الهلاك وهذا تلميح لقوله تعالى ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون (قوله ونهتهم) أى أولئك المعتدين وفاعله ضمير يعود على قوم لانه من باب التنازع أى ونهى المعتدين قوم منهم عن استمرارهم على ما هم عليه من مخالفته وايذائه

سكن الرعب والخراب قلوبا ... وبيوتا منهم نعاها الجلاء

وبيوم الاحزاب اذ زاغت الابصار فيه وضلت الآراء

وتعدّوا الى النبى حدودا ... كان فيها عليهم العدواء

ونهتهم وما انتهت عنه قوم ... فأبيد الأمار والنهاء

(قوله سكن الرعب) قال العلامة الصاوى وخلاصة ما قاله أهل السير فى واقعة بنى النضير أنه صلى الله عليه وسلم خرج اليهم يستعينهم فى دية قتيلين قتلهما بعض حلفائهم فأظهروا له الاجابة ثم تواعدوا وهو صلى الله عليه وسلم جالس الى جنب جدار لبعض بيوتهم على ان يصعد واحد منهم يلقى عليه حجرا ليستريحوا منه فلما صعد الرجل لذلك أخبر صلى الله عليه وسلم فقام مظهرا يقضى حاجته وترك أصحابه فى مجلسهم ورجع مسرعا الى المدينة فطلبه أصحابه فأخبرهم ونزل فى ذلك يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم أيديهم الآية اهـ

وقوله وما انتهت عنه أي عن النبي أي عن مخالفته وايذائه وقوله فأبيد الفاء سببية أي أهلك الامار منهم بايذائه والنهاء عن اتباعه ولم يتقدم للامار ذكر في كلامه الا أنه مأخوذ من المقام فقوله وما انتهت عنه قوم أي وأمر قوم بايذائه فيقدر هذا الاجل قوله فأبيد الامار والنهاء والامار بفتح الهمزة والنهاء بفتح النون مبالغة في آمر وناه (قوله وتعاطوا في أحمد) أي خاضوا يقال فلان يتعاطى كذا أي يخوض فيه وعبارة الهروي يقال تعاطيت الشيء اذا تناولته وقوله في أحمد بالصرف للوزن وخص هذا الاسم لانه لم يسم به أحد قبله كمحمد وأما محمد فتسمى به قبله خمسة عشر كما بينه الحافظ العسقلاني وقوله منكر القول أي القول المنكر الذي ينكره من يسمعه بل والمتكلم به لعلمه بقبحه وفساده وأن الحامل عليه انما هو محض عناد أو حسد فقالوا مرة ساحر ومرة كاهن ومرة مجنون وقوله ونطق أي منطوق الاراذل أي الاخساء الاسافل الذين لامروءة لهم وقوله العوراء بفتح العين أي الكلمة القبيحة الساقطة أي شأنهم النطق بالفحش (قوله كل رجس) أي قذر فأمرهم وقوله السوء بفتح السين وضمها أي القبيح وقوله سفاها بفتح السين من سفه بالضم سفاها وسفاهة وأما سفه بالكسر فمصدره سفها وهو ضد الحلم وسببه خفة العقل وقوله والملة أي ويزيده سفاهة أيضا وبعدا عن الخير الملة أي الشريعة سميت بذلك لانها تملى وتكتب وقوله العوجاء أي الباطلة شبهها بطريق عوجاء لايهتدي سالكها الى مطلوبه على سبيل الاستعارة المكنية ثم أثبت لها العوج تخييلا وهؤلاء الاراذل اجتمع فيهم الوصفان الخلق السوء والتمسك بالملة الباطلة فتضاعفت سفاهتهم (قوله فانظروا) أي بسبب ازديادهم في السفاهة والجهل انظروا أيها العقلاء وقوله كيف هي وما بعدها سدت مسد مفعولي انظر والا فهو بمعنى اعلموا وقوله كان أي حصل ووجد فهي تامة وقوله عاقبة القوم أي مآلهم ومصيرهم أي القوم المعروفين بما ذكر وعاقبتهم هي خزيهم في الدنيا وعذابهم في الآخرة وقوله وما ساق أي وانظروا ما ساقه ويصح أن تكون موصولة فما بعدها صلتها وأن تكون استفهامية فهي وما بعدها سدت مسد مفعولي انظر والمقدر وقوله البذي أي بذي اللسان كهؤلاء وقوله البذاء أي بذاؤهم أي فحشهم وتخلفهم عن عز الدنيا وسعادة الآخرة وفي الكلام تشبيه البذي بدابة تسير وتشبيه البذاء بسائقها فهما استعارتان مكنيتان واثبات السوق للبذاء على جهة كونه فاعلا وللبذي على جهة كونه واقعا عليه تخييل (قوله وجد السب) أي وجد ذلك البذي السب أي الشتم فيه أي النبي صلى الله عليه وسلم وقوله سما أي داء مهلكا وقوله ولم يدر أي ذلك البذي أن سببه عين السم القاتل لوضعه اذا الميم في مواضع باء أي تناب باء في مواضع أي في ألفاظ وعبارات وكلمات كما هنا وهي لغة مازن نية ولهن بالأسبل اذا أرادوا السبل فهمزة الباء بدل من الميم والمعنى أن سبهم له مهلك لهم كتهلك السم بل هو أبلغ لان اهلاك السم في الدنيا وله أدوية تزيله واهلاك السب في الدنيا والآخرة لادواء له (قوله كان من فيه) أي من أجل ما صدر من فيه أي من فم ذلك البذي وقوله قتله اسم كان وبيديه خبرها ومن فيه حال من الخبر أي كان قتله نفسه بيديه حال كونه صادرا من فيه وقتل الانسان نفسه أشد من قتل غيره له وقوله فهو أي فبسبب ذلك هو أي القاتل لنفسه وهو مبتدأ وخبره الزباء والمعنى على التشبيه أي فهو في الاتصاف بما وقع من سوء تعذيبه بنفسه كالمرأة المشهورة بالملكة القاهرة في العرب التي هي الزباء بفتح الزاي وتشديد الموحدة والمد وهي ملكة الجزيرة ولم تتزوج أصلا بل استمرت بكرا وانما أشبهها لانها تناولت خاتما مسموما فمصته حتى قتلت نفسها وقالت بيدي لابيد عمرو فكان قتلها لنفسها بسبب ما تناولته بفمها من يدها الماطر بها عمرو ابن أخت جذيمة الابرش خوفا من تعذيبه لها * وحاصل قصتها أن جذيمة بن عامر التنوخي وقيل الازدي وهو أول من ساس العرب وأول من اتخذت له الشمع وأوقدت بين يديه وأول من اجتمع له الملك بأرض العراق بقرأ بالزباء فقتله قبل بعثة عيسى وطردها فلحقت بالروم وجمعت الجيوش واستخلصت من جذيمة ملك أبيها فدعت جذيمة نفسه يتزوجها وكانت أجمل أهل عصرها تطمع فيها وفي

وتعاطوا في أحمد منكر القو
ل ونطق الاراذل العوراء
كل رجس يزيده الخلق السو
ء سفاها والملة العوجاء
فانظروا كيف كان عاقبة القو
م وما ساق البذي البذاء
وجد السب فيه سما ولم يد
ر اذ الميم في مواضع باء
كان من فيه قتله بيديه
فهو في سوء فعله الزباء

(قوله وتعاطوا في أحمد) قال العلامة الصاوي يعني أن هؤلاء الكفرة تعاطوا القول المنكر في أحمد نبينا صلى الله عليه وسلم ومن ايذاء المنافقين له في قولهم يوم الخندق محمد يعد أصحابه أن ينفق كنوز قيصر وكسرى وأحدنا اليوم لايأمن على نفسه أن يذهب الى الغائط وقد حقق الله مقالة نبيه فانفق الله المسلمين كنوز كسرى وقيصر في زمن عمر وعثمان رضي الله تعالى عنهما اه

أو هو النحل قرصها يجلب الحتف اليها وماله انكاء
صرعت قومه حبائل بغي مدها المكر منهم والدهاء
فأتتهم خيل الى الحرب تختا ل وللخيل في الوغى خيلاء
قصدت فيهم القنا فقوافي الطعن منها ما شأنها الايطاء
وأثارت بأرض مكة نقعا ظن أن الغدو منها عشاء

ملكها فأرسل لها فأظهرت له غاية الفرح فشرع في السير اليها فلما دخل عليها قتلته وكان له ابن أخت يسمى عمرا فسار اليها ودخل عليها بحيلة فلما تمكن منها وعرفت أنه قاتلها مصت خاتما في يدها كان مسموما وقالت بيدي لا بيد عمرو فماتت (قوله أو هو النحل) أي هو ذلك البذي في سوء فعله يشبه النحل وبين وجه الشبه بقوله قرصها لغيرها يجلب الحتف أي الموت اليها عقب لسعها والحال أن لسعها ماله انكاء أي ليس له قتل ولا جرح ولا دم ولا تأثير قوي في الملسوع فكل منهما قتل نفسه بما خرج من فيه مع أنه لا مصلحة تعود عليهما انما كان سببا لهلاكهما (قوله صرعت قومه) لما فرغ من بيان عاقبة أهل الكتابين شرع في بيان عاقبة غيرهم من أعدائه فقال صرعت قومه صلى الله عليه وسلم أي ألقتهم قتلى بين يديه حبائل جمع حبالة وهي التي يصاد بها كالشبكة واضافتها الى البغي من اضافة المسبب الى السبب وقوله مدها أي تلك الحبائل اليه المكر منهم وهو ابطان السوء مع اظهار خلافه وقوله والدهاء بالكسر والمد هو جودة الرأي وفي الكلام استعارات ثلاثة مكنيات الاولى من حيث تشبيه القوم الذين حاربوه ومرعوا بين يديه بصيود مصروعة بين يدي الصياد والثانية من حيث تشبيه البغي بشبكة الصائد والثالثة من حيث تشبيه المكر والدهاء بالصائد كما يقتضيه نسبة المد اليها أو بحبال الشبكة التي عدها الصياد حتى يقع فيها الصيد وتخييلية باثبات المد الملازم للمشبه به وترشيحية بذكر الصرع اللائق بالمشبه (قوله فأتتهم) أي فبسبب مكرهم أتتهم من قبله وقوله تختال اي تتبختر بمن راكبوها تيها وعجبا وقوله وللخيل أي النفائس وراكبيها الشجعان وقوله في الوغى أي الحرب وهو متعلق بقوله خيلاء أي كبر وهو ممدوح في الحرب لاغاظة العدو والوغى يكتب بالياء لا بالالف (قوله قصدت فيهم) أي في أبدانهم القنا أي الرماح جمع قناة أي أرادت الطعن فيهم وهذا على حد قوله تعالى جدارا يريد أن ينقض وقوله فقوافي أي فبسبب قصدها له كانت توافي الطعن أي الطعنات المشبهة بقوافي الشعر في تتابعها وقوله منها حال من الطعن أي حال كون ذلك الطعن منها أي من تلك الرماح وقوله ما شأنها أي ما عابها وفي نسخة شأنه أي الطعن لانه لم يوجد فيها فالسالبة تصدق بنفي الموضوع وقوله الايطاء هو تكرار القافية المتحدة لفظا ومعنى فشبه الطعنات الواردة على محل واحد من غير أن تؤثر التالية شيأ لم تؤثره المتلوة بايطاء الشعر وهذا معيب لانه يدل على قصر ساعد الشجاع وعدم تمكنه وتحريره كما أن الايطاء المذكور معيب في المشبه به الذي هو تكرار القافية كما تقدم (قوله وأثارت) أي رفعت تلك الخيل لما ركضت بأرض مكة في غزوة الفتح حين ازدحمت قرب دخولها وقوله نقعا أي غبارا أظلم الجو ولذا قال حتى ظن بالبناء للمفعول أن الغدو أي وقته وهو ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس وقوله منها أي من اجل تلك الخيول التي أثارت ذلك النقع أو من أجل تلك الغبرة المتهوسة من الغبار التي أثارته تلك الخيول وقوله عشاء بكسر العين أي وقتها وهو ما اذا غاب الشفق الاحمر وهذا اشارة الى غزوة الفتح * وخلاصة شيء من قصتها أنه وقع الصلح بالحديبية بينه صلى الله عليه وسلم وبين قريش على ترك الحرب عشر سنين وعلى أنهم لا يتعرضون لمن دخل في عقده ولا يتعرض هو لمن دخل في عقدهم وكان ممن دخل في عقده خزاعة وفي عقدهم بنو بكر وكانوا اعداء بين نفر من بعض بني بكر وبعض خزاعة فاقتتلوا فانتصرت قريش لبني بكر حلفائهم فخرج أربعون من خزاعة حلفائه صلى الله عليه وسلم فأتوا اليه المدينة يخبرونه ويستنصرون به فقال لا نصرت ان لم أنصركم بما أنصر به نفسي فخرج في عشرة آلاف ثم لحقه في الطريق ألفان وكان خروجه لليلتين خلتا من رمضان سنة ثمان فلما كان بقديد عقد الالوية والرايات ودفعها الى القبائل ثم لما نزل مر الظهران مكان قريب من مكة أمرهم أن يوقدوا عشرة آلاف نار فصعد أهل مكة على الجبال فرأوا تلك النيران وخافوا خوفا شديدا لانهم عرفوا أن عندها جيوشا كثيرة لا طاقة لهم بها فأرسلوا أبا سفيان جاسوسا ينظر الخبر فجاء في نفر ثلاثة فأدركه حرس رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذوه ومن معه فأتوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلم بعد تمنع وتهديد وكان العباس قد خرج الى المدينة فوافاه النبي صلى الله عليه وسلم في الطريق

(قوله وأثارت) أي رفعت تلك الخيل لما ركضت في الحرب وقوله بارض مكة متعلق باثارت وقوله نقعا أي غبارا وقوله عشاء أي وقتها وهو غيبوبة الشفق الاحمر ومراد المصنف بيان ما يتعلق بغزوة مكة وخلاصة شيء منها لانها التي حصل بها أعظم فتوح الاسلام وأعز الله بها دينه ورسوله وجنده وحرمه واستبشر بها أهل السماء ودخل الناس في دين الله أفواجا اهـ صاوي

أحجمت عند الحجون وأكدى
عند اعطائه القليل كداء
ودهت أوجها بها وبيوتا
مل منه الاكفاء والاقواء

فاظهر اسلامه ورجع معه فلما أسلم أبو سفيان قال العباس يارسول الله ان أبا سفيان رجل شريف معظم في قومه فاجعل له شأنا وفخرا على قومه ليزداد عزه بك فقال النبي صلى الله عليه وسلم للعباس اجلسه عند حطم الجبل أي عند طرفه حتى ينظر الى المسلمين وتمر به جنود الله فيقوى اسلامه فجلس به العباس فمرت به القبائل كتيبة كتيبة وهو يسأل عن كل واحدة فيبينها له العباس فيقول مالي ولها أي لم يقع بيني وبينها حرب وقال هذا في كتائب غير الانصار فلما مرت به كتيبة الانصار وصاحب رايتها سعد بن عبادة قال له سعد يا أبا سفيان اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الحرمة فلما مرت كتيبة المهاجرين ورسول الله صلى الله عليه وسلم فيها على ناقته القصواء قال له أبو سفيان ما قاله سعد فقال صلى الله عليه وسلم كذب سعد اليوم يوم المرحمة وان الله يعز قريشا هذا اليوم فدخل صلى الله عليه وسلم من أعلى مكة هو ومعظم الجيش وأمر خالد بن الوليد في طائفة قليلة بالدخول من أسفلها وأمره ومن معه أن يكفوا أيديهم الا ان قوتلوا فلما دخل خالد قاتلهم أوباش قريش أي صغارهم وخدمهم فقاتلهم حتى أدخلهم المسجد من باب الحزورة فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال من دخل المسجد فهو آمن ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن وهذا هو الفخر الذي سأله له العباس قبل الدخول ثم لما جاء خالد الى النبي صلى الله عليه وسلم قال له لم قاتلت وقد نهيتك قال كفوا بين يدي ما استطعت فقال قضاء الله خير واذا علمت أن الذي دخل مكة من أعلاها المعظم والاكثر وأن القتال الذي وقع مع خالد في أسفلها لم يبدأهم به وانما بدأه أوباش قريش علمت أن مكة فتحت صلحا وهو معتمد الشافعي رضي الله عنه فساكنها وأرضها املاك لاهلها يجوز لهم فيها التصرف بالبيع وغيره خلافا لابي حنيفة **(قوله أحجمت)** أي كفت وأمسكت عنده أي عند ذلك النقع الذي حصل بمكة لما اجتمعت فيها جنود الاسلام على ما هم فيه من كثرة الخيل والسلاح الداخلون من أعلاها وأسفلها وقوله الحجون بفتح الحاء وهو الجبل المطل على مقبرة مكة المسماة بالمعلاة أي ان الفرقة التي كانت بالحجون وان أثارت قدرا من النقع شبه أكثر السكنه بالنسبة لما في مكة قليل فامسك الحجون عن محاكاة ما بمكة من الغبار وقوله وأكدى أي كف ومنع والمراد بمنعه قلة التراب فيه وقوله عند اعطائه القليل حال من الفاعل الذي هو كداء مقدم عليه والضمير في اعطائه لكداء لتقدمه رتبة وان تأخر لفظا والمصدر مضاف للمفعول وفاعل الاعطاء هو النبي صلى الله عليه وسلم وقوله القليل أي من الناس مفعول الاعطاء الثاني وقوله كداء بضم الكاف والمد لغة قليلة فيه والاكثر كدى بالضم والقصر أي وقيل عبارة كدى الذي هو أسفل مكة لان الفرقة الداخلة منه التي أعطاها صلى الله عليه وسلم كانت قليلة فان قلت هذا البيت وان كان فصيحا لفظا لكنه ركيك معنى اذ لا حاصل له لان من المعلوم أن ما بمكة من مجموع الفرقتين الداخلتين من أعلى وأسفل أكثر من كل منهما ومثل هذا ليس له كبير جدوى قلت بل فيه معنى له جدوى وهو أن دخوله صلى الله عليه وسلم وأكثر أصحابه كان من الحجون والبقية من كدى ووجه أخذه من النظم انه خص اعطاء القليل بكدى فدل على ان الكثير دخل من الحجون وعبارة ابن عبد الحق في بيان معنى البيت أي كفت عند ذلك النقع أهل الحجون عن القتال وامتنع أهل كدى عن القتال بعد قتالهم قليلا اه **(قوله ودهت)** أي أهلكت تلك الخيول وقوله أوجها أي من الناس أي أشرافا على أنه جمع وجيه وصح انه جمع وجه ويكون من التعبير بالجزء عن الكل وقوله بها أي بمكة وهؤلاء الوجوه الذين هلكوا بها هم الذين قاتلوا خالدا فقتلهم وكذا جماعة لم يقاتلوا لكن كانوا يبالغون في ايذائه وهجوه فأمر بقتلهم وان تعلقوا بأستار الكعبة وعدتهم ستة رجال وأربع نسوة وقوله وبيوتا أي وأهلكت بيوتا كان أهل مكة يأوون اليها ويرجعون لاهلها في الرأي وقوله مل بالبناء للمفعول أي سئم منه الاكفاء وهو في الشعر اختلاف بين أواخره كأن يكون بعضه ميما والآخر باء والمراد به هنا الاكفاء تلك الوجوه على الناس لعلها تحميها أو تجيرها وقوله والاقواء أصله من قولهم منزل قواء أو القواء بفتح القاف والواو والمد القفر أي لا أنيس به ثم استعمل في الشعر مرادا به أن تختلف حركات

(قوله أحجمت عنده الحجون) معناه كفت عن القتال عند ذلك النقع الذي حصل بمكة لما اجتمعت فيها جنود الاسلام مع ما فيهم من كثرة الخيل والسلاح الداخلون من أعلاها والحجون فاعل وهو بفتح الحاء الجبل المطل على مقبرة مكة المسماه بالمعلى وهو كداء بالفتح والمد واسناد الاحجام الى الحجون مجاز والذي كف انما هو الفرقة الداخلة منه مع كثرتها وقتلها فلم يقع منهم قتال أصلا اه ساوى

الروي وفي كلامه لف ونشر مرتب فالاكفاء راجع للوجوه والاقواء الذي هو الخلو من الناس راجع للبيوت (قوله فدعوا) أي فبسبب ما حصل لاهل مكة من الخوف الذي ظنوا بسببه أن النبي صلى الله عليه وسلم مهلك لهم عن آخرهم دعوا محمدا أحلم البرية أي الخلق أي طلبوا منه يوم الفتح أن يعفو عنهم ولن لا يعاقبهم بما مضى منهم من الايذاء فاجابهم الى العفو قائلا لا تثريب عليكم اليوم وقوله والعفو أي بما سألوه وقوله جواب الحليم من حلم بالضم اذا ترك الانتقام بحق وقوله والاغضاء أي ارخاء الجفون من الحياء والمراد به هنا الاعراض عن عقوبتهم وعن تفصيل الامور التي وقعت منهم (قوله ناشدوه) بدل من دعوا القربى أي حلفوه أن يصل قرابتهم و يعفو عنهم والقربى على حذف الجار أي حلفوه بالقرابة التي بينهم و بينه أن يعفو عنهم وقوله التي من قريش أي التي وصلت اليهم من سائر بطونهم وهم ولد النضر بن كنانة أحد أجداده صلى الله عليه وسلم وقوله قطعتها حال من القربى وقوله الترات بفوقيتين وكسر الاولى جمع ترة بكسرة التاء وهي مصدر وتر كوعد أي قتل له قتيل ولم يترك دمه نيقال وتر يتر ترة كوعد يعد عدة والجمع ترات كعدة جمعها عدات وقوله والشحناء أي التباغض والتحاسد (قوله فعفا) أي فبسبب تلك المناشدة عفا صلى الله عليه وسلم عنهم عفو قادر لانه كان متمكنا من استئصالهم وقوله لم ينغصه أي لم يكدر ذلك العفو وقوله بما مضى الباء سببية وفي نسخة فيما مضى وهي أظهر والجار والمجرور حال من اغراء الواقع فاعلا من أغريت الكلب بالصيد حثثته على اصطياده أي لم يكدر عفوه عنهم اغراء سفهائهم وجهالهم فيما مضى حال كونه منهم حتى بالغوا في ايذائه بما لا يتحمله مخلوق وسر هذا العفو منه صلى الله عليه وسلم بعد القطع منه أنه ناظر الى الله دون غيره ولذا قال واذا كان الخ (قوله واذا كان القطع والوصل لله) هو حاله صلى الله عليه وسلم وقوله تساوى أي عند فاعل ذلك التقريب أي للاقارب والاباعد وقوله والاقصاء أي للاقارب والاباعد فلم يميز بين قريب ولا أجنبي بل من أجاب الدعوة قربه ولو كان أجنبيا ومن أبى أبعده ولو كان قريبا (قوله وسواء) مبتدأ خبره الملام والاطراء أو بالعكس وقوله فيما أتاه وقوله من سواه حالان من الملام والاطراء وسواء بفتح السين والمد بمعنى مستو وقوله عليه أي على الشخص الذي تقريبه واقصاؤه لله لا غير وأجل من اتصف بهذه المرتبة نبينا صلى الله عليه وسلم وقوله الملام أي بالسب والتنقيص وقوله والاطراء أي المبالغة في المدح أي سواء عليه اللوم والاطراء حال كونهما مندرجين فيما أتاه من غيره من خير وشر أي استوى عنده مدح الغير وذمه (قوله ولو ان انتقامه) أي غضبه واستيفاء مقتضاه وقوله لهوى النفس أي الامارة بالسوء والمطبوعة على التكبر على الغير وحب التميز عليه بما يقهره ويذله وقوله قطيعة أي للرحم وقوله وجفاء أي ابعاد للاقارب ولكنه لم يكن كذلك وانما كان لله فقطعهم حيث قطعوا ما أمر الله أن يوصل ووصلهم غير ناظر لما سبق منهم من قتل أصحابه والتمثيل بهم وغير ذلك حيث وصلوه بامتثال أوامره واجتناب نواهيه (قوله قام لله) أي لا لهوى ولا لحظ ولا لرعاية رحم أو صديق وفي نسخة بالله أي مستعينا به وقوله فارضى الله الفاء سببية وقوله منه متعلق بأرضى أو حال من فاعله وهو تباين أي لاعداء الله وقوله ووفاء أي لاولياء الله من غير تعد بل على حظ سوى رضا الله (قوله فعله كله جميل) أي لصدوره عن قوانين الاعتدال وموازين الكمال وقوله وهل ينضح استفهام انكاري أي وما يسيل على ظاهره بما فيه وقوله الا بما حواه هذا الضمير عائد على الاناء الواقع فاعلا أي وما ينضح لاناء الا بما حواه أي الا بما فيه فمن امتلأ قلبه خيرا كانت أفعاله المشبهة بما ينضحه الاناء كلها خيرا ومن امتلأ اناء قلبه شرا كانت أفعاله كلها شرا وليس أحد متحليا بجمالي هذه الصفات الباهرة كنبينا وهذا تلميح الى المثل السائر وهو * وكل اناء بالذي فيه ينضح (قوله اطرب السامعين) أي سرهم وأفرحهم ونشطهم الى محبته ذكر علاه لانهم يجدون لذلك راحة تفوق راحة الخمر وقوله يا للراح يا حرف استغاثة ولذا فتحت اللام في المستغاث وهو قوله لراح والمراد به الخمر سميت بذلك لان شاربها يستريح ويرتاح من هموم الدنيا والآخرة

فدعوا أحلم البرية والعفـ
ـو جواب الحليم والاغضاء
ناشدوه القربى التي من قريش
قطعتها الترات والشحناء
فعفا عفو قادر لم ينغصـ
ـه عليهم بما مضى اغراء
واذا كان القطع والوصل لله
تساوى التقريب والاقصاء
وسواء عليه فيما أتاه
من سواه الملام والاطراء
ولو ان انتقامه لهوى النفـ
ـس لدامت قطيعة وجفاء
قام لله في الامور فارضى الله
منه تباين ووفاء
فعله كله جميل وهل ينـ
ـضح الا بما حواه الاناء
أطرب السامعين ذكر علاه
يا للراح مالت به الندماء

(قوله فعفا الخ) قال العلامة الصاوي وخلاصة ما أشار اليه الناظم أنه صلى الله عليه وسلم لما كان الغد من يوم الفتح قام خطيبا في الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض وهي حرام بحرمة الله الى يوم القيامة لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دما أو يعضد بها شجرة فان أحد ترخص لقتال رسول الله فقولوا ان الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم وانما أحلت لي ساعة من نهار أي من الفجر الى العصر وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالامس فليبلغ

مادام سكرانا بها وقوله مالت أى سكرت وتواجدت به أى بذلك الراح المستعار لذكر علاه فهو مذكر لفظا ومعنى وقوله الندماء أى شراب الخمر سموا بذلك لانهم يتنادمون أى يتخاطبون عليها بالاشعار التى فيها مدحها وغير ذلك وفى هذا استعارة تصريحية لانه شبه ذكر علاه فى اطرابه لسامعه بالراح فى اطرابها الشاربها ثم قرن بذلك مايلائم المستعار منه وهو الميل والندماء فيكون ترشيحا (قوله النبى الامى) أى هذا الموصوف بهذه المعالى الذى أطرب السامعين ذكر علاه النبى الامى نسبة الى الام وهو من لايكتب ولايقرأ المكتوب كانه على أصل ولادة أمه أو مثلها اذ الغالب فى النساء عدم الكتابة وقوله أعلم من أسند عنه الرواة أى أعلم الانبياء والمرسلين الذين أسند أى روى عنهم الرواة والحكماء أى العلماء الذين يضعون كل شئ فى محله فهو من عطف الاخص على الاعم (قوله وعدتنى الخ) لماقدم كثيرا من أوصافه صلى الله عليه وسلم وأحواله وسيره ومعازيه انتقل بطريق اللطيف الى ذكر دار مولده ومبعثه ودار هجرته لانهما تشرفا به على سائر الامكنة والى ذكر زيارته وتأكدها فقال كانيا عن منة الله عليه بالسارته الى أنه تعالى هيأ له أسباب تلك الزيارة من الزاد والراحلة الموصوفة بالصفات الحسنة الآتية حتى كأنها تخاطبه وتقول له اركب على ظهرى فانى أحملك ذهابا وايابا مع السلامة والراحة فقال وعدتنى ازديارة أى النبى صلى الله عليه وسلم أى زيارته أى بزيارته فهو منصوب على نزع الخافض والازديار افتعال من الزيارة ابدال الدال من التاء فى نحو ذلك مطرد وقوله العام أى فى هذا العام وقوله وجناء أى ناقة قوية من الوجن وهى الارض الصلبة وقوله ومنت أى أنعمت بوعدها أى موعودها وقوله الوجناء أى المذكورة وهذا كما علم مما وطئت به أولا كناية منه عن نيته الزيارة فى تلك السنة واعداده ذلك المركوب لها فهو اخبار عن لسان حال ذلك المركوب ربما تقرر علم أن أل فى الوجناء للعهد الذكرى (قوله أفلا أنطوى) الهمزة داخلة على مقدر وهو المعطوف عليه بالفاء أى أيليق بى أن أترك تلك الزيارة أو أتباطأ عنها فلا أنطوى أى أحسن ضم نفسى على تلك الراحلة التى منت على بما ذكر وقوله لها أى لاجلها أى لسهولة سيرها وان حسن سير المركوب من حسن ركوب راكبه وقوله فى اقتضائيه فى سببية أى بسبب اقتضائى أى طلبى منها ذلك الموعود به فالمصدر مضاف لفاعله وهو ياء المتكلم والهاء مفعوله وقوله لتطوى بالبناء للفاعل أو للمفعول والاول أولى اذ لا يلزم عليه زيادة ما بخلاف الثانى وقوله ما بيننا أى المسافة البعيدة التى بيننا أى بينى وبين ذلك القبر المكرم فما مفعول والافلاء فاعل والافلاء جمع فلاء وفلاء جمع فلاة فالافلاء الذى فى النظم جمع الجمع والفلاة المكان القفر والمفازة التى لاماء فيها ولا يلزم على بناء الفعل المذكور للفاعل وأن الافلاء جمع اتحاد الفاعل وهو الافلاء والمفعول الذى هو المسافة البعيدة وذلك لانهما مختلفان بالاعتبار بل وبالحقيقة اذ المطوى تلك المسافة المطوية من حيث كونها مفعولا الى كونها سيرا بعيدا ومن حيث كونها فاعلا الى أنها أمكنة مقفرة ولاشك أن السير غير محله هكذا قرر الشارح فصحح المغايرة بين الفاعل والمفعول لكن المعنى عليه لايستقيم اذ حاصله أن تلك المسافة من حيث كونها أمكنة مقفرة تطوى نفسها من حيث السير الحال فيها أى تطوى السير الحال فيها ولايخفى أن المناسب العكس بأن تجعل تلك المسافة من حيث السير الذى فيها طاوية لها من حيث انها أمكنة مقفرة فان السير هو الذى يطوى المسافة وليست هى تطويه فتأمل فالاولى بل المتعين بناؤه للمفعول وزيادة ما والمعنى عليه لتطوى الافلاء حال كونها بيننا والفاعل المحذوف السير أو الراحلة المذكورة فتأمل (قوله بألوف) أى براحلة ألوف صيغة مبالغة من ألف كعلم وهذا الجار متعلق بتطوى وكان القياس الاضمار بأن يقول بها لكنه عدل الى الظاهر لاجل التوصل الى وصفها بهذا الوصف المادح لها وقوله البطحاء أى المعهودة ذهنا وهى مكة وتوابعها والابطح والبطحاء مسيل الماء بين الجبال اذا كان فيه دقاق الحصا وهذا الوصف وما بعده من صفات الراحلة انما هو تركيبها أبرزه على لسان حالها مبالغة فى أنه من تلك الاوصاف بحيث لو كان براحلته ادراك لكانت منزلة فيها

النبى الامى اعلم من أسـ
ـند عنه الرواة والحكماء
وعدتنى ازدياره العام وجنا
ءومنت بوعدها الوجناء
أفلا انطوى لها فى اقتضائيـ
ـه لتطوى ما بيننا الافلاء
بألوف البطحاء يجفلها النيـ
ـل وقد شف جوفها الاظماء

الشاهد الغائب ثم قال يامعشر قريش ماترون انى فاعل بكم قالوا خيرا أخ كريم وابن أخ كريم فقال اذهبوا فأنتم الطلقاء أى من الاسر والاسترقاق اه (قوله النبى الامى) نسبة الى الام وهو من لايكتب ولايقرأ المكتوب كانه على أصل ولادة أمه وقيل نسبة لام القرى أى مكة ومع كونه لايقرأ ولايكتب أطلعه الله على علوم الاولين والآخرين وجعله القدوة العظمى لكل مخلوق فى كل علم وحلم وحكمة وحسن خلق وسائر أوصاف الكمال وهذا مقتبس من قوله تعالى الذين يتبعون الرسول النبى الامى الآيات اه ساوى

لما تشاهده من حاله وقوله يجفلها بضم أوّله وسكون ثانيه وكسر ثالثه أى يزعجها و يقلقها النيل أى أرض مصر أى تجفل عن الاقامة بها مع أنها وطنها ومرباها لشدة شوقها الى التملى بتلك الانوار والتعفر بتراب تلك الآثار وقوله وقد نشف أى والحال أنه قد نشف أى شرب رطوبة جوفها أو أنحل جوفها الاظماء بكسر الهمزة أى شدة العطش فى طريقها فهى راضية بهذه المشقة المؤدية الى التلف فى جنب ما أملته فى تلك الحضرة من مزايا الانعام (قوله أنكرت مصر) أى فلاجل الفها بالسير والبطحاء أنكرت مصر أى نفرت منها لانها لا تؤمل فيها من تلك المواهب العلية معشار ما أملته فى تلك الحضرة النبوية وقوله فهى تنفر أى فبسبب هذا الانكار المسبب عن ذلك الامل تنفر بكسر الفاء وضمها أى تجد فى الهرب من مصر الى تلك الحضرة العلية وقوله مالاح ما مصدرية ظرفية أى ظهر من أرض مصر بناء لعينها وقوله أو خلاء أى فضاء ولا ينافى هذا قوله بألوف البطحاء لان المعنى أنها ألفها لتقطعها حتى تصل الى مطلوبها فكلما قطعت فضاء ومفازة نفرت منها وكرهتها خوفا أن تقيم فيها فتتعطل فيها عن وصول مطلوبها والحاصل أنها ألفها قبل قطعها لتقطعها وتكرهها بعد قطعها خوف الاقامة فيها (قوله فأفضت) بتشديد الضاد المفتوحة من الفضيض وهو الماء العذب أو السائل أى فاضت وكثرت وسالت على مباركها أى المواضع التى تبرك فيها تلك الناقة وقوله بركتها بضم الباء الموحدة هى أوّل منزلة من منازل الحاج يجتمع فيه الحجاج ليتهيؤا للسفر سميت بذلك لان ماء النيل يأتى اليها فيمكث فيها زمانا طويلا وكانت قبل ذلك فضاء صرفا فعمر فيها القطب الربانى المتبولى رضى الله عنه من نحو سبعين سنة جامعا ثم جعل فيه مجاورين يقرؤن القرآن فعادت بركته عليهم وهذا شروع فى ذكر دور الحجاج ومنازلهم وذكرها هنا ثمانية وعشرين وقوله فالبويب كلام مستقل غير معطوف على ماقبله وهو مبتدأ خبره محذوف أى فبعد البركة البويب والحامل على هذا أن العطف يقتضى أن العامل الذى هو أفضت مسلط على المعطوف فيقتضى أن فى البويب ماء فيفيض على مباركها مع أنه ليس كذلك لانه مكان أقفر لاماء به وكأنه اراد بالبويب المكان المعروف الآن بالدار الحمراء لا المعروف الآن بالبويبات لان هذا قريب من البركة وليس من منازل الحج كما هو ظاهر وقوله فالخضراء هى المحل المسمى الآن بعجرود وفيه بئر ماء مر مسهل بجانبه بركة أى فسقية تملأ من ذلك البئر ومؤنتها على بيت المال (قوله فالقباب) أى الوادى المسمى بوادى القباب وهو المعروف الآن بوادى التيه وفيه كيمان رمل كثيرة فشبهت لارتفاعها وبياضها بالقباب البيض الحسنة وقوله فبئر النخل هو المعروف الآن بنخل وفيه بركة ماء أيضا وماؤها أحسن من الذى قبلها بكثير ولذا قال والركب قائلون عنده ذلك الماء أى مستريحون ونازلون وقت القيلولة وقوله رواء أى من الماء بكسر أوّله جمع ريان (قوله وغدت ايلة) اى عقبتها وترك منزلة بل منزلتين وهما العلايا وسطح العقبة وقوله وحقل بكسر الحاء وسكون القاف محل قريب من العقبة تسميه العامة دار حقل وليس هذا من المنازل لانه بجنب العقبة وقوله وقر بضم القاف والراء المشددة وهذا الاسم غير معروف الآن ولعله أراد به المكان المسمى بظهر الحمار وقوله خلفها أى الناقة أى لكونها جاوزتها وقوله فالمغارة الفيحاء أى الواسعة كأنه أرادبها المحل المعروف الآن بمغاير شعيب نسبة لشعيب النبى عليه الصلاة والسلام وعلى هذا يكون ترك منزلة وهى الشرفة وأم العظام (قوله فعيون الاقصاب) سمى المكان بذلك لكثرة ما فيه من القصب الفارسى أى البوص والغاب وقوله يتبعها النبك بفتح النون وسكون الباء وهذا أيضا ليس مشهورا الآن ولعله أراد به المكان المسمى بنبط وفى القاموس النبك بالنون فالموحدة بلد بين حمص ودمشق وقوله ويتلو كفافة فاعل والمفعول محذوف أى ويتلو النبك كفافة وهذه المنزلة معروفة الآن بسلمى وكفافة وبها قبر ولى يسمى مرزوقا مشهور والبركة وله ذرية كثيرة مشهورون بالصلاح وللحجاج فيه اعتقاد وتعظيم خارج عن الحد وقوله العوجاء أى المنحرفة عن جادة الطريق (قوله حاورتها) بالحاء المهملة من المحاورة وهى المكالمة

أنكرت مصر فهى تنفر مالا
ح بناء لعينها وخلاء
فأفضت على مباركها بر
كتها فالبويب فالخضراء
فالقباب التى تليها فبئر النـ
ـخل والركب قائلون رواء
وغدت ايلة وحقل وقر
خلفها فالمغارة الفيحاء
فعيون الاقصاب يتبعها النبـ
ـك ويتلو كفافة العوجاء
حاورتها الحوراء شوقا فينبو
ع فرق الينبوع والحوراء

(قوله فأفضت الخ) قال العلامة الصاوى أى سالت عن المواضع التى تبرك فيها بركتها هى أوّل منازل الحاج الخارج من مصر فالمصنف شارع فى ذكر المنازل التى بين مصر ومكة وحاصل التى ذكرها ثمانية وعشرون على عدة منازل القمر لكن منها ما هو مشهور الآن ومنها ما هو غير مشهور اهـ

(قوله حاورتها الخ) قال العلامة الصاوى وقوله حاورتها الحوراء ترك منازل خمسة قبلها وهى الازلم واصطبل عنتر والوش وعكرة والحنك فالحوراء بعد هذه الخمسة اهـ

والحادثة أي تحدثت معها أي مع تلك الناقة الحوراء بفتح الحاء أي المكان المعروف عند الناس بالحوراء بضم الحاء أي تحدثت مع الناقة في شأن ما هي بصدده وهو الزيارة لأن من أحب شيئاً أكثر من ذكره وقوله شوقاً أي منها أي من الحوراء لما اشتاقت اليه الناقة وهو التملي لتلك الحضرة وقوله فينبوع أي حاورها أيضاً شوقاً وهو المحل المشهور الآن بينبع وقوله فرق أي فبسبب تلك المحاورة والحادثة مع الناقة رق الينبوع والحوراء المذكوران أي مالا وحنا للزيارة ومشاهدة مقصد الناقة (قوله لاح) أي ظهر بالدهنوين أي فيهما تثنية دهناء والموجود الآن محل واحد يسمى بالدهناء فلعل التثنية لاحظ فيها أن بجنب الدهناء مكاناً آخر فغلب اسمها عليه وثناهما وقوله بدر هو المكان المشهور الذي كان فيه الوقعة المشهورة وفي ذكره تورية مرشحة بلاح المناسب للمعنى الغير مراد وهو القمر وقوله لها أي لتلك الناقة وقوله بعد حنين وفي نسخة قبل حنين وحنين هذا جبل صغير قريب بدر لا حنين المذكور في القرآن اذ ذاك مكان بين مكة والطائف ليس بطريق الحاج وقوله وحنت أي لتلك الناقة وما هي فيه من السير والتوجه لديار الاحباب الصفراء هي قرية معروفة منحرفة عن طريق أهل مصر في الذهاب الى مكة لا يمرون عليها الا بعد رجوعهم من مكة وتوجههم للمدينة المشرفة وفي بدر آية باقية من آياته صلى الله عليه وسلم وهي سماع صوت هائل كصوت طبل الحرب في الجو اشتهر على الالسنة ان هذا لأجل نصرته صلى الله عليه وسلم والفرح به وقد أنكره قوم فقالوا لا حقيقة له وانما هي أصوات الريح تسمع في ذلك الوادي عند قوة هبوبها حقيقة لأن في أوله جبلين عظيمين من الرمل فاذا مشى الانسان بينهما وقوي عصف الريح يسمع ذلك الصوت وقال آخرون بل له حقيقة لأنا ذهبنا الى ذلك المحل وأقمنا به حتى سمعناه والجو ساكن لا ريح فيه البتة وتكرر سماعه المرة بعد المرة اهـ وأقول وقع لي أيضاً سماعه مرات متعددة في سفرات متعددة حيث لا ريح ولا حركة ركاب ولا مشاة ولقد كنت في بعضها رافقاً لجمع جم من وجوه مكة ورؤسائها وعلمائها من المالكية والشافعية والحنفية فجرى الكلام بينهم في ذلك فمنهم من أنكره ومنهم من أثبته ثم وقع الاتفاق على الذهاب لذلك المحل والرقي الى أعلى أحد الجبلين ليحتاط بسبب ذلك الصوت فذهبنا وأقمنا عليه نحو ربع النهار ونحن لا نسمع شيئاً وقد هدأ الريح ولا أحد ثم غيرنا وليس لأحد منا حركة ففي آخر الامر سمعنا ذلك الصوت الهائل مرة واحدة فقط فانصرفنا في المنكرين من رجع عن انكاره ومنهم من أصر عليه وجاءنا رجل دقيه ساكن ببدر يؤذن ويؤم بمسجدها فسألناه عن ذلك فحلف أنهم ليلة الاثنين والجمعة يسمعون ذلك من أول الليل الى آخره وفي غيرهما لا يسمعونه الا أحياناً والله أعلم بحقيقة ذلك (قوله ونضت) بفتح النون والضاد المعجمة أي خلعت وأزالت بزوة بفتح الباء وسكون الزاي وفتح الواو وهي المتسع من الارض ولعلها هي ما هو المشهور الآن عند الحجاج بالقاع وقوله والجحفة محل بعد رابغ قريب منها كان بلدة مشهورة تسكنها اليهود فدعا صلى الله عليه وسلم ربه أن ينقل حمى المدينة اليها فنقلت اليها وخرجت من المدينة في صورة امرأة عجوز سوداء ثائرة الشعر وهي تصيح وتعول بالويل فقدم بعض الصحابة من سفر فقال له صلى الله عليه وسلم ما رأيت في طريقك قال رأيت امرأة سوداء ثائرة الشعر تنادي بالويل والثبور فقال صلى الله عليه وسلم تلك الحمى نقلها الله الى الجحفة نزلت بي اليوم وقطعتهم وقوله عنها أي عن تلك الناقة لما أنها استبشرت بقرب المقصد وقوله ما حاكه مفعول نضت أي ثوب التعب الذي حاكه أي نسجه الانضاء أي الهزال أي ان تلك الاماكن الثلاثة أزالت عن تلك الناقة أثر التعب والنصب لفرحها بقرب المقصد فجبر فرحها أثر تعبها السابق وفي الكلام استعارة مصرحة حيث شبه أثر الهزال وهو استرخاء المفاصل والتعب بثوب وعبر عن ذلك الثوب بما فالاستعارة في لفظ ما الواقعة على الثوب نهذا على حد فأذاقها الله لباس الجوع والخوف فالمشبه أمر معنوي والمشبه به أمر حسي (قوله وارتها) أي أبصرت تلك الناقة الخلاص من التعب أي صيرتها وجعلتها تبصر الخلاص من التعب فالهاء مفعول أول والخلاص مفعول ثان وبئر علي وما عطف عليه فاعل أي ان

لاح بالدهنوين بدر لها بعد حنين وحنت الصفراء
ونضت بزوة فرابغ فالجحفة عنها ما حاكه الانضاء
وارتها الخلاص بئر علي فعقاب السويق فالخاصاء

(قوله والجحفة الخ) قال الامام السمهودي والجحفة مكان بعد القاع بمراحل وكانت الجحفة دار اليهود فدعا صلى الله عليه وسلم بنقل حمى المدينة اليها فكان لا يمر بها أحد حتى الطائر الا حم وهي ميقات الحجاج المتوجهين من هذه الطريق كما صح به الخبر اهـ

هذه

هذه الاماكن الثلاثة جعلت تلك الناقة مبصرة لخلاصها من التعب لانها قريبة من المقصد جدا ولعل المراد ببئر على البئر المشهور الآن فى عسفان ببئر التفلة وقوله فعقاب السويق هذا المكان غير معروف الآن بهذا الاسم وقوله فالخلصاء بفتح الخاء وسكون اللام المحل المشهور الآن بخليص وفيه عين ماء واسعة وبركة كبيرة (قوله فهى) أى تلك الناقة وقوله وعسفان بضم العين المكان المشهور وقوله أو من بطن مر اى أو من علف بطن مر أو من حشيش بطن مر وهذا التقدير أنسب من تقدير الشارح الماء لانه لا يناسب قوله خمصاء وهو بفتح الميم وكسر الراء المشددة المنونة ويسمى مر الظهران مكان قريب من مكة وقوله ظمآنة أى عطشانة وقوله خمصاء أى جوعانة لشدة فرحها وشوقها فاشتغلت بهما عن الاكل والشرب حتى حصل لها الظماء والجوع وهى لا تدرى عن نفسها لاشتغالها بلذة الوصول (قوله قرب الزاهر) مكان مشهور قبيل ذى طوى فى داخل الحرم وقوله المساجد أى المحل المعروف بمساجد عائشة بالتنعيم على طرف الحرم وقوله منها اى من الناقة أى ان وصولها للمساجد جعل الزاهر قريبا منها لان المسافة بينهما نحو ميلين وقوله بخطاها أى بسبب شدة جريها لما احست بالوصول وقوله فالبطء منها اى الحاصل منها وقوله وحاء بمهملة قبلها واو مفتوحة اى سرعة وكان مراده أنها لما أحست بالوصول انقلب بطؤها سرعة بمعنى أن بطأها زال وخلفته سرعة شديدة (قوله هذه) أى المنازل المذكورات وهى ثمانية وعشرون فى كلامه وقوله عدة المنازل أى بين مصر ومكة أى المنازل المعول عليها والنافعة لسالك بها تعلم طريق الوصول الى تلك المعاهد ويتضح سلوك الوافد وينشط ببيانها القاصد وقوله لاما عد فيه أى لا المنازل التى عد فيها السماك والعواء أى لا منازل القمر الثمانية والعشرون وقوله عد فيه الضمير راجع لما التى هى عبارة عن منازل القمر الثمانية والعشرين فتذكيره باعتبار لفظ ما وقوله السماك بكسر السين المشددة والمراد به الاعزل اذ هو الذى من منازل القمر ولهم سماك آخر يسمى سماك الرامح لكنه ليس من المنازل وقوله والعواء بفتح العين والواو المشددة وهى منزلة من منازل القمر وتلك المنزلة خمسة أنجم والمعنى أنه لا يعتد ولا يعتبر ولا يعوّل على هذه المنازل التى للقمر وانما المعتبر والمعوّل عليه هو منازل الحاج الى مكة (قوله فكأنى بها) أى حال كونى بها أى على تلك الناقة فالباء بمعنى على وقوله أرحل بالبناء للمفعول اى أنقل وأتحول من مكة الى عرفة الى مزدلفة الى منى وقوله شمسا حال من الهاء أى حال كون تلك الناقة شمسا أى كالشمس فى رفعتها أى رفعة قصدها وفى توتسيرها لما عندها من عظيم الشوق فشبه الناقة بالشمس على سبيل الاستعارة التصريحية وقوله سماؤها أى سماء تلك الشمس التى أريد بها الناقة البيداء أى المفازة الواسعة فشبه البيداء التى هى محل سير الناقة بالسماء التى هى محل سير الشمس بجامع السعة فقوله سماؤها البيداء من التشبيه البليغ أى البيداء بالنسبة اليها كالسماء (قوله موضع البيت) لما ذكر مكة استطرد ذكر ما شرفها الله به على سائر البلاد فقال موضع البيت أى الكعبة بالجر بدل من مكة أو بالرفع خبر مبتدا محذوف وقوله مهبط الوحى فيه الوجهان المذكوران أى محل نزوله على رسوله ثلاث عشرة سنة والوحى لغة الاشارة وكل كلام خفى وشرعا ما جاء به النبى عن ربه على لسان الملك أو بالالهام أو فى النوم أو الالقاء فى الروع بضم الراء أى القلب وقوله مأوى الرسل أى منزلهم من أوى فلان بالقصر الى منزله وأما آوى بالمد فهو بمعنى دخل وليس مرادا هنا وقوله الرسل بل وسائر الانبياء وقوله حيث الانوار حيث ظرف مكان والانوار مبتدأ خبره محذوف أى حيث الانوار الالهية منزلة ثم وقوله حيث البهاء أى الحسن المعنوى حاصل والمراد به حصول ملائم النفس من الحكم والمعارف على أهل هذه الحضرة الالهية والمعاهد الربانية (قوله حيث فرض الطواف) أى حاصل وانما يكون فرضا اذا كان فى ضمن حج أو عمرة أما بدونهما فهو مندوب وهو أفضل أركان الحج عند الرملى وعند ابن حجر أفضلها الوقوف وقوله السعى بالرفع عطف على فرض وكذا يقال فيما بعده ويقدر لكل ما يناسبه أى وحيث السعى أى حيث فرضه وقوله والحلق

فهى من ماء بئر عسفان او من
بطن مر ظمآنة خمصاء
قرب الزاهر المساجد منها
بخطاها فالبطء منها وحاء
هذه عدة المنازل لا ما
عدّ فيه السماك والعواء
فكأنى بها أرحل من مكـ
ـة شمسا سماؤها البيداء
موضع البيت مهبط الوحى
مأوى الر
رسل حيث الانوار حيث البهاء
حيث فرض الطواف
والسعى والحلـ
ـق ورمى الجمار والاهداء

(قوله مأوى الرسل) قال العلامة الصاوى وقوله مأوى الرسل أى منزل الرسل الكرام بل والانبياء لانه ما من نبى الاوحج البيت كما فى الحديث واستثناء صالح وهود لاشتغالهما بأمر قومهما لم يصح اهـ

كذلك وقوله ورمي الجمار أي وحيث رمي الجمار أي ايجابه لا على جهة الركنية وقوله وحيث الاهداء أي سوق الهدي الى مكة أي حيث هو مندوب فهو سنة مؤكدة ولو لغير الحاج والمعتمر وقد كانت هذه السنة مشهورة في زمن السلف ثم تناساها الناس وأعرضوا عنها بالكلية (قوله حبذا حبذا) تأكيد لفظي وقوله معاهد جمع معهد وهو في الاصل المنزل الذي يعود اليه مفارقوه دائما وهذه المواضع كذلك لان من فارقها يعود اليها بالفعل تارة و بالعزم أخرى وقوله منها أي من مكة أي حبذا معاهد امتازت على بقية مكة كالمسجد ودار خديجة والصفا والمروة وغير ذلك وقوله وآياتهن أي علاماتهن الدالة على شرفهن من تعظيم الامة لهن وازدحامهن على التبرك بزيارتهن والقيام بحقوقهن وقوله البلاء بفتح الباء الموحدة وهو في الاصل انمحاق الشر وذهابه اللازم له طول المدة وهو المراد هنا أي طول المدة الذي من شأنه أن يغير الاشياء عما هي عليه وذلك لان الله صانها عن التغير لحرمتها لديه وفضلها عنده وليستمر لهذه الامة التمتع بها الى آخر الدهر (قوله حرم) أي محترم بحرمة الله تعالى من يوم خلق الله السموات والارض كما في الحديث الصحيح وهو خبر مبتدا محذوف أو بدل من موضع البيت بدل كل من بعض وهذا القسم اختار السيوطي في الاتقان وفي الهمع ثبوته خلافا لجمهور النحاة وحدود الحرم معروفة في كتب المناسك وقوله آمن أي يأمن من فيه من شن الغارات واستباحة الحرمات بل كان الانسان يرى قاتل أبيه فيه فلا يتعرض له ولم تعد فيه دابة على دابة وهذا في الجاهلية وأما في الاسلام فالمراد أمن صيوده وشجره ونباته ولقطته وترابه من أن يتعرض أحد اليها بقتل أو قلع أو قطع أو تملك أو نقل الا ما استثنى وقوله و بيت حرام أي ذو حرمة باهرة وعزة قاهرة وقوله ومقام بفتح الميم وهو الحجر الذي نزل لابراهيم الخليل من الجنة ليقوم عليه أي ليقف عليه عند بنائه الكعبة اذا طال البناء فكان يعلو به الى أن يضع الحجر في محله ثم يقصر به الى أن يتناول الحجر من اسماعيل وفيه أثر قدميه الكريمتين وهو الذي نادى عليه لما فرغ من بناء الكعبة أيها الناس ان الله بنى لكم بيتا فحجوا اليه فسمعته النطف في الاصلاب والاجنة في الارحام فأجابوه لبيك وفي رواية انه نادى على الحجون ولا تنافي لاحتمال انه نادى مرتين واختلفوا في موضعه الموجود فيه اليوم هل هو الذي كان به في زمن النبي صلى الله عليه وسلم أولا وانما كان عند باب الكعبة فرده عمر الى موضعه اليوم باجتهاد منه قولان أصحهما الاول وأما القول بانه هو الحجر الذي وضع عليه رجليه لما اغتسل عند زوجة اسمعيل بعد موت هاجر فهو قول غريب لم يثبت وقوله فيه أي البيت أو الحرم ولا يمنع عوده للمقام لانه ليس محل اقامة وقوله المقام بضم الميم وجوز بعضهم فتحها أي الاقامة وقوله ثلاء بفتح الفوقية أي جوار لمحل تنزل الرحمات واقالة العثرات وكأنه أخذ هذا من أن أهل مكة يسمون جيران الله أي جيران بيته وحرمه (قوله فقضينا) أي أدينا اذ القضاء يأتي على الاداء لغة وقوله بها أي بمكة وما ينسب اليها كعرفة ومزدلفة ومنى وقوله مناسك جمع منسك بفتح السين من النسك وهو العبادة أي أركان الحج والعمرة و واجباتهما وسننهما وقوله لا يحمد الخ أي لا يحمد الاداء حمدا مخصوصا في فعل عبادة الا في فعلهن كيف وقد تميزن ببر الحج المتكفل بالجنة من غير عمل آخر وبخروج فاعله من الذنوب كيوم ولدته أمه وبكونه أشعث أغبر وبنزعه من مألوفاته الحسية والمعنوية وفراقه لاهله ووطنه وتكفير تبعاته على ما فيه من الخلاف وبكونه لا يضع قدما أو يرفعها الا كتب الله له من الثواب ما لا يحيط به الا المتفضل به و بقولي مخصوصا يندفع ما يرد على الناظم من أن غير الحج سواء كان أفضل منه أو مساويا له أو مفضولا عنه يحمد فاعله أيضا وعبارة ابن عبد الحق أي لا يحمد الاداء الا في فعلهن لا في تركهن فالحصر اضافي (قوله ورمينا بها) أي الناقة وقوله الفجاج جمع فج بفتح الفاء وضمها وهو الطريق أي أرسلناها في الطرق تسير بنا الى طيبة المدينة المشرفة ولها أسماء كثيرة وقوله بالمطايا جمع مطية وهي الدابة سميت بذلك لانها تمطو أي تجد في سيرها وقوله رماء بكسر الراء مصدر رامية والمراد أصل الفعل أي يشبه سيرها سير السهم اذا رمي به في السرعة (قوله فأصبنا) أي فبسبب

حبذا حبذا معاهد منها
لم يغيرآياتهن البلاء
حرم آمن و بيت حرام
ومقام فيه المقام تلاء
فقضينا بها مناسك لا يحـ
ـمد الا في فعلهن القضاء
و رمينا بها الفجاج الى طيـ
ـبة والسير بالمطايا رماء
فأصبنا عن قوسها غرض القر
ب ونعم الخبيئة الكرماء

(قوله ولم تعد فيه دابة على دابة) عبارة الصاوي ولما شمله الطوفان لم تعد فيه دابة على دابة وكان رجل من قوم أبرهة فيه فلم يصبه من رمي الابابيل شئ حتى خرج منه هذا في الجاهلية وأما بعد بعثته صلى الله عليه وسلم فالمراد أمن بصيده وشجره ونباته وترابه عن أن يتعرض أحد اليها بقتل أو قطع أو قلع أو نقل الا ما استثنى انتهت

أن سيرها شبه سير السهم أشبهت القوس وحينئذ فاصيدًا عن قوسها غرض القرب أى المدينة المشرفة المشبهة
بالغرض فى كونه المقصود بالرمى كما أنها المقصودة بالسير والاضافة فى قوسها من اضافة المشبه به للمشبه وقوله
ونعم الخبيئة بالخاء المعجمة والهمز أى الذخيرة والمراد بها الناقة وقوله الكوماء أى العظيمة السنام وهذا هو
المخصوص بالمدح واعرابه مشهور (قوله فرأينا) أى أبصرنا أرض الحبيب المدينة وما حولها التى تشرفت
بالحبيب أى حبيب رب العالمين وحبيب المؤمنين وقوله يغض بضم الغين أى يخفض وقوله الطرف مفعول
به وقوله منها أى من تلك الارض ومن تعليلية أى من أجل الجلالة التى حفتها وقوله الضياء فاعل أى النور
الحسى والمعنوى وقوله واللألاء أى البرق اللامع على صفحاتها المشار به الى مواهب الحق الفائضة على
الزائرين (قوله فكأن البيداء) أى من تلك الارض وهى اسم لمحل قريب من ذى الحليفة المشهور بابيار على
وقوله من حيثما من زائدة وكذلك ما وقوله قابلت العين أى الناظرة اليها وقوله غناء بفتح الغين والنون
المشددة أى كثيرة العشب والنبات والازهار والثمار (قوله وكأن البقاع) أى الاماكن اللاتى حول المدينة
المنورة وقوله ذرت عليها أى على تلك البقاع وقوله طرفيها مفعول وهذا الضمير عائد على الفاعل وهو قوله
ملاءة بضم أوله والمد وهى كما فى القاموس كل ثوب لم يضم بعضه الى بعض بخيط بل كله نسج واحد وفى النهاية
هى الازار وفى الصحاح هى الملحفة ولا تنافى لصدقها على التعريف الاول بكل من هذين وبهذا يعلم أن الثوبين
الملفوفين أى المضموم أحدهما الى الآخر بخياطة ملاءتان لا ملاءة واحدة وقوله حمراء شبه تلك الانوار
والاضواء التى غشيت تلك البقاع وعمتها من سائر جوانبها بخيمة حمراء شدت على ما فيها أزرارها فى عراها من
سائر الجوانب فالمراد بالملاءة هنا الخيمة اذ هى التى تشد وتنصب عادة (قوله وكأن الارجاء) أى نواحى المدينة
وقوله تنشر أى تذيع وقوله نشر المسك أى ريحه وقوله فيها أى فى تلك الارجاء وقوله الجنوب وهى الريح
التى تقابل الشمال وقوله والجربياء بكسر الجيم ككيمياء وهى كما فى القاموس الشمال أو بردها أو الريح بين
الجنوب والصبا وهى التى تثير السحاب وهذه هى المرادة هنا (قوله فاذا شمت) بكسر الشين المعجمة أى أبصرت
ونظرت الى سحاب البرق التى تمطر فى تلك البقاع وقوله أو شممت من الشم أى أدركت بحاسته وهى الانف
وفى القاموس شممته بالكسر أشمه بالفتح وشممته أشمه بالضم وقوله رباها جمع ربوة بتثليث الراء وهى ما ارتفع
من الارض وقوله لاح أى ظهر منها أى من تلك البقاع برق وهذا راجع لشمت وقوله وفاح كباء راجع
لشممت فهو لف ونشر مرتب وكباء بوزن كساء فهو بكسر الكاف وفتح الباء وهو عود البخور أو ريحه من
كبب بالتشديد ثوبه أى بخره (قوله أى نور) مفعول مقدم لشهدنا وهو بضم النون وقوله وأى نور بفتح
النون أى زهر وقوله شهدنا أى رأينا بابصارنا وبصائرنا وقوله يوم ظرف لشهدنا وقوله القباب بكسر
القاف جمع قبة أى التى هنالك وقوله قباء بضم القاف وهو المحل المشهور وفيه المسجد الذى أسس على
التقوى بينه وبين المدينة ثلاثة أميال (قوله قر منها دمعى) أى كثر وانهمل حسرة على ما مضى لى من عدم
الاجتماع بتلك الحضرة وفرحا بوصولى اليه والضمير فى منها راجع للربا أو لارض الحبيب وهذا من أجل
ما شهدته من تلك الربا أو من تلك الارض وقوله وفر أى ذهب اصطبارى لاسيما بعد أن وصلت هذه الربا
وأنخت رحلى بقباء وقوله جفاء بضم الجيم أى زبد فكما أن السيل يذهب بذلك الزبد فى أسرع وقت فكذلك
دموعى تذهب بصبرى فلا يبقى عندى منه شئ ففى الكلام لف ونشر مرتب فقوله فدموعى سيل راجع لقر
بالقاف وقوله وصبرى جفاء راجع لفر بالفاء (قوله فترى الركب) اى فبسبب ما ذكر أن ما شوهد يوجب
كثرة الدمع وفناء الصبر ترى أيها المخاطب الركب طائرين أى جادين فى السير حاثين لدوابهم يستخرجون منها
أقصى ما يمكنها من الاسراع وقوله من الشوق أى من أجله وقوله الى طيبة بالصرف للوزن فكيف بشوقهم
الى المقصود عليه أفضل الصلاة والسلام وقوله لهم ضوضاء بفتح الضادين بينهما واو ساكنة أى أصوات عالية

فرأينا أرض الحبيب يغض الطـ
طرف منها الضياء واللألاء
فكأن البيداء من حيثما قا
بلت العين روضة غناء
وكأن البقاع ذرت عليها
طرفيها ملاءة حمراء
وكأن الارجاء ينشر نشر الـ
مسك فيها الجنوب والجربياء
فاذا شمت أو شممت رباها
لاح منها برق وفاح كباء
أى نور وأى نور شهدنا
يوم أبدت لنا القباب قباء
قر منها دمعى وفر اصطبارى
فدموعى سيل وصبرى جفاء
فترى الركب طائرين من الشو
ق الى طيبة لهم ضوضاء

(قوله حول المدينة المنورة) قال العلامة الصاوى وطيبة هى المدينة على مشرفها أفضل الصلاة والسلام وسميت بذلك لان الله طيبها لرسوله وجعلها دار هجرته ومحل نصرته وموضع تربته ولها أسماء كثيرة اهـ

بالصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم وعبارة القاموس الضوضى مقصورة الجلبة وأصوات الناس لغة في المهموزة (قوله فكأن) عطف على فترى وقوله البأساء أي شدة السفر ومشقته وقوله خلقا بفتح الخاء أي جسما وقوله ولا الضراء تأكيد لما قبله وكيف يمسهم شئ من ذلك وكل نفس الخ (قوله كل نفس) أي من الزائرين وقوله منها ابتهال أي تضرع الى الله في أن يقبل عثراتها وقوله وسؤل أي توسل بأحب خلقه اليه وقوله ودعاء بمعنى سؤل فهو اطناب وقوله ورغبة أي فيما عند الله من جزيل الثواب وقوله وابتغاء أي طلب لما عنده تعالى وهذا اطناب أيضا (قوله وزفير) معطوف على ابتهال وهو تواتر النفس بفتحتين أي تتابع حركته وصعوده الى أعلى الصدر لشدة ما يعتري القلب من خشية المؤاخذة بما فرط منه وقوله تظن أي ايها المخاطب وقوله منه من تعليلية أي من أجل كثرة ذلك الزفير وشدته بحيث يسمع له صوت في الصدر وقوله صدورا مفعول أول وقوله صادحات مفعول ثان وهو نعت لمحذوف أي طيورا صادحات أي مصوتات وقوله زقاء بضم الزاي وبالقاف أي صوت حال والحاصل أن ذلك الزفير من شدته ظهر له في صدورهم صوت أشبه صوت الطيور الصادحات اللاتي يعتادهن التصويت بشدة (قوله وبكاء يغريه) بالغين المعجمة وقوله بالعين هي الباصرة أي يحمله على ملازمته لها وقوله مد أي سيل من الدموع ناشئ من حرقة القلب لفراق المحبوب وخشية قطيعته وقوله ونحيب بفتح النون وكسر الحاء المهملة وهو رفع الصوت بالبكاء وقوله يحثه أي يحضه ويزيده ويحمل على دوامه وقوله استعلاء أي علو الصوت وتتابعه بالبكاء (قوله وجسوم كأنما رحضتها) أي غسلتها ولذا سمي المغتسل مرحاضا وقوله من عظيم المهابة أي الجلالة التي استولت على قلوبهم وقوله الرحضاء بضم ففتح أي العرق الكثير من أثر الحمى أي جسوم هائمها من عظيم المهابة ما أزعجها ارعابا يتولد عنه كثرة عرقها حتى كأنه غسلها (قوله ووجوه) أي تلونت بألوان مختلفة لشدة ما عندهم من القلق والخوف والحياء منه صلى الله عليه وسلم عند القدوم عليه وقوله من حياء أي من أجل الحياء وهو بالمد تغير وانكسار يعتري الانسان من خوف ما يعاب به وقوله الحرباء هي دويبة مشهورة ذات ألوان متعددة تستقبل الشمس برأسها (قوله ودموع) أي من شدة البكاء والحزن وقوله وطفاء أي مسترخية الجوانب لكثرة مائها شبه ما عندهم من الخوف الباعث لهم على غزارة الدمع وكثرة تتابعه بسحابة مملوءة ماء (قوله فحططنا) أي فبعد أن وصلنا الى ذلك القبر المكرم حططنا الرحال جمع رحل يطلق على مسكن الشخص وعلى ما يستصحبه المسافر من المتاع والزاد وأوعيته والمراد هنا الثاني والمراد انقضاء السفر والتمتع أي نزلنا بفناء كرمه نستمطر سحائب القبول والانعام ونستقيل عثرات التقصير والآثام وقوله حيث أي في مكان يحط الوزر أي الاثم والثقل عنا بشفاعته وقوله وترفع أي عنا لجنابه ونسمائه وامداده وقوله الحوجاء اي الحاجة بفناء النفوس وطلوع البدور وشروق الشموس حتى تصل الى العيان ونستغني عن الاستدلال بالبرهان (قوله وقرأنا السلام أكرم خلق الله) أي عليه وقد اقتدى الناظم في هذا بالسلف فانه جاء السلام عليه عند قبره من ابن عمر وغيره بل قال البغوي السلام عليه عند قبره أفضل من الصلاة عليه عنده وتوجه الافضلية بان شعار اللقاء والتحية فتخص أفضليته بحال اللقاء عند كل زيارة أما اذا سلم سلام اللقاء فالصلاة بعده أولى من استمرار السلام وان كان باقيا في مقام الزيارة ولذلك ذكروا في آداب الزيارة أن الزائر يبدأ بالسلام وأنه يختم بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم وقوله من حيث أي من مكان وتوفنا بتلك الحضرة الذي يسمع منه الاقراء أي للسلام وما اقتضاه كلام الناظم من أن زائره اذا صلى عليه عند قبره يسمعه سماعا حقيقيا ويرد عليه من غير واسطة وأن من صلى عليه من بعيد لا يسمعه الا بواسطة يدل عليه أحاديث كثيرة وفي فتاوى الرملي ان الانبياء والشهداء والعلماء لا يبلون وان الانبياء والشهداء يأكلون في قبورهم ويشربون ويصلون ويصومون ويحجون ووقع الخلاف هل ينكحون نساءهم أم لا فقيل نعم وقيل لا ويثابون على صلاتهم وصومهم وحجهم اهـ وجزم أبو المواهب الشاذلي بان الشهداء ينكحون

فكأن الزوار ما مست البأ
ساء منهم خلقا ولا الضراء
كل نفس منها ابتهال وسؤل
ودعاء ورغبة وابتغاء
وزفير تظن منه صدورا
صادحات يعتادهن زقاء
وبكاء يغريه بالعين مد
ونحيب يحثه استعلاء
وجسوم كأنما رحضتها
من عظيم المهابة الرحضاء
ووجوه كأنما ألبستها
من حياء ألوانها الحرباء
ودموع كأنما أرسلتها
من جفون سحابة وطفاء
فحططنا الرحال حيث يحط ال
وزر عنا وترفع الحوجاء
وقرأنا السلام أكرم خلق الله
من حيث يسمع الاقراء

(قوله وزفير) أي تواتر النفس وصعوده لشدة ما يعتري القلب من الخشية وقوله تظن منه صدورا فصدورا مفعول أول لتظن وصادحات صفة لموصوف محذوف تقديره طيورا صادحات أي مصوتات مفعول ثان وجملة يعتادهن زقاء بالزاي والقاف أي صوت حال صفة لطيور والحاصل أن ذلك الزفير من شدته ظهر له في صدورهم صوت يشبه صوت الطيور الصادحات اللاتي يعتادهن التصويت بشدة وعلو صوت وكل هذا من عظم المهابة اهـ صاوي

(قوله بل قال البغوي الخ) عبارة العلامة الصاوي وقال

وذهلنا عند اللقاء وكم أذ
هل صبا من الحبيب لقاء
ووجمنا من المهابة حتى
لا كلام منا ولا ايماء
ورجعنا وللقلوب التفاتا
ت اليه وللجسوم انثناء
وسمعنا بما نحب وقد يس
مح عند الضرورة البخلاء
يا أبا القاسم الذى ضمن اقسا
مى عليه مدح له وثناء
بالعلوم التى عليك من الله
بلا كاتب لها املاء

لكن لم يقل نساءهم ومعنى ج الانبياء مع أنهم لا يفارقون قبورهم أن روحانيتهم تتشكل بصورهم التى كانوا عليها وتحضر تلك المعاهد وأما الذوات فلا تفارق القبور وهذا الجواب من جملة الاجوبة التى أجيب بها عما أوردوه فى صلاة الانبياء خلفه ليلة الاسراء وأجيب هنالك بجواب آخر وهو أن ذواتهم بأرواحها حضرت فى ذلك المكان وهذا الوقت كرامة وخصوصية له صلى الله عليه وسلم (قوله وذهلنا) أى شغلنا وغبنا عن احساسنا عند اللقاء لما استولى علينا من سبحات ذلك الجلال ونسمات ذلك الجمال وقوله وكم اذهل صبا أى ولا بدع ولا غرابة فى هذا الذهول اذ كم أذهل صبا هو شديد الصبابة التى هى رقة الشوق وغاية استيلائه وقوله من الحبيب أى المحبوب وهو متعلق بقوله لقاء لان من شأن هذا اللقاء أنه يدهش الصب ويخرس المحب ويغيبهما عما عدا المحبوب (قوله ووجمنا) بفتح الجيم أى سكتنا عن الكلام عند اللقاء وبعده مادمنا فى تلك الحضرة فلم يبق فينا متسع له وقوله من المهابة أى من أجل المهابة أى الاجلال والمخافة وقوله حتى لا كلام الخ أى حتى اجتمع علينا أمران لا يوجد اجتماعهما الا فى نحو هذا المقام وهما الا كلام منا بما نريده ولا ايماء منا الى ما نطلبه وذلك حال من قهره الجلال واستولت عليه خوارق الاحوال (قوله ورجعنا) أى الى بلادنا وقوله التفاتات أى كثيرة جدا وقوله اليه أى الى نبينا صلى الله عليه وسلم بمعنى أنها مستحضرة للوقوف بين يديه والاستمداد منه وقوله وللجسوم جمع جسم أى أبداننا وقوله انثناء أى انعطاف الى البقاء فى تلك الحضرة على الدوام ان تيسر والا فالى تكرر الزيارة (قوله وسمحنا) بفتح الميم أى جدنا وقوله بما نحب أى بالنفيس الذى لا نعود أحد له وهو التمتع بتلك الحضرة العلية الذى نحب دوامه وعدم مفارقته ولكن ضرورتنا الى العود لديارنا لاجل القيام بمن فيها تخفف الملام علينا اذ الضرورات تبيح المحظورات وأيضا فاننا وان كنا بخلاء بهذا الفراق فلنا أسوة بالبخلاء فى ذلك ولذا قال وقد يسمح أى وقد تيقنا أنه يسمح عند الضرورة التى لا يستطاع معها الترك البخلاء بالاموال وغيرها (قوله يا أبا القاسم) لما تمم مقصد زيارته المتكفلة بكل خير شرع يناديه صلى الله عليه وسلم بكنيته المختصة به ويقسم عليه بأقسام كثيرة كلها تتضمن ما هو بصدده من مدحه والثناء عليه استعطافا له لينظر اليه بما يفوز به فى الدنيا والآخرة ويأمن به من كل محنة باطنة وظاهرة ومن ثم خص جواب اقسامه بقوله الآتى بعد خمسة وخمسين بيتا الامان الامان الخ فقال يا أبا القاسم هذه كنيته صلى الله عليه وسلم التى اختص بها فلا يجوز لاحد التكنى بها مطلقا على الاصح عندنا أى سواء فى زمنه وبعده لمن اسمه محمد وغيره هكذا قال الشارح ومعتمد الرملى أن النهى خاص بحياته صلى الله عليه وسلم وأما بعد وفاته فيجوز التكنى بها لمن اسمه محمد وغيره ومناسبة هذه الكنية له صلى الله عليه وسلم الاعلام بأنه هو الخليفة الاعظم عن الله فى جميع شؤنه لاسيما مقام قسمة الارزاق والعلوم والمعارف والطاعات ولاجل هذا عدوا من خصائصه أنه أعطى مفاتيح الخزائن أى خزائن أجناس العالم فكل ما ظهر فى هذا العالم فانما يعطيه محمد صلى الله عليه وسلم الذى بيده المفاتيح ويكنى أيضا بابى ابراهيم وأبى الارامل وأبى المؤمنين وقوله الذى ضمن ضمن مبتدأ خبره مدح له والجملة صلة الموصول والمعنى أن المدح والثناء كائنان فى ضمن هذا الاقسام من تضمن كذا اشتمل عليه فهذا الاقسام لم يخرج عن مقصوده من المدح وقوله اقسامى بكسر الهمزة مصدر أقسم أى حلف وقوله وثناء هو بمعنى المدح فهو مرادف له أو أخص منه على القول بأن المدح أعم من الحمد من حيث انه يكون على الاختيارى وغيره والحمد ومثله الثناء لا يكونان الا على الاختيارى (قوله بالعلوم) أى أقسم عليك بها التشفع لى بما يؤمننى من كل مكروه وبان يعطينى الله الامان منه وكذا يقال فى الاقسام الآتية فالمراد بها هنا الشفاعة والاستعطاف ليجاب سؤاله ومن ثم قال الفقهاء اذا قال لغيره أقسم أو أقسمت عليك لتفعلن كذا انه لا يكون يمينا الا ان نواه وجعل العلم أول ما أقسم به لان مرتبة العلم لا أعلى منها بل ولا مساوى لها وقوله التى عليك أى تتنزل عليك فعليك متعلق بمحذوف وكذا قوله من الله وقوله بلا كاتب حال من العلوم وقوله لها املاء مبتدأ أو خبر والجملة حال

بعضهم السلام عليه عند قبره أفضل من الصلاة عليه عنده أى للاخبار الكثيرة فيه منها ما من أحد سلم على عند قبرى الارد الله على روحى حتى أرد عليه السلام ومعنى قوله فى الحديث الارد الله على روحى أى من حضرة الشهود الى رد جواب المسلم انتهت

(قوله يا أبا القاسم) قال العلامة الصاوى ووجه مناسبة اختصاص تلك الكنية به صلى الله عليه وسلم الاعلام بأنه الخليفة الاعظم عن الله فى جميع شؤنه لاسيما فى قسمة الارزاق والعلوم والمعارف والطاعات ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح انما أنا قاسم والله يعطى ولاجل هذا عدوا

أخرى من العلوم أى حال كون الموصل لها اليك املاء أى اقراء من جبريل (قوله ومسير الصبا) أى وأقسم عليك بما أوتيته أيضا من مسير الصبا وهو الريح التى مهبها مطلع الشمس عند استواء الليل والنهار وقوله بنصرك على حذف مضاف أى بسببه وهو الرعب الذى قطع قلوب أعدائه يعنى أن الصبا تحمل الرعب وتوصله الى كل جهة من جهات المدينة مسيرة شهر والتحديد بالشهر اشارة الى أن ما يستولى عليه فى حياته لا تزيد مسافته على شهر فلا ينافى أن ملك أمته يزيد على ذلك بكثير واحترازا عن غيره من الانبياء فان رعبهم ان وجد لا يصل لهذه المسافة وهل هذه الخصوصية حاصلة لامته من بعده فيه احتمالان أظهرهما كما تقضى به المشاهدة أنهم رزقوا من ذلك حظا وافرا وقوله رخاء هى الريح اللينة المسخرة لسليمان غدوها شهر ورواحها شهر لكن معجزة نبينا أظهر وأعظم لان تلك سخرت لذات سليمان وهذه سخرت لصفة من صفات نبينا وهى هيبته وأيضا تلك انما كانت تسير بعد أمر سليمان لها وهذه تسير بأمر ربها من غير توسط أمر من نبينا فهذا من تشبيه الاعلى بالادنى نظير كما صليت على ابراهيم وآل ابراهيم فى أحد الاجوبة فيه واعلم أن أصول الرياح أربعة الصبا وهى تهب من جهة باب الكعبة وهى حارة يابسة والدبور تقابلها وهى باردة رطبة والشمال من جهة شمال الكعبة وهى باردة يابسة والجنوب تقابلها وهى حارة رطبة وأخرج ابن جرير وجماعة أن الجنوب من الجنة وفيها منافع للناس نفر وجها أولا من الجنة ثم تمر على النار فتكتسب منها الحرارة والشمال من النار تخرج منها فتمر بالجنة فتصيبها نفحة منها فبردها من ذلك نفر وجها أولا من النار ثم تتكيف بريح الجنة وبردها وحكمة ذلك جمعها للقوة النارية والقوة البردية لان من شأن الاولى كثرة الحركة وشدة الانضاج ومن شأن الثانية ملاءمة النفس وازالة أكدارها وجاء فى أثر أن الاربعة مساكنها تحت أجنحة الكرسى وبين حملة العرش وجاء فى حديث صحيح أن مساكنها تحت الارض الثانية ولا ينافيه ما تقدم لجواز أن تكون أجنحة الكرسى وبين تحت الارض الثانية ما وردأن قرارهم تحت الارض السابعة هذا وجاء أن الارض الثالثة فيها حجارة جهنم والرابعة فيها كبريت جهنم والخامسة فيها حيات جهنم والسادسة فيها عقارب جهنم والسابعة فيها سقر وفيها ابليس مصفد بالحديد يده اذا أراد الله أن يطلقه لمن شاء من عباده أطلقه وفى الفردوس للهروى روى عن ابن عمر أن الرياح ثمانية أربع عذاب وهى العاصف والقاصف وهما بالبحر والصرصر والعقيم وهما بالبر وأربع رحمة وهى الذاريات والمرسلات والمبشرات والناشرات (قوله وعلى) أى وأقسم عليك أيضا بعلى أى بالمعجزة العظمى التى وقعت له فى غزوة خيبر فالاقسام هنا بالمعجزة لا بنفس على وان صح الاقسام به أيضا لان الاقسام به سيأتى فى الاقسام بالصحابة حيث قال وعلى صنو النبى الخ وقوله لما تفلت بعينيه أى حين فتحت بعض حصون خيبر وبقى أعظمها فعسر فتحه بأبى بكر وعمر وغيرهما فقال لاعطين الراية غدا الرجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله فلما أصبح سأل عن على فأخبر وا أن به رمدا وكان قد أصابه فى المدينة وتخلف عن الخروج بسببه ثم ندم على التخلف فخرج فلحق القوم فى أثناء الطريق وقيل بعد وصولهم الى خيبر فجىء به وهم يقودونه فوضع رأسه فى حجره وبصق فى كفه ودلك بها عينيه ثم قال له خذ هذه الراية وامض حتى يفتح الله عليك فبرئتا لما حالطهما ريقه الذى هو الشفاء الاكبر فغدا ناظرا الخ (قوله فغدا ناظرا) أى فصار ناظرا الخ أى فذهب بتلك الراية يضرب بعينيه المثل فى حدة الابصار كما يضرب ببصر العقاب الذى هو سيد الطيور ومن أمثال العرب أبصر من عقاب وعند قتاله ضربه يهودى فطرح ترسه من يده فأخذ بابا تترس به واستمر يقاتل حتى فتح الله عليه ومن كبر ذلك الباب أن ثمانية أرادوا أن يقلبوه فلم يستطيعوا وجعل أيضا باب الحصن على ظهره حتى صعد المسلمون عليه وبعد ذلك لم يحمله الا أربعون رجلا وقوله فى غزاة بفتح العين لغة فى غزوة وهى اسم للجيش الذى يخرج معه صلى الله عليه وسلم بنفسه وهى غزوة خيبر مدينة كبيرة ذات حصون أى قلاع ثلاثة عشر وذات مزارع كثيرة على ثمانية برد من المدينة الى جهة الشام وكانت سنة سبع فى غرتها

وقوله

ومسير الصبا بنصرك شهرا
فكأن الصبا لديك رخاء
وعلى لما تفلت بعينيه
وكلتاهما معا رمداء
فغدا ناظرا بعينى عقاب
فى غزاة لها العقاب لواء

من خصائصه صلى الله عليه وسلم أنه أعطى مفاتيح الخزائن قال بعض العلماء وهى خزائن أجناس العالم ليخرج لهم بقدر ما يطلبونه فكل ما ظهر فى هذا العالم فانما يعطيه محمد صلى الله عليه وسلم الذى بيده المفاتيح وقيل انما كنى بذلك لانه كان له ولد من خديجة يسمى القاسم اه (قوله وعلى لما تفلت الخ) والحاصل أن النبى صلى الله عليه وسلم لما أراد التوجه لفتح خيبر قال أين على فقيل به رمد فدعى به فجاء وانسان يقوده من شدة وجع عينيه فتفل صلى الله عليه وسلم بهما فبرئتا فى الحال فصارتا لا ترمدان أبدا فأعطاه الراية فكان فتح خيبر على يده اه صاوى

وقوله لها العقاب لواء المراد باللواء الراية وتلك الراية كانت تسمى العقاب لانها سوداء ولون العقاب السواد وكانت من برد او مرط لعائشة والعقاب بضم العين طائر جمعه أعقب وعقبان وكنيته أبو الحجاج وهو يذكر ويؤنث وهو سيد الطيور والنسر عريفها وهو حاد البصر ومنه ما يأوى فى الجبال وما يأوى فى الصحارى وحول المدن وأنثاه تبيض ثلاث بيضات فى الغالب وتحضنها ثلاثين يوما وما عداه من الجوارح يبيض بيضتين ويحضن عشرين يوما (قوله وريحانتين) أى وأقسم عليك أيضا بريحانتين تثنية ريحانة وهى فى اللغة تطلق على الولد لان القلب يتروح به كما تطلق على الريحان المشموم فالمراد بهما هنا السيد الحسن والسيد الحسين وفى هذه التسمية اقتباس من قوله صلى الله عليه وسلم ان ابنى هذين ريحانتاى من الدنيا وقوله طيبهما أى الحسى والمعنوى حاصل منك لانهما بضعتان منك مع ما اختصصتهما به من المزايا والخصوصيات وقوله الذى نعت للريحانتين لتأويلهما بالمذكور أو على لغة من يجيز الاشتراك الذى بين المفرد والجمع والمثنى على حد وخضتم كالذى خاضوا وقوله أودعتهما بالبناء للمفعول والفاعل هو النبى صلى الله عليه وسلم والزهراء نائب الفاعل والجملة صلة الموصول وأشار بقوله أودعتهما الى ما هو من خصائصه وهو أن أولاد بناته ينسبون اليه فى الكفاءة وغيرها ووجه تلك الاشارة أنه جعل فاطمة مستودعة فهو الذى أودعها تلك الذخيرة لتخرج منها منسوبة اليه وسميت بالزهراء لانها لم تحض وسميت فاطمة لان الله فطمها ومحبيها عن النار وأخرج الطبرانى ان الله جعل ذرية كل نبى فى صلبه وجعل ذريتى فى صلب على بن أبى طالب توفى كرم الله وجهه عن ثلاث وستين سنة ضربه ابن ملجم بفتح الجيم وكسرها فى جبهته ليلة الجمعة سابع عشر رمضان سنة أربعين وهو خارج الى صلاة الصبح ومات ليلة الاحد واختلف فى موضع قبره لانه أخفى خوفا من أن تنبشه الخوارج وفى رواية أنهم حملوه ليدفنوه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فند الجمل الذى حمله فلم يدر أين ذهب فلذا قال أهل العراق انه فى السحاب وعن سيدى على وفا أن على بن أبى طالب رفع الى السماء كما رفع عيسى وسينزل كما ينزل عيسى قال الشعراوى قلت وبذلك قال سيدى على الخواص سمعته يقول ان نوحا عليه السلام أبقى من السفينة لوحا على اسم على بن أبى طالب رضى الله عنه رفع عليه الى السماء فلم يزل محفوظا من الغرق حتى رفع عليه (قوله كنت تؤويهما) أى تضمهما اليك لمزيد محبتك لهما وشفقتك عليهما وجاء من طرف ابناى الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة وأبوهما خير منهما وفى هذا حجة لما عليه أهل السنة ان الائمة الاربعة أفضل من أهل البيت نعم ما فيهم من البضعة الكريمة لا يعادله عمل وبهذا يوجه قول بعض المتأخرين بتفضيل الحسنين على غيرهما أى من حيث تلك البضعة وان كان غيرهما ممن ذكر أفضل منهما علما وعملا ومعرفة وقوله صلى الله عليه وسلم سيدا شباب أهل الجنة مشكل لانهما ماتا غير شابين بل بعد مجاوزة الاربعين ولان الجنة ليس فيها شباب لان الوارد أن جميع الناس من أهل الجنة يكونون على خلقة أبناء ثلاث وثلاثين وهو سن الكهولة وأعدل الاسنان وحينئذ فليس فى الجنة شباب ولا شيوخ ويجاب بان المراد بالشباب الذين ماتوا شبابا فهما سيدا هؤلاء من غير استثناء بخلاف من مات كهلا أو شيخا فانه قد يسودهما كالخلفاء الاربعة فالحاصل أنهما سادا شباب الناس على الاطلاق وغير الشباب فيه تفصيل فلذا ذكر الشباب فقط وما تقدم من أن الناس فى الجنة يكونون فى سن ثلاث وثلاثين سنة مشكل اذ مقتضاه أن من مات صغيرا يدخل ابن ثلاث وثلاثين وأن الشيخ الذى عمره مائة سنة يدخلها وهو ابن ثلاث وثلاثين ويجاب بان المراد أن أهل الجنة كلهم مستوون فى الطول والصفة ومستوون فى القوة التى هى قوة أبناء ثلاث وثلاثين فالشيخ والصغير والشاب كلهم مستوون فى هذه الصفة وهى القوة وبهذا يجاب عن كثير مما يستشكل به فى هذا المقام وقوله كما آوت بالمد ويتعين للوزن وان كان القصر جائزا وقوله من الخط حال من الفاعل وهو الياء أى كنت تؤويهما ايواء كايواء الياء لنقطتيها حال كونها من جملة حروف الخط وكأنه أخذ هذا التشبيه من حديث البخارى عن

وريحانتين طيبهما منـ
ـك الذى أودعتهما الزهراء
كنت تؤويهما اليك كما آ
وت من الخط نقطتيها الياء

(قوله كنت تؤويهما اليك) أى كنت يا رسول الله تضمهما اليك لمزيد محبتك لهما وشفقتك عليهما ومن ثم صح أنه صلى الله عليه وسلم قال نظرت الى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثى ورفعتهما واخرج الترمذى والطبرانى هذان ابناى وأمهما ابنتى اللهم انى احبهما فاحبهما وأحب من يحبهما اه صاوى

الحسن كان صلى الله عليه وسلم يأخذ بيدي فيقعدني على فخذه ويقعد الحسين على فخذه الآخر ويضمهما
ثم يقول اللهم ارحمهما فاني أرحمهما ووجه التخصيص بالياء أنها خاتمة الحروف كما أنه خاتم الانبياء ولا نظر
الى أن الالف أفضل الحروف لانه مادة كل حرف فهي الآخر في الحقيقة كما أنها الاول كذلك وهذا
شأن نبينا فانه أولهم خلقا وآخرهم وجودا وختما فعنصره الكريم مندرج ومنبث في جميع الانبياء
بالفعل تارة بالنسبة لمن هو في عمود نسبه وبالقوة أخرى بالنسبة لمن ليس في عموده (**قوله من شهيدين**) بيان
للريحانتين أما شهادة الحسن وكانت ولادته بالمدينة في نصف شعبان سنة ثلاث من الهجرة فسببها أن يزيد
ابن معاوية أرسل الى زوجته جعدة الكندية أنها تسمه ويتزوجها وبذل لها مائة ألف درهم ففعلت
فمرض أربعين يوما ومات فبعثت ليزيد بما وعدها فأبى وفي سنة وفاته أقوال والاكثرون على أنها سنة خمسين
وقد وصى أخاه الحسين وقال له اني كنت طلبت من عائشة أن أدفن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجابت
فاذا مت فاطلب منها وما أظن القوم الا سيمنعونك فان فعلوا فلا تراجعهم فلما مات سأل الحسين عائشة فقالت
نعم وكرامة فنعهم مروان لانه كان واليا بالمدينة فدفن بالبقيع الى جنب أمه رضي الله عنهما وأما شهادة
الحسين وكانت ولادته لخمس خلون من شعبان سنة أربع وجاء من طرق أن جبريل جاء الى رسول الله فأخبره
أن الحسين مقتول وأراه من تراب الارض التي يقتل فيها فأعطاه لام سلمة وأخبرها أنه يوم قتله يتحول دما فكان
كذلك وشم رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك التراب فقال ويح كربلاء فسببها أن يزيد لما استخلف سنة ستين
أرسل لعامله بالمدينة أن يأخذ له البيعة على الحسين ففر الى مكة خوفا على نفسه فأرسل اليه أهل الكوفة أن
يأتيهم ليبايعوه ويزيل ما هم فيه من الجور فنهاه ابن عباس وبين له غدرهم وقتلهم لابيه وخذلانهم لاخيه
وأمره أن لا يذهب بأهله ان ذهب فأبى وقدم أمامه مسلم بن عقيل بن أبي طالب فبايعه من أهل الكوفة اثنا
عشر ألفا فأرسل اليه يزيد ابن زياد فقتله وسار الحسين غير عالم بذلك فلاقيه أوائل خيل ابن زياد فعدل الى
كربلاء فجمع اليه ابن زياد عشرين ألف مقاتل فلما وصلوا اليه قاتلوه فحارب ذلك العدد الكثير ومعه من
أهله نيف وسبعون وقتل من أهله [illegible] وثبت في ذلك الموقف ثباتا باهرا حتى فنيت أصحابه وبقي بمفرده فحمل
عليهم وقتل منهم كثيرا من شجعانهم فكثروا عليه حتى أثخنوه بالجراح لانه طعن احدى وثلاثين طعنة وضرب
أربعا وثلاثين ضربة وغلب عليه العطش فحالوا بينه وبين الماء فسقط الى الارض فحزوا رأسه يوم الجمعة عاشر
المحرم عام احدى وستين وقيل ان يزيد أرسل الرأس ومن بقي من أهل الحسين الى المدينة فكفن الرأس ودفن
عند قبر أمه في قبة الحسين وقيل أعيد الى الجثة بكربلاء بعد أربعين يوما من قتله ثم سلط الله على ابن زياد وقومه
من قتلهم شر قتلة ثم انتقل الرأس في دولة الفاطمية الى مصر وجعل له مدفن عظيم بقرب الجامع الازهر وقوله
ليس ينسيني الطف وهو أرض بالعراق تسمى كربلاء وقيل انه غيرها قريب منها وقبره هنالك معروف يزار
ويتبرك به وقوله مصابيهما أي مجموعهما أي مصاب الحسين لانه هو الذي قتل بالطف وأما الحسن فقبره بالمدينة
وقوله ولا كربلاء أي كل منهما يذكر في المصاب حتى اني أتصور في كل أرض أنها هي وظاهر النظم مغايرة
الطف لكربلاء (**قوله مارعى**) أي لاحظ فيهما ذمامك بالمعجمة أي حرمتك أيها النبي الكريم مع أنه يجب على
كل أحد رعايتها والوفاء بها ولا يحصل ذلك الا بالقيام بجميع ما لهما من العهود والحقوق والحرمة كبقية
أقاربك وقوله مرؤس أي تابع لجعدة الكندية في الحسن ولابن زياد ومن كان معه في الحسين وقوله وقد خان
الواو للحال وقوله الرؤساء أي المتبوعون الظلمة المتمردون كيزيد فهما للتسبب في قتلهما لكنهما فازا
بالشهادة العظمى وهو بلغ الغاية القصوى في الخسران والوبال حتى ذهب ابن حنبل وطائفة الى أنه مات
كافرا وأنه يجوز لعنه وان كان الجمهور على خلافه وعلى أنه مات مسلما بالغا من الفسق والتهور والتجري على
المحارم ما لم يبلغه غيره أصلا (**قوله أبدلوا**) أي هؤلاء المذكورون من المرؤسين والرؤساء وقوله الود بتثليث

من شهيدين ليس ينسيني الطف
فمصابيهما ولا كربلاء
مارعى فيهما ذمامك مرؤ
س وقد خان عهدك الرؤساء
أبدلوا الود والحفيظة في القر
بى وأبدت ضبابها النافقاء

(قوله فدفن بالبقيع الخ) عبارة العلامة الصاوي ودفن في البقيع بجنب عمه العباس في قبة عظيمة رضي الله عنهما وصح أنه حج خمسا وعشرين حجة ماشيا وان الجنائب لتقاد بين يديه وخرج عن ماله مرتين وقاسم الله تعالى ماله ثلاث مرات وكرمه باهر ولم يسمع عنه كلمة فحش قط الا قوله مرة عند مخاصمة ليس له عندنا الا ما أرغم أنفه انتهت

الواو أي المودة التي أوجبها الله عليهم وعلى كل مسلم في قوله قل لا أسألكم عليه أجرا الآية فأبدلوها ببغضهم وقتالهم وإلحاق الايذاء لهم بكل طريق أمكن حتى ان أبا طاهر القرمطي بكسر القاف الحبشي قدم مكة يوم التروية بجيوش كثيرة سنة عشر وثلثمائة فنهب دورها وأموال الحجاج وقتلهم في المسجد وفي البيت وسباهم حتى بيعت الشريفة في عسكره بار بعة دراهم والشريف بدرهمين لكثرة من سباهم من أهل البيت وقتل أمير مكة وقلع باب الكعبة وفرق كسوتها على أصحابه وطرح طائفة من القتلى في بئر زمزم ودفن البقية في المسجد بلا غسل ولا صلاة واقتلع الحجر الاسود وأخذه فكان عنده ووضعه في مسجد الكوفة ثم من الله برده فاشتراه بعض الملوك بثلاثين ألف دينار ووضع في مكانه وقوله والحفيظة أي وأبدلوا الحفيظة أي الحفظ والحمية وقوله في القربى أي في نصر القربى ومحبتهم أي قرابة النبي وهم أهل البيت النبوي يعني تركوا هذين وأخذوا ضدهما فقطعوا مودتهم وتخلفوا عن نصرتهم وقد اختلف المفسرون في القربى في الآية والذي جاء عن الحسن أنهم أهل البيت وقوله وأبدت أي أظهرت ضبابها جمع ضب والمراد بها هنا اليرابيع لان النافقاء لا تكون الا لها والضمير عائد على الفاعل وهو النافقاء وهي احدى جحرتي اليربوع يخفيها ويظهر غيرها حتى لا يصاد وهي موضع من جحر يجعل الحاجز بينه وبين الفضاء قريبا جدا حتى اذا دخل عليه من الجحرة الاخرى المسماة بالقاصعاء ضرب النافقاء برأسه فأنشق وخرج هاربا منه وفي النظم تشبيه الماكرين بالحسنين حتى فعلوا معهما ما فعلوا باليربوع في مكره المذكور فهو استعارة تصريحية (قوله وقست) أي غلظت منهم أي من هؤلاء الفجرة المذكورين وهو حال من قوله قلوب فوصل البهمانم الى ذريتهما منهم غاية الايذاء والاستهانة بحقهم الواجب رعايته عليهم ولم تلن تلك القلوب قط لان الله تعالى أرادبها الشقاء والعذاب الاليم وقوله على من أي على أولئك الائمة الذين هم بدور الدنيا والآخرة وقوله بكت الارض الخ هذا مأخوذ من مفهوم قوله تعالى فما بكت عليهم السماء والارض أي لكفرهم لانه روى أن المؤمن اذا مات بكت عليه السماء والارض أربعين صباحا وورد أيضا أنه ما من عبد الا له في السماء بابان باب يخرج منه رزقه وباب يدخل منه عمله فاذا مات فقداه وبكيا عليه وعن علي أن المؤمن اذا مات بكى عليه مصلاه من الارض ومصعد عمله من السماء واذا كان هذا في مطلق المؤمن فما بالك بآل البيت النبوي (قوله فأبكهم) أيها المخاطب ما استطعت أي مدة دوام استطاعتك تأسيا بجمده صلى الله عليه وسلم ثم بجبريل فقد ثبت أن كلا منهما بكى على فقد الحسين قبل موته لما أطلع الله نبيه على أنه يقتل بكربلاء وثبت أيضا أنه صلى الله عليه وسلم بكى على الحسين بعد موته فقد روى الترمذي عن أم سلمة أنها رأت في المنام النبي باكيا وبرأسه ولحيته التراب فسألته فقال قتل الحسين آنفا وكذلك رآه ابن عباس في النوم وهو أشعث أغبر وبيده قارورة فيها دم يلتقطه فسأله فقال له دم الحسين وأصحابه ولم أزل أتتبعه فان قلت أمر الناظم بالبكاء ينافي ما جاء في الحديث فاذا وجبت فلا تبكين باكية قلت ليس المراد بالبكاء المأمور به في النظم حقيقته بل لازمه من التأسف والحزن على ما حصل للدين وأهله من استباحة حرم الله وأهل بيت رسول الله فحق لكل أحد أن يحزن على ذلك ويتأسف عليه ويأمر به غيره وقوله ان قليلا أي ان جزاء قليلا أي ان الجزاء القليل وقوله في عظيم أي في مقابلة عظيم من المصاب أي في مقابلة المصاب العظيم لاسيما مصاب الامة بالحسنين وأهل بيتهما وقوله البكاء أي وان كثر وهو رفع الصوت مع الدمع وأما البكا بالقصر فهو الدمع فقط والمعنى أن البكاء وان كثر جزاء قليل على هذه المصيبة وانما الجزاء الكثير قتل قاتليهم وادامة نصرتهم باشادة ذكرهم وادامة الثناء عليهم والرد على أعدائهم وغير ذلك (قوله كل يوم وكل أرض) مبتدأ خبره كربلاء وعاشوراء على سبيل اللف والنشر المشوش وقوله لكربي أي لاجل ما حصل لي من الكرب وهو الغم الذي يأخذ النفس بحيث يخشى تلفها وقوله منهم أي من أجلهم أي بسبب ما حصل لهذين الامامين وأهل بيتهما من القتل والاسر وغير ذلك والمعنى ازدادني

وقست منهم قلوب على من بكت الارض فقدهم والسماء فابكهم ما استطعت ان قليلا في عظيم من المصاب البكاء كل يوم وكل أرض لكربي منهم كربلا وعاشوراء

(قوله ودفن البقية في المسجد الخ) ووقع لهشام بن عبد الملك أنه قتل زيدا صاحب المذهب المشهور ابن علي بن الحسين رضي الله عنه وصلبه وفعل به أقبح ما يكون كما هو مبسوط في السير اه صاوي

الكرب حتى ان كل أرض حللت بها تصورت أنها الارض التى قتل فيها الحسين وكل يوم أصبح على تصورت أنه يوم عاشوراء الذى قتل فيه فكربى قد عم جميع ما أنا فيه من الازمنة والامكنة فلا يفارقنى بالانتقال من أرض الى أخرى ولا من زمن الى آخر (قوله آل بيت النبي) آل أصله أهل أى يا أهل بيت النبي والمراد بهم أهل بيت مسكنه وهن أمهات المؤمنين وأهل بيت نسبه وهم مؤمنو بنى هاشم وبنى المطلب وهذا هو المراد فى الآية أيضا وقوله ان فؤادى أى قلبى ليس يسلبه عنكم التأساء بفوقية أوله أى ما يحصل له من الشدائد والمحن أى بل محبتكم مقيمة فيه على الدوام لا تزلزلها محنة ولا ينقصها شدة وقد أشار الى أن ما عنده من الوفاء بحقهما والتحسر والتحزن لمصابهم سامح كونه ملازما له لا يفارقه بسلو ولا تسل انما هو مع تفويضه الامور الى بارئها كما قال غير انى الخ (قوله غير أنى) أى الا أنى وهذا الاستثناء منقطع وقوله فوضت أمرى أى فى ذلك كله الى الله الفاعل لما يشاء والمقدر لما يريد لا يسئل عما يفعل وقوله وتفويضى الامر أى الى من هو مقدرها ومدبرها ومريدها وقوله براء أى تبرؤ من الاعتماد على شئ من الحول والقوة وذلك متعين على كل مسلم ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم براءة من الشرك وكنز من كنوز الجنة (قوله رب يوم) رب للتقليل وقوله مسىء أى باعتبار ما وقع فيه من قتل الحسين ومن معه وقوله بعض ورزء المراد بورزء ما حصل فيه من الكرب لاهل البيت الذى عظم على النفوس الاعدائية حتى كادت لهلكها وقوله الزوراء هى ناحية ببغداد والمراد ما وقع فيها من خلفائها بنى العباس الذين هم من جملة آل البيت حيث أخذوا ببعض ثار بنى عمهم الحسين وغيره فخرجوا على بنى أمية فنزعوا الخلافة منهم وقتلوهم شر قتلة وخصوصا السفاح منهم الذى أخرج بنى أمية من القبور وحرقهم وذراهم فى الهواء وهو أول خلفاء بنى العباس وهو عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس فلما ولى الخلافة بعد قطيعة بنى أمية أمر بهشام بن عبد الملك فنبشوا قبره فوجد بحاله لانه كان طلى بالعنبر لئلا يتغير فاخرجوه من قبره وجلدوه حتى تأثر جلده وحرقوه بالنار وفعلوا به كما فعل بزيد جزاء وفاقا وهو ولد ولد الحسين وهو زيد صاحب المذهب المشهور فان بنى أمية حرقوه وقتلوه وهو زيد بن على زين العابدين بن الحسين بن على بن أبى طالب (قوله والاعادى) أى الذين هم أولئك الفسقة الفجرة وقوله طريح أى مطروح منهم الى الارض ببوارق السيوف ولوامع الاسنة وقوله الزق أى المنفتح الملقى بالارض وقوله الوكاء وهو ما يشد به رأس الزق وما زالوا يتبعونهم حتى قطعوا دابرهم عن آخرهم فشبه هؤلاء القتلى حيث قطعت رؤسهم وسال دمهم بالاوعية التى كانت موكوءة فحلت أوكيتها فخرج ما فيها من المائعات (قوله آل بيت النبي) أى يا آل وقوله طبتم أى أصولا ونفوسا وأفعالا وأقوالا وأوصافات وظاهر أن تعلم أن المراد بالطيب فى قوله سابقا وريحانتين طيب ما مثلك غير المراد به هنا وهو محتمل ويحتمل أنه فى الموضعين واحد وهو الطيب طاهرا او باطنا وأنه ثم لهما وهنا لمن جاء بعدهما من نسلهما وهذا أولى غاية الامر أن ذاك فى خصوصهما وهذا فى عموم أهل البيت وقوله وطاب الرثاء أى فيكم وهو تعداد محاسن مونا كم (قوله أنا حسان مدحكم) أى أنا المشبه فى الاعتناء بمدحكم على أقصى ما يمكن بحسان بن ثابت شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى كان ينصب له منبرا فى مسجده ينافح أى يخاصم ويخاصم عليه كفار قريش ويرد عن رسول الله وهو يدعو له بقوله اللهم أيده بروح القدس أى بجبريل يلهمه ويلقى فى قلبه المعانى الجليلة وقوله فاذا نحت أى رفعت صوتى بالبكاء فانى الخنساء بنت عمرو بن قيس عيلان قدمت على رسول الله مع قومها بنى سليم الموالين له ولم تكن أسلمت اذ ذاك وانما أسلمت بعد وفاته صلى الله عليه وسلم فهى غير صحابية ولما قدمت على رسول الله نظرت عائشة عليها ثوب الحزن فسألتها عنه فذكرت لها سببه وهو أن زوجها افتقر فسألت أخاها صخرا فقاسمها فى ماله ثم احتاجت فسأله فقاسمها مرة أخرى وهكذا أربع مرات فعاتبته زوجته فأجابها أنه ما كفته عارها وانه لو هلك مزق عليه خمارها فلما هلك اتخذت هذا الثوب والمعنى

آل بيت النبي ان فؤادى
ليس يسلبه عنكم التأساء
غير أنى فوضت أمرى الى الله
وتفويضى الامور براء
رب يوم بكربلاء مسىء
خففت بعضه وزره الزوراء
والاعادى كأن كل طريح
منهم الزق حل عنه الوكاء
آل بيت النبي طبتم فطاب الـ
مدح لى فيكم وطاب الرثاء
أنا حسان مدحكم فاذا نحـ
ـت عليكم فاننى الخنساء

(قوله آل بيت النبي) أى يا آل وهم مؤمنو بنى هاشم وبنى المطلب وهم المذكورون فى قوله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا وأكثر المفسرين أنها نزلت فى على وفاطمة والحسن والحسين رضى الله تعالى عنهم وقيل نزلت فى نسائه صلى الله عليه وسلم ونسب لابن عباس وكان عكرمة ينادى بها فى الاسواق ورد بتذكير ضمير عنكم وما بعده وقال جمع نزلت فيهما اه صاوى (قوله فانى الخنساء) قال العلامة الصاوى وقوله فاذا نحت عليكم أى رفعت صوتى بالبكاء عليكم فانى مشبه نفسى بالخنساء بنت عمرو بن الشريد من سراة قبائل العرب منهم قيس عيلان قيل قدمت على رسول الله صلى الله عليه

فانى مشبهها فى نوحها على أخيها ورثاها له بالمعانى البديعة والمبانى البليغة ومحاسن الثناء وجوامع الرثاء وقد حضرت حرب القادسية مع بنيها وكانوا أربعة رجال فحرضتهم على الثبات بأبلغ تحريض فقاتلوا حتى قتلوا كلهم فقالت الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم وأرجو أن يجمعنى بهم فى مستقر الرحمة وكان عمر رضى الله عنه يعطيها أرزاقهم لكل واحد مائتان حتى قبض رضى الله عنه (قوله سدتم الناس) اى أيها الحسنان وذريتكما والمراد بالناس بالنسبة اليهم الكل لكن بالنسبة لما فيهم من البضعة الكريمة التى لا يعادلها شئ وقوله بالتقى أى زيادة على السيادة بالنسب لكن فضيلة النسب مختصة بهم وأما فضيلة التقى فليست مختصة فليس فى ذكرها كبير مدح الا أن يقال انه جاء عن كثير منهم من الزهد والتقوى والعبادة والعلم ما لم يجئ عن غيرهم فقد تميزوا عن أكثر الناس بكثرة التقى فيهم أكثر من غيرهم والمعنى كما سدتم الناس فى النسب سدتموهم بزيادة التقى الذى لا يوجد فى غيركم ولذا قال بعض العارفين القطب لا يكون الا منهم وقوله وسواكم أى وغيركم الذين لم يعملوا بعملكم لا سيادة لهم فى الدين أصلا بل ولا فى الدنيا عند الكمل من الناس وانما سودته أى السوى الجهلاء مثله وافراد الضمير نظرا للفظ السوى وقوله البيضاء أى الفضة وقوله الصفراء أى الذهب وتخصيص هذين لشدة التطلع اليهما أكثر من غيرهما (قوله وبأصحابك) أى وأقسم عليك بأصحابك وقوله الهداة أى الدالون للامة على الله ببيان ما يجب لهم ويجوز ويستحيل عليه وعلى رسله كذلك وعلى شريعته وعلى تهذيب النفوس وكمال الاخلاق والجهاد لله وغير ذلك وقوله والاوصياء أى الذين وصيتهم بأمور الدين والمجاهدة عليها ففتحوا الامصار والبلاد وساسوا الامة ونشروا فيها علوم الكتاب والسنة (قوله احسنوا بعدك) أى بعد وفاتك الخلافة عنك فى الدين بالقيام بجميع ما يجب أو تحسن مراعاته فى الامور الظاهرة والباطنة فقد أجمعوا على استخلاف أبى بكر ثم على استخلاف عمر ثم على استخلاف عثمان ثم على استخلاف على ثم على استخلاف ابنه الحسن ثم نزول الحسن لمعاوية الى أن تحملها عنهم التابعون ثم من بعدهم الى يوم القيامة وقوله وكل أى كل منهم وقوله لما تولى أى تولاه أى فى حياته صلى الله عليه وسلم وبعد وفاته من الخلافة والامارة والقضاء وتجهيز الجيوش وحفظ الثغور والحصون وغير ذلك وقوله ازاء بكسر الهمزة وبالزاء ككتاب أى قائم بما تولاه أهل له فى أى بقعة أو زمن كان (قوله اغنياء) معطوف بعاطف مقدر على قوله الهداة وكذا يقال فيما بعده وقوله نزاهة منصوب على التمييز أى من جهة النزاهة والتعفف عن جمع المال وان كان من جهة يقطع بحلها لان محط نظرهم الزهد والتجرد المطلق عن سائر القواطع عن الله وقد قال صلى الله عليه وسلم ليس الغنى بكثرة العرض اى المال وانما الغنى غنى النفس أى بالله عما سواه سواء كان بيده مال أم لا ومن كان منهم بيده مال كابن عوف وعثمان والزبير فانما كان خازنا لله تعالى يصرفه فى مصارفه الشرعية وكون المخلف عن ابن عوف ربع ثمنه ثمانون ألف دينار لا ينافى ما تقرر أنه انما كان خازنا لله تعالى لان الخازن لله ليس معناه أن يخرج جميع ما فى يده دفعة بل يبقيه ويخرج منه ما هو المطلوب فى كل حال أو زمن وقوله فقراء أى كلهم بل كلهم لان ذوى الغنى منهم كانوا خزانا لله كما مر فلا يعدون أغنياء الا باعتبار الصورة وبما تقرر فى معنى غناهم وفقرهم يعلم أن الغنى الشاكر أفضل من الفقير الصابر لان الغنى هو الذى ختم به أمره صلى الله عليه وسلم وهو كان دائم الترقى فى الكمالات فلولا الغنى مع الشكر أفضل من الفقر مع الصبر ما ختم له به وقوله علماء أى لانهم ورثوا من علومه ما تميزوا به عن جميع من جاء بعدهم وقوله أئمة أى قدوة من حيث ان كلا منهم فيه قوة الاجتهاد المطلق فهو قدوة يقتدى به فى الخير وقوله أمراء أى كثير منهم تولوا الامارة فى زمن رسول الله وفى زمن الخلفاء الراشدين فقاموا بحقوقها وعدلوا فيها ومما يدل على أنهم أغنياء نزاهة لا غير انهم زهدوا فى الدنيا الخ (قوله زهدوا فى الدنيا) بضم الدال وحكى كسرها من الدنو أى القرب لقربها من الزوال جدا وهى الاموال وتوابعها من نحو الجاه والفخر والكبر والخيلاء ولفظها مقصور بلا تنوين والزهد الاقتصار على قدر الحاجة من الحلال

سدتم الناس بالتقى وسواكم سودته البيضاء والصفراء
وبأصحابك الذين هم بعدك فينا الهداة والاوصياء
أحسنوا بعدك الخلافة فى الدين وكل لما تولى ازاء
اغنياء نزاهة فقراء علماء أئمة أمراء
زهدوا فى الدنيا فما عرف الميل اليها منهم ولا الرغباء

وسلم مع قومها بنى سليم فنظرت عائشة اليها فوجدت عليها ثوب الحزن فأخبرتها بأنه صلى الله عليه وسلم نهى عنه فاعتذرت بأنها لم تعلم بالنهى اهـ

(قوله زهدوا الخ) قال العلامة الصاوى والزهد أخذ ما يحتاج اليه من الحلال وترك ما لا يحتاج اليه منه وهم على قسمين فأكثرهم ترك تحصيلها بالكلية واشتغل بالعلوم والمعارف ونشرها وبالعبادات حتى لم يبق من أوقاته شئ الا وشغله وكثير منهم حصلوها ولم يمسكوها لانفسهم بل لاخراجها على مستحقيها بحسب نظرهم واجتهادهم فلذلك ما عرف الميل اليها منهم ولا الرغباء اى لم يلتفت أحد منهم بقلبه نوع التفات ولا كل التفات الى الدنيا لحقارتها فى أعينهم اهـ

وكان الصحابة فيها على قسمين فأكثرهم كأهل الصفة ترك السعي في تحصيلها بالكلية واشتغل بالعلوم والمعارف وبالعبادات وكثير منهم حصلها لكن كانوا فيها خزانا لله تعالى كما مر وقوله فما عرف الميل أي الالتفات لحقارتها في أعينهم وقوله ولا الرغباء أي الزيادة في تحصيلها وهذا عرف من نفي الميل بالاولى فذكره اطناب ولا ينافي هذا ثناؤه صلى الله عليه وسلم على المال بقوله نعم المال الصالح في يد الرجل الصالح لان المال له جهتان جهة خير بصرفه في الطاعات وجهة شر بصرفه في ضدها وبالنظر الى هذه الجهة يذم ويقبح ولهذا قال صلى الله عليه وسلم اللهم من أحبني فأقلل ماله وأمت ولده الحديث (قوله أرخصوا) أي أذلوا وأهانوا من الرخص ضد الغلاء وقوله في الوغى أي بسببه ففي سببية وتقدم أن الوغى معناه في الاصل الجلبة والاصوات في الحرب والمراد به هنا نفس الحرب وقوله نفوس ملوك أي فكيف بغير الملوك وقوله حاربوها أي بقوة عزم وشدة حزم وصدق نية وقوله أسلابها أي تلك الملوك بفتح الهمزة جمع سلب بفتح اللام وهو ثياب القتيل وفرسه وسلاحه وقوله اغلاء بكسر الهمزة اسم مصدر ولا يشعر لكن بمعنى اسم الفاعل أي غالية الاثمان وفي بعض النسخ ضبطه بفتح الهمزة وكأنه جمع غال كداء وأدواء (قوله كلهم) أي كل منهم في أحكامه الضمير لكل بمعنى حكم والمراد بها النسب التامة بين المحمول والموضوع وقوله ذو اجتهاد الافراد فيه وفيما بعده باعتبار لفظ كل وانما كانوا ذوي اجتهاد لتوفر شروط الاجتهاد كلها في جميعهم ولذلك لم يعرف أن أحدا منهم قلد غيره في مسألة وقوله وصواب أي وذو صواب يعني وذو ثواب ولو عبر به لكان أولى لان ابقاءه على حقيقته انما يأتي على القول الضعيف ان كل مجتهد مصيب أما على الاصح ان المصيب واحد فلا يقال كل ذو صواب بل ذو ثواب المخطئ منهم والمصيب وقوله وكلهم أكفاء أي متكافئون في أصل الصحبة والفضيلة والعلم والاجتهاد وانما يتفاوتون في الزيادة في ذلك وأجمعوا على أن أفضل الناس بعد الانبياء أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي ثم بقية العشرة ثم أهل بدر ثم أهل بيعة الرضوان وقيل أهل أحد (قوله رضي الله عنهم ورضوا عنه) رضا الله عن العبد تأمينه من سخطه واحلاله دار كرامته ورضا العبد عن الله أن لا يختلج في قلبه حزازة من وقوع قضاء من أقضية الحق به من امن بل يتعلق لذلك برد اليقين ويشهد فيه المصلحة العظمى قال السنوسي في شرح الوسطى رضا الله تعالى اما صفة فعل بمعنى الانعام أو صفة ذات بمعنى ارادة الانعام ويتعين الاول في مقام الدعاء لان الدعاء انما يكون بمستقبل غير حاصل في الحال وارادة الله ازلية يستحيل تجددها حتى يتعلق بها الدعاء وفي الغنيمي عليه ولك أن تقول لا يتوصل بعد تعوز ارادة الثاني نظرا لتعلق الارادة الحادث وذلك لا يستحيل تجدده وقوله فأنى يخطو أي فبسببه اذكر من أوصافهم أنى استفهام انكاري تعجبي وقوله يخطو اليه أي يصل اليه اذ الخطوة ما بين القدمين وقوله خطاء بفتح الخاء ومده كما هنا لغة وهو نقيض الصواب يعني لا يخطئ واحد منهم خطأ يأثم به لما مر أنهم كلهم مجتهدون وأن المجتهد اذا أخطأ له أجر (قوله جاء قوم) أي جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم قوم من الصحابة من بعد قوم وهكذا الى وفاته وكأن الناظم أشار بهذا الى ما في البخاري في قصة هرقل أنه سأل أبا سفيان عن أصحاب محمد أيزيدون أو ينقصون فقال بل يزيدون فبين له هرقل أن من شأن الرسل أن أصحابهم كذلك فعلم أن مجيء الصحابة قوما بعد قوم من علامات نبوته واندفع ما قد يقال أي فائدة في هذه الجملة وقوله بحق بلا طعن فيهم لطاعن وما تقوله الرافضة وغيرهم في حق بعضهم خطأ صراح ظهوره أغنى عن التعرض لرده وقوله وعلى المنهج أي الطريق الواضح وقوله الحنيفي أي المستقيم الذي لا انحراف فيه ولا اعوجاج وقوله جاؤا أي كلهم وتابعوهم باحسان وهكذا لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك (قوله ما لموسى) كليم الله ولا لعيسى روح الله وقوله حواريون جمع حواري وهو الناصر وصار ذلك علما بالغلبة على أصحاب عيسى لانهم كانوا يحورون الثياب أي يقصرونها أو من الحواري بضم الحاء وتشديد الواو وفتح الراء وهو الدقيق الابيض

ارخصوا في الوغى نفوس ملوك
حاربوها أسلابها اغلاء
كلهم في أحكامه ذو اجتهاد
وصواب وكلهم أكفاء
رضي الله عنهم ورضوا عنه
فأنى يخطو اليهم خطاء
جاء قوم من بعد قوم بحق
وعلى المنهج الحنيفي جاؤا
ما لموسى ولا لعيسى حواريـ
ـون في فضلهم ولا نقباء

(قوله جاء قوم) قال العلامة الصاوي وقوله جاء قوم من بعد قوم بحق أي جاء للنبي قوم من الصحابة من بعد قوم أي السابقون الاولون ثم الذين بعدهم وهكذا الى وفاته صلى الله عليه وسلم وكأن الناظم أشار بهذا الى ما في صحيح البخاري عن هرقل أنه سأل أبا سفيان عن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أيزيدون أم ينقصون فقال بل يزيدون فعلم أن مجيء الصحابة قوما من بعد قوم من علامات نبوته صلى الله عليه وسلم اه

لبياض ألوانهم وقوله في فضلهم أي بشهادة نص الآية كنتم خير أمة وقوله ولانقباء أي في فضلهم أيضا وهو لف ونشر مشوش اذ الحواريون لعيسى والنقباء لموسى وفي البيضاوي الحواري من الحور وهو البياض الخالص ومنه الحور العين لخلوص ألوانهن سمي بذلك أصحاب عيسى لخلوص نيتهم وصفاء سريرتهم وقيل كانوا ملوكا يلبسون البياض فاستنصرهم عيسى من اليهود وقيل كانوا قصارين يحورون الثياب أي يبيضونها (قوله بأبي بكر) لما أقسم بالصحابة كلهم اجمالا خصص العشرة المقطوع لهم بالجنة مرتبا للاربعة الاول منهم على ترتيبهم في الافضلية والاحقية بالخلافة فقال وأقسم عليك بأبي بكر فهو عطف على بالعلو بحذف حرفه ويصح أنه وما بعده أبدال مفصلة من بأصحابك وقوله الذي صح الخ أي الذي تميز عن سائر الصحابة بما كان كالصريح في أنه الخليفة الحق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ما صح من طرق كثيرة بحيث اشتهر بل تواتر وصار معلوما من الدين بالضرورة وقوله للناس به في حياتك كل من الظروف الثلاثة متعلق بالاقتداء الذي هو فاعل صح فمن تلك الطرق ما أخرجه الشيخان اشتد مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مروا أبا بكر فليصل بالناس فقالت عائشة يا رسول الله انه رقيق القلب اذا قام مقامك لم يستطع أن يصلي بالناس فقال مري أبا بكر فليصل بالناس فعادت فقال مري أبا بكر فليصل بالناس فانكن صواحب يوسف فأتاه الرسول فصلى بالناس في حياة رسول الله وفي رواية انه أمرهم بالصلاة وكان أبو بكر غائبا فتقدم عمر فكبر وكان صيتا فقال رسول الله بعد أن أخرج رأسه من حجرته لا لا يأبى الله والمسلمون الا أبا بكر ثلاثا وفي البيت التلويح لهذه القصة قال العلماء وفيها أوضح دليل على أنه أفضل الصحابة مطلقا وأحقهم بالخلافة وأولاهم بالامامة ومن ثم أجمعوا على ذلك لان تقديمه بحضرة المهاجرين والانصار مع قوله يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله أي أعلمهم بالقرآن صريح في أنه أعلمهم مطلقا وقد استدل الصحابة أنفسهم بهذا على أنه أحق بالخلافة حتى قال علي قد أمره رسول الله أن يصلي بالناس وأنا شاهد وما بي مرض فرضينا للدنيا ما رضيه النبي لديننا وما أحسن قول من قال صلى أبو بكر بالناس ثمانية أيام والوحي ينزل فسكت الله وسكت رسوله وسكت المسلمون ومعنى سكوت الله أنه لم ينزل وحيا بنهيه عن الامامة (قوله والمهدي) أي المسكن للفتنة والاضطراب في أمر الخلافة يوم السقيفة التي لبني ساعدة من الانصار حين اجتمعوا بعد دفنه صلى الله عليه وسلم فيها الى سعد بن عبادة سيد الخزرج ليولوه وقوله لما أرجف الناس أي حين أرجفوا بالبناء للمفعول أي اضطربوا في أمر الخلافة وقوله انه تعليل للمهدي ولا ينافيه كسران لانها مع كونها للاستئناف قد تفيد التعليل أيضا كما صرحوا به في ان الحمد والنعمة لك في التلبية وقوله الدأداء أي المسكن للاضطراب المشهور بذلك قديما وحديثا وفي الصحيحين عن عمر أنهم لما دفنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم تخلف علي والزبير ومن معهما في بيت فاطمة وتخلفت الانصار بأجمعها في سقيفة بني ساعدة واجتمع المهاجرون عند أبي بكر فقال له عمر انطلق بنا الى الانصار فذهبوا اليهم فوقع اضطراب كثير ثم خطب أبو بكر وأثنى على الانصار ثم بين لهم أن الخلافة لا تكون الا في قريش واحتج بالحديث الصحيح الائمة من قريش ثم قال رضيت لكم اما عمر واما أبا عبيدة وأخذ بيديهما وقال بايعوا من شئتم منهما فكثر اللغط وخيفت الفتنة فبادر عمر وقال لابي بكر ابسط يدك فبسطها فبايعه فتبعه المهاجرون ثم الانصار ولما بايعوه وجاؤا الى المسجد صعد على المنبر فقام عمر فتكلم قبله فحمد الله ثم أثنى على أبي بكر ثم قال قوموا فبايعوه بيعة عامة فبايعه الناس فخطب أبو بكر ثم قال وليت عليكم ولست بخيركم فان أحسنت فاعينوني وان أسأت فقوموني أي عدلوني أطيعوني ما أطعت الله ورسوله فاذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم ثم نظر فلم ير الزبير فدعا به فجاء فتكلم عليه فقال لا تثريب عليك يا خليفة رسول الله فبايعه ثم لم ير عليا فدعا به فجاء فتكلم عليه فقال لا تثريب عليك يا خليفة رسول الله فبايعه واستدل كل منهما حينئذ على أحقيته بالخلافة بانه صاحب الغار وبتقديمه للامامة فصار هو الخليفة حقا باجماعهم وصار عمر بالنسبة اليه كالوزير يراجعه في

بأبي بكر الذي صح للنا
س به في حياتك الاقتدا
والمهدي يوم السقيفة لما
أرجف الناس أنه الدأدا

(قوله فقالت عائشة الخ) وفي رواية أنها لما راجعته فلم يرجع لها قالت لحفصة قولي له يأمر عمر فقالت له فاشتد غضبه وقال مروا أبا بكر وفي رواية أخرى أنه في فجر الاثنين يوم موته كشف سجف حجرته فرآهم في صلاة الصبح وأبو بكر يصلي بهم فتبسم يضحك فنكص أبو بكر على عقبيه ظنا انه يريد الخروج اليهم وهم المسلمون أن يفتتنوا في صلاتهم فرحا به فأشار اليهم بيده أن أتموا صلاتكم ثم دخل الحجرة وأرخى الستر فتوفي ضحى ذلك اليوم وفي البيت التلميح لهذه القصة اهـ ساوي

أنقذ الدين بعدما كان للدين على كل كربة اشفاء

أنفق المال في رضاك ولا من وأعطى جما ولا اكداء

وأبي حفص الذي أظهر الله به الدين فارعوى الرقباء

المهمات (قوله أنقذ الدين) بالقاف ثم الذال المعجمة أي نجاه بازالة كل شبهة عنه ونجى أهله بازالة أسباب الفساد بينهم وقوله بعدما كان ما مصدرية وكان تامة أي وجد وقوله للدين متعلق بفاعلها وهو اشفاء وعلى كل كربة متعلق به أيضا والكربة الغم الذي يأخذ النفس والاشفاء الاشراف أي بعدما كان اشراف للدين وقرب يخشى منه أن لا يجتمع في الاسلام بعده شمل أبدا ومن ثم قال أبو هريرة لولا أبو بكر ما عبد الله بعد محمد أبدا وذلك لانهم عند موته صلى الله عليه وسلم طاشت عقولهم من الغم والحزن حتى أنكر بعضهم موته فقال أبو بكر من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات الخ ولما اختلفوا في دفنه فقال بعضهم في البقيع وبعضهم في مكة وبعضهم في بيت المقدس روى لهم أبو بكر حديث ان كل نبي يدفن في المحل الذي توفي فيه وأيضا اختلفوا في ارثه فروى لهم حديث نحن معاشر الانبياء لا نورث ما تركناه صدقة فرجعوا اليه في هذا كله ومن ثم علم أنه كان أحفظهم للسنة وانما سبب قلة الرواية عنه قصر مدة خلافته واشتغاله بقتال المرتدين ومانعي الزكاة ومسيلمة الكذاب (قوله أنفق المال) أي الكثير الذي كان عنده أي صرفه في مصارف الخير جميعه وقوله في رضاك أي من أجل رضاك كما جاء به القرآن قال تعالى وسيجنبها الاتقى الى آخر السورة أجمع المفسرون على أنها نزلت في أبي بكر وفي الحديث انه ليس من الناس أحد أمن علي في نفسه وماله من أبي بكر وأخرج الترمذي ما لاحد عندنا يد الا وقد كافأناه بها ما خلا أبا بكر فان له عندنا يدا يكافئه الله بها يوم القيامة وما نفعني مال أحد قط ما نفعني مال أبي بكر فبكى أبو بكر وقال هل أنا ومالي الا لك يا رسول الله وكان صلى الله عليه وسلم يقضي في مال أبي بكر كما يقضي في مال نفسه وأخرج ابن عساكر أنه أسلم وله أربعون ألف دينار وفي رواية أربعون ألف درهم فانفقها على رسول الله صلى الله عليه وسلم وصح عن عمر أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نتصدق فقلت اليوم أسبق أبا بكر ان سبقته يوما فجئت بنصف مالي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أبقيت لاهلك يا عمر قلت أبقيت مثله فأتى أبو بكر بكل ما عنده فقال رسول الله ما أبقيت لاهلك يا أبا بكر فقال أبقيت لهم الله ورسوله فقلت لا أسبقه الى شئ أبدا وقوله ولا من أي والحال أنه لا من منه عليك بما أنفقه وان كثر وانما المنة لك عليه وعلى غيره والمن ذكر النعمة على جهة الافتخار ومن ثم حرم تحريما غليظا على نحو متصدق أن يمن على المتصدق عليه بأن يعدد عليه ما أعطاه له أو يذكره لمن لا يحب اطلاعه عليه وقوله وأعطى جما أي عطاء كثيرا في وجوه الخير والمصارف منها اعطاؤه في محل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان صلى الله عليه وسلم اشتراه بعشرة دنانير ووزنها من مال أبي بكر وكان قد خرج من مكة بماله كله فكان له في ذلك المسجد الاعظم ثواب لا يقدر قدره واشترى أيضا جماعة أسلموا فعذبهم أهل مكة وأعتقهم منهم بلال وغيره وقوله ولا اكداء أي قطع للعطاء أي لم يقطع اعطاءه بل استمر عليه حتى توفاه الله تعالى (قوله وأبي حفص) أي وأقسم عليك بأبي حفص وقوله الذي أظهر الله به الدين أي كما جاء في سبب تسميته بالفاروق فقد جاء في الحديث أنه سئل عن ذلك فذكر أن حمزة أسلم قبله بثلاثة أيام والنبي صلى الله عليه وسلم مختف بدار الارقم وأسلم عمر بعده بثلاثة أيام وذلك أنه لما أراد قتله الخبر قال دلوني على محمد فتوشح سيفه وذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في دار الارقم فضرب الباب فسمع المسلمون صوته فاستجمعوا وخوفا منه فقال لهم حمزة ما لكم قالوا عمر فقال حمزة افتحوا له الباب فان أقبل قبلناه وان أدبر قتلناه فسمع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج له فأخذ بمجامع ثوبه وجذبه فتشهد فكبر أهل الدار تكبيرة سمعها أهل المسجد قال عمر فقلت يا رسول الله ألسنا على الحق قال بلى قلت ففيم الاختفاء فخرجنا صفين أنا في أحدهما وحمزة في الآخر حتى دخلنا المسجد فنظرت قريش الي والى حمزة فأصابتهم كآبة شديدة فسماني رسول الله يومئذ الفاروق فرق الله بي بين الحق والباطل وصح أنه لما أسلم نزل جبريل فقال يا محمد قد استبشر أهل السماء باسلام عمر وعن أبي سعيد رضي الله عنه قال ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر كان اسلامه فتحا وهجرته نصرا وامارته رحمة ولقد رأيتنا وما نستطيع أن نصلي الى البيت حتى أسلم

(قوله ثم قال أبو هريرة) عبارة العلامة الصاوي قال أبو هريرة رضي الله عنه لولا أبو بكر ما عبد الله بعد محمد صلى الله عليه وسلم أبدا فانهم يوم وفاته صلى الله عليه وسلم طاشت عقولهم حتى تكلموا بكلمة غير منتظمة الا أبا بكر فانه كان غائبا فلما حضر دخل وكشف عن الوجه الكريم فقبله وقال لقد طبت حيا وميتا لا يجمع الله عليك بين موتتين ثم خرج وتلا عليهم وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الى الشاكرين فلما سمعوه ردت اليهم عقولهم فقبلوها وتلوها حتى ان عمر أنكر موت النبي صلى الله عليه وسلم وقال ذهب الى ربه فأسكته أبو بكر فأقبل على الناس فسمعوا اليه وتركوا عمر فقال أيها الناس الخ اه

(قوله فتوشح سيفه) وذلك أنه أنكر على من أسلم فقال

عمر فقاتلهم حتى تركونا وخلوا سبيلنا وعن حذيفة قال لما أسلم عمر كان الاسلام كالرجل المقبل لا يزداد الا قوة فلما قتل كان الاسلام كالرجل المدبر لا يزداد الا ضعفا وقوله فارعوى أى فبسبب قوته وشدة شكيمته ارعوى أى رجع وأقلع وانكف الرقباء أى الاعداء عما كانوا عليه من الافساد فى الدين وايذائهم للنبى وأصحابه (قوله والذى) أى وهو أيضا الامام العادل القوى فى الله الذى تقرب الاباعد عنه فى النسب وقوله فى الله أى لاجل رضا الله وقوله اليه وفى نسخة لديه متعلق بتقرب فيكونون بذلك أولى عنده من أقاربه الذين ليسوا كذلك وقوله وتبعد أى عنه القرباء أى قرباؤه ان لم يوافقوه على الدين فلم يحاب قريبا ولا صديقا ولا رياء عنده ولا سمعة ولا حمية ولا عصبية (قوله عمر) بالجر بدل من أبى حفص أو بالرفع خبر مبتدا محذوف وقوله قوله الفصل مبتدأ وخبر صلة من أى الفاصل بين الحق والباطل وقوله السوى أى الذى لا عوجاج فيه وقوله السواء تأكيد أى المعتدل (قوله فر) أى هرب منه الشيطان أى ابليس وكل متمرد انسى أو جنى وقوله اذ كان فاروقا أى لاجل ان كان فاروقا وقوله فالنار أى فبسبب ما منحه من النور الذى يفرق به بين الحق والباطل ويفر الشيطان منه بسببه وقوله للنار أى التى هى أصل الشيطان وقوله من سناه بالقصر أى ضوئه وقوله انبراء أى انمحاء والاصل فى ذلك أحاديث منها يا ابن الخطاب والذى نفسى بيده ما لقيك الشيطان سالكا فجا قط الا سلك فجا غير فجك ومنها حديث لو كان بعدى نبى لكان عمر بن الخطاب ومنها حديث انى لأنظر الى شياطين الانس والجن قد فروا من عمر ومنها حديث انه صلى الله عليه وسلم قال له يا أخى أشركنا فى صالح دعائك ولا تنسنا (قوله وابن عفان) أى وأقسم عليك أيضا بذى النورين أبى عمرو عثمان بن عفان ذى الايادى أى صاحب الايادى أى النعم جمع أيد جمع يد والراجح كما حقق فى حواشى المطول أن الايادى تطلق حقيقة على النعم والجوارح المعروفة وقوله طال أى عظم وامتد وقوله بها متعلق بقوله الاسداء أى الاعطاء (قوله حفر البئر) أى بئر رومة وذلك أنها كانت ليهودى مقدمه صلى الله عليه وسلم المدينة وليس بها ماء عذب غيرها فقال من حفر بئر رومة أو من اشتراها فله الجنة فاشتراها عثمان بعشرين ألف درهم وحفرها أى زاد فى حفرها وهى موجودة الى الآن فثوابها مستمر له الى يوم القيامة وفى رواية أن عثمان اشترى من اليهودى نصفها بمائة بكرة واقتسماها يوما لهذا ويوما لهذا وأوقف نصيبه على المسلمين فجعل الناس يستقون منها فى يوم عثمان ليومين فلما رأى اليهودى أنه قد امتنع عنه ما كان يصيبه من ثمن الماء الذى يبيعه منها باع النصف الثانى بشئ يسير لعثمان فتصدق بها كلها وتعبير الناظم بالحفر تبع فيه بعض الرواة ولم يبال بقول من قال التعبير بالحفر وهم من بعض الرواة وانما المعروف أنه اشتراها و يجاب بأنه لا مانع من أنه اشتراها ثم زاد فى تعميقها مبالغة فى تكثير مائها لشدة احتياج الناس اليها وقد كان قبل شرائه لها تباع القربة منها بمد والمدهنالك بقدر الربع المصرى أو أزيد بيسير وقوله جهز الجيش أى جيش العسرة فى غزوة تبوك مكان بينه وبين المدينة ثمانية عشر يوما وكانت فى السنة التاسعة وسمى جيشها جيش العسرة وتسمى أيضا غزوة العسرة لتعسر السير فيها من قلة المركوب بالنسبة الى الجيش فقد كانت العشرة منهم يتعاقبون على البعير الواحد ومن قلة الزاد والماء وشدة الحر حتى كادت أعناقهم تتقطع عطشا ومنهم من نحر بعيره وامتص فرثه وجعله على بطنه وقد حمل فيها عثمان على ألف بعير وسبعين فرسا وأتى بعشرة آلاف دينار فوضعها بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يقلبها ويقول ما ضر عثمان ما فعل بعد اليوم ويقول غفر الله لك يا عثمان ما أسررت وما أعلنت وما هو كائن الى يوم القيامة وعن أبى هريرة اشترى عثمان الجنة من النبى صلى الله عليه وسلم مرتين حيث حفر بئر رومة وحيث جهز العسرة وفى حديث قال صلى الله عليه وسلم من يشترى هذا المربد ويزيده فى مسجدنا فله الجنة فاشتراه عثمان بعشرين ألفا وزاده فى المسجد والمربد محل تجفيف الثمار وقوله أهدى الهدى أى الى مكة وأرسله اليها عام الحديبية حين توجه صلى الله عليه وسلم ومعه ألف وأربعمائة من أصحابه فى ذى القعدة سنة ست يريد

والذى تقرب الاباعد فى الله
اليه وتبعد القرباء

عمر بن الخطاب من قوله الفصـ
ـل ومن حكمه السوى السواء

فر منه الشيطان اذ كان فارو
قا فللنار من سناه انبراء

وابن عفان ذى الايادى التى طا
ل الى المصطفى بها الاسداء

حفر البئر جهز الجيش أهدى الـ
ـهدى لما أن صده الاعداء

له ان أختك وختنك أى سعيد بن زيد أحد العشرة المبشرين بالجنة قد أسلما فجاء فضرب رأس أخته فأدماه فقالت له كان ذلك على رغم أنفك فاستحى حين رأى الدم وجلس وسألها أن تريه الكتاب فقالت لا يمسه الا المطهرون فاغتسل فأخرجوا له صحيفة فيها بسم الله الرحمن الرحيم طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى الآيات فعظمت فى صدره فقال خباب وكان النبى صلى الله عليه وسلم أرسله ليعظ أخته وزوجها انى لأرجو أن يكون الله خصك بدعوة نبيه فانى سمعته أمس يقول اللهم أعز الاسلام بعمرو بن هشام أى أبى جهل أو بعمر بن الخطاب فقال دلنى عليه فتوشح بسيفه الخ ما قال اهـ صاوى

العمرة فمنعته قريش عن دخول الحرم فلهذا قال لما أى حين صدّه عن الدخول الاعداء أى المشركون وتخصيص عثمان بالهدى مع أن غيره كان معه الهدى أيضا لكن هو أرسل هديه الى مكة فنحر بها وغيره نحر هديه بالحديبية فقد كان صلى الله عليه وسلم أرسله لقريش بمكة لعزته بقومه فيها فلما رجع وجد الصحابة قد نحروا بالحديبية فأرسل هو هديه الى مكة فظهرت خصوصيته على غيره بهذا الاعتبار (قوله وأبى) أى امتنع لما أرسله النبي الى أهل مكة حين صدّوه عن دخول مكة فقال لعمر اذهب فاستأذن لنا ليخلوا بيننا وبين الكعبة فقال يا رسول الله ليس لى هنالك أحد من بنى عدى يمنعنى ولكن أرسل عثمان فان بنى عمه هنالك يمنعونه من قريش فأرسله صلى الله عليه وسلم ليكلم أشراف قريش فى أن يرجعوا عن منعه وأن يمكنوه من دخولها ليؤدى عمرته وينحر هديه ولما أرسله صلى الله عليه وسلم أمسك عنده سهيل بن عمرو ومنهم حتى يأتى عثمان فلما وصل اليهم عثمان كلمهم فلم يقبلوا واحتبسوه عندهم وقالوا له ان شئت أن تطوف بالبيت فطف فأبى حينئذ أن يطوف بالبيت وقوله اذ لم يدن اذ تعليلية أى لم يقرب منه أى البيت وقوله الى النبي متعلق بيدن وقوله فناه هو ما امتد من جوانب البيت وما احتبسوه علم النبي صلى الله عليه وسلم أن عثمان قد قتل فدعا الناس الى بيعة الرضوان فبايعهم تحت الشجرة على القتال وأن لا يفروا ولما بايع الناس وعثمان غائب قال اللهم ان عثمان فى حاجة الله وحاجة رسوله فضرب بيده اليمنى على اليسرى أى وضعها عليها وقال هذه بيعة عثمان فكانت يد رسول الله لعثمان خيرا من أيديهم لانفسهم ولما سمع المشركون هذه البيعة خافوا فأرسلوا عثمان (قوله بعزته) أى فبسبب ما وقع من عثمان من امتثاله أمر النبي وذهابه الى العدو ولم يبال لاحتمال أن يقتلوه ومن تأدبه مع رسول الله الادب البالغ بتركه الطواف مع اذنه لهم فيه جزته عنها أى عن تلك الفعلة التى فعلها وهى الذهاب اليهم والامتناع من الطواف وقوله ببيعة رضوان أى فيها فالباء بمعنى فى وسميت بيعة الرضوان لقوله تعالى لقد رضى الله عن المؤمنين الآية وقوله يد من نبيه أى عن عثمان وقوله بيضاء أى بالغة فى الكرم الذى عم الانام الى مبلغ ضوء الشمس وعمومه العالم ولم تجازه تلك اليد البيضاء والذى وقع منه من الامتناع من الطواف لاجل غيبة النبى وعدم تمكينهم من الدخول أدب الخ (قوله أدب) أى عظيم عنده ومن عجيب هذا الادب أنه حصل فيه أمر عظيم وفعل مستغرب جسيم وذلك أنه مع كونه ترك الفعل العبادة تضاعفت الاعمال التى فى ذلك الفعل وهو الطواف أى ثوابها وقوله بالترك أى بسبب الترك لذلك العمل لاجله صلى الله عليه وسلم فكان الترك هنا أفضل من الفعل لو وقع منه لانه ليس فيه هذا الادب الذى بلغ به عثمان ما لم يبلغ غيره وهذه خصوصية لعثمان فاذا أحق أن يقال فيه وفى غيره على سبيل المدح حبذا الادباء وعثمان من أجلهم لانه كان عنده من الحياء الذى هو منشأ الادب ما لم يكن عند غيره وقد جاء أن النبى استحيا منه وقال عثمان حيى تستحى منه الملائكة الرحمة قال العلماء ولا يعرف أحد تزوج بنتى نبى غيره ولهذا سمى ذا النورين وقال وهو محصور يوم قتل انه اختبأ عند ربه أى أعطاه ربه عشرا أنه رابع أربعة فى الاسلام وأنكحه صلى الله عليه وسلم ابنتيه وما تغنى وما تمنى ولا وضع يمينه على فرجه منذ بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم وما مرت به جمعة منذ أسلم الا وأعتق فيها رقبة أى فجملة ما أعتقه ألفان وأربعمائة رقبة تقريبا ولا زنى ولا سرق جاهلية ولا اسلاما وجمع القرآن فى المصحف على هذا الترتيب المعروف اليوم وقد جمعه الصديق قبل ذلك فى خلافته لكن لا على هذا الترتيب (قوله وعلى) أى وأقسم عليك أيضا بعلى وسبق الاقسام به لكن من حيث المعجزة التى وقعت له فى خيبر كما تقدم وأما الاقسام به هنا فهو من حيث ذاته ولاجل أن يبين ما هو مذهب أهل السنة وأكثر الفرق من أن الخلافة والافضلية على هذا الترتيب السابق ذكره فأفضلهم أبو بكر ثم عمر وهذا اجماع من الصحابة ومن بعدهم لا نزاع فيه فهو قطعى ثم عثمان ثم على وهذا ما عليه الاكثرون فهو ظنى لا قطعى وخالف فيه سفيان الثورى ومالك وغيرهما فقالوا بأفضلية على على عثمان وان كان عثمان

وأبى أن يطوف بالبيت اذ لم
يدن منه الى النبي فناه
بعزته عنه ببيعة رضوا
ن يد من نبيه بيضاء
أدب عنده تضاعفت الاعـ
ـمال بالترك حبذا الادباء
وعلى صنو النبي ومن دين
فؤادى وداده والولاء

(قوله وتخصيص عثمان الخ) عبارة العلامة الصاوى ووجه تخصيص عثمان بذلك أن هديه وصل الى مكة بخلاف هدى غيره لان النبي وأصحابه لما أيسوا من دخول مكة ومن ارسال هداياهم نحروها بالحديبية وعثمان لغيبته تأخر نحر هديه حتى حصل الصلح وأدخله ونحره بها اهـ

ووزير ابن عمه في المعالي
ومن الاهل تسعد الوزراء
لم يزده كشف الغطاء يقينا
بل هو الشمس ما عليه غطاء

أحق منه بالخلافة وهل تجب محبتهم برعاية أفضليتهم فيه تفصيل وهو أنه ان كانت من حيث الدين والعلم ومحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وجب هذا الترتيب وان كانت لنحو قرابة أو لاحسان لم يجب رعايتها على هذا الترتيب وقوله صنو النبي أي مثله من حيث اجتماعهما في أصل واحد وهو عبد المطلب فهما كنخلتين أصلهما واحد وفي حديث الترمذي فانما عم الرجل صنو أبيه وهذا من هذا القبيل وقوله ومن دين أي والذي دين أي اعتقاد فؤادي أي قلبي وداده أي حبه وقوله والولاء بفتح الواو أي موالاته أي مناصرته والذب عنه والرد على من نازع في خلافته ولتأكد الذب عنه لكثرة أعدائه من بني أمية والخوارج الذين بالغوا في سبه وتنقيصه حتى على المنابر خصه الناظم بذلك ولهذا اشتغل أكابر الحفاظ بنشر فضائله نصحا للامة ونصرة للحق ومن ثم قال أحمد ما جاء لاحد من الفضائل ما جاء لعلي **(قوله ووزير ابن عمه)** أي ناصره وحامل كل ثقل نابه وقوله في المعالي أي الدينية والدنيوية جمع العلا وهو الرفعة والشرف وأصل هذا ما جاء في الحديث أنه صلى الله عليه وسلم لما خلف عليا على المدينة في غزوة تبوك قال يارسول الله تخلفني مع النساء والصبيان فقال أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هرون من موسى الا أنه لا نبي بعدي وليست الوزارة خاصة بعلي فقد أخرج الترمذي حديث ما من نبي الا وله وزيران من أهل السماء ووزيران من أهل الارض فأما وزيراي من أهل السماء فجبريل وميكائيل وأما وزيراي من أهل الارض فأبو بكر وعمر بل قد يستشكل ذكر الناظم الوزارة في علي دونهما مع أنها لم ترد فيه لفظا وصحت فيهما وقد يجاب بأنها وردت فيه بمعناها على وجه أبلغ من لفظها وهو قوله أنت مني بمنزلة هرون من موسى فان هذه الوزارة المستفادة من هذا أخص من مطلق الوزارة الواردة فيهما ومما يؤيد هذه الوزارة الخاصة كونه صلى الله عليه وسلم آخاه دون غيره وأرسله مؤذنا على الناس بسورة براءة في موسم الحاج مع أن الخليفة على الحج أبو بكر وذلك لان العرب لا يقبلون من يبلغ عن الكبير الا ان كان من أهله وجلدته وأنه استخلفه بمكة عند الهجرة حتى أدى ودائعه وقضى ما عليه وأتاه بأهله فهذه كلها مؤذنة بوزارة خاصة لم توجد في غيره فلهذا ذكرها فيه فقط وقوله ومن الاهل الخ من تلك السعادة ما أمده به من المؤاخاة فقد أخرج الترمذي آخى صلى الله عليه وسلم بين أصحابه فجاء علي تدمع عيناه فقال يارسول الله آخيت بين أصحابك ولم تؤاخ بيني وبين أحد فقال أنت أخي في الدنيا والآخرة ومنها العلوم التي أشار اليها بقوله أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد العلم فليأت الباب **(قوله لم يزده كشف الغطاء يقينا)** أي لو رفع الحجاب بينه وبين ربه ورأى الذات العلية عيانا لم يزدد يقينا يعني أن توحيده ويقينه في الله بلغ الغاية في الصحة والثبات وقد أخبر بذلك عن نفسه حيث قال لو كشف لي الغطاء ما ازددت يقينا أي لانه حصل عنده من البراهين القطعية على حقيقة التوحيد ومتعلقاته والايمان وصدق الرسل فيما جاؤا به ما لا يزيد اليقين فيه عند رؤية ذلك عيانا واحترز بنفي زيادة اليقين نفسه عن زيادة ثمراته فان عاقلا لا يشك أن عين اليقين أقوى من علم اليقين وأن حق اليقين أقوى من عين اليقين ودليله قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي فأثبت لنفسه حقيقة الايمان ويقينه وطلب زيادة الطمأنينة برؤية العيان فلا منافاة بينه وبين ما قاله علي خلافا لمن وهم فيه وقوله بل هو بل للاضراب الانتقالي أي بل علي في فضله وعلمه وزهده وتقدمه وحقية خلافته الشمس أي مثلها في الظهور والاضاءة وقوله ما عليه غطاء أي ساتر بل هو ظاهر لكل أحد وعلم مما تقرر أنه الحقيق بالخلافة بعد الائمة الثلاث بالاجماع ولا اكتراث ولا التفات الى من زعم أنه لا اجماع على خلافته وقد حفظ رضي الله عنه القران وعرضه على رسول الله صلى الله عليه وسلم واختلى بعد موته صلى الله عليه وسلم وكتب كتابا فيه العلوم حتى قال ابن سيرين لو ظفرت بذلك الكتاب لظفرت بالعلم كله وتقدم حديث أما ترضى ان تكون مني بمنزلة هرون من موسى الا أنه لا نبي بعدي وهذا يبطل تمسك الشيعة به على أنه الخليفة المقدم على الكل ووجه البطلان أن هرون مات في حياة موسى قبل موته بأربعين سنة وكان قد خلفه حين ذهب

(قوله صنو النبي) وقال صلى الله عليه وسلم أنت أخي في الدنيا والآخرة وفي رواية علي مني بمنزلة رأسي من بدني اهـ صاوي

(قوله ومنها العلوم التي أشار اليها الخ) وفي رواية أخرى أنا دار الحكمة وعلي بابها وفي رواية أخرى علي باب علمي وكان عمر يتعوذ من معضلة ليس فيها أبو حسن يعني عليا وقال والله ما نزلت آية الا وقد علمت فيم نزلت وأين نزلت وعلى من نزلت ان ربي وهب لي قلبا عقولا ولسانا ناطقا وقال سلوني عن كتاب الله فانه ليس من آية الا وقد عرفت بليل نزلت أم بنهار أم في سهل أم في جبل اهـ صاوي

لميقات ربه ليأتي بالتوراة وحينئذ يؤخذ من الحديث أن عليا انما ثبتت له الوزارة والخلافة في حياة النبي لا بعده لانه شبهه بهرون وهرون لم يخلف موسى بعد موته في حياته كما علمت توفي كرم الله وجهه شهيدا عن ثلاث وستين سنة ضربه اللعين عبد الرحمن بن ملجم بسيف مسموم في جبهته وأوصله الى دماغه وذلك ليلة الجمعة سابع عشر رمضان سنة أربعين وهو خارج الى صلاة الصبح لكنه لم يمت الا ليلة الاحد في أثناء الليلة وله أسوة بالخليفتين قبله عمر وعثمان فان كلا منهما قتل شهيدا مظلوما أما عمر فقتله أبو لؤلؤة مجوسي عبد المغيرة ابن شعبة لكونه شكا اليه ثقل خراجه فلم يعذره لعلمه بقدرته عليه وزيادة لكثرة صنائعه فكمن له الى أن ضربه بخنجر وهو في ثاني ركعة من صلاة الصبح يصلي بالمسلمين ومن تمام سعادته دفنه مع النبي صلى الله عليه وسلم فانه أرسل ولده بعد أن طعن يستأذن عائشة في ذلك فقالت كنت أعددت هذا المكان لنفسي ولأوثرنه به فاشتد فرحه بذلك وأما عثمان فاجتمع على قتله أوباش أربعة آلاف متجمعون من مصر وغيرها فحاصروه الى أن قتلوه في أوسط أيام التشريق والمصحف بين يديه سنة خمسة وثلاثين وهو ابن ثمان وثمانين سنة وقيل أكثر وقيل أقل توهما منهم انه أمر بقتل محمد بن أبي بكر رضي الله عنهما وهو بريء من ذلك وانما فعله بعض أهله وكان الصحابة يمكنهم الدفع عنه لكنه منعهم من أن يقاتلوا وحاصر به لما قال له زيد بن ثابت ان الانصار بالباب يقولون ان شئت كنا أنصار الله بين يديك مرتين فقال لا حاجة لي في ذلك كفوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد الي عهدا وأنا صابر عليه ومن ثم كان عنده في الدار ما يكفيه الكثيرون فأرادوا أن يمنعوا عنه فقال من أغمد سيفه فهو حر لانه علم باخبار النبي صلى الله عليه وسلم أنه مقتول مظلوم وأنه على الهدى وأنه لا خلاص له من القتل وأمره أن لا يعزل نفسه كما صح في الحديث وهو يا عثمان انك ستؤتى الخلافة من بعدي وسيريدك المنافقون على خلعها فلا تخلعها وصم في ذلك اليوم تفطر عندي (قوله وبباقي أصحابك) أي بباقي العشرة المبشرين بالجنة في الاحاديث منها حديث أبو بكر في الجنة وعمر في الجنة وعثمان في الجنة وعلي في الجنة والزبير في الجنة وعبد الرحمن بن عوف في الجنة وسعد بن أبي وقاص في الجنة وتاسع المؤمنين في الجنة وهو سعيد بن زيد والعاشر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله المظهر أي المبين الترتيب أي بينهم من النبي صلى الله عليه وسلم وهذا مفعول وقوله فينا أي لنا وقوله تفضيلهم فاعل أي تفضيلهم على حسب مراتبهم التي بينها مشرفهم صلى الله عليه وسلم وقوله والولاء معطوف على الفاعل أي الموالاة والمناصرة الواجبة علينا بحسب مراتبهم فهو بفتح الواو هذا ما يقتضيه صنيع الشارح وفي ابن عبد الحق الاولى هنا كسر الواو ويكون بمعنى التتابع وذلك لانه ذكر الولاء فيما سبق بمعنى المناصرة فيكون بفتح الواو وقبل هذا ببيتين فلو فتحت الواو هنا أيضا لزم الايطاء وهو اتحاد اللفظ والمعنى وأيضا ما يقتضي اسناد الولاء اليهم أي موالاتهم للنبي صلى الله عليه وسلم (قوله طلحة) أي ابن عبد الله القرشي التيمي وسماه النبي صلى الله عليه وسلم طلحة الخير وطلحة الفياض وطلحة الجود فكان غاية فيه بحيث باع أرضا له بسبعمائة ألف فباتت عنده فلم ينم مخافة من حسابها وأصبح فرقها على فقراء المدينة وكان مغله بالعراق في كل سنة أربعمائة ألف وكان يكفي ضعفاء قومه ويقضي ديونهم ويرسل الى عائشة في كل سنة عشرة آلاف درهم وتصدق في يوم بمائة ألف ثم لم يجد ثوبا يذهب به الى المسجد يصلي فيه وقوله المرتضيه أي الذي ارتضاه النبي صلى الله عليه وسلم رفيقا وقوله واحداه وما في أكثر النسخ وفي نسخة أحد وهو على هذه النسخة علم أي الذي ارتضاه أحد رفيقا ففيه اسناد مجازي وفي أخرى أحدا وهو منصوب على نزع الخافض أي في أحد وقوله يوم ظرف لاسم الفاعل وقوله فرت الرفقاء أي عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو يوم أحد وفي ذكره واحدا الذي هو في أكثر النسخ نظر اذ المنقول أن الذين ثبتوا معه أربعة عشر من المهاجرين وسبعة من الانصار لكن ظاهر كلام بعض أهل السير أن طلحة وقع له بعد ذلك انفراد مع النبي ثم تتابعت الناس فانه قال وكان لطلحة اليد البيضاء يوم أحد وفي النبي صلى

الله

وبباقي أصحابك المظاهر الترتيب فينا تفضيلهم والولاء
طلحة الخير المرتضيه رفيقا واحدا يوم فرت الرفقاء

(قوله وبباقي أصحابك الخ) قال العلامة الصاوي وجمعهم بعضهم في بيتين فقال

أصحاب شورى ستة فيها كهم لكل شخص منهم قدر علي
عثمان طلحة وابن عوف باقي سعد بن وقاص زبير مع علي

الله عليه وسلم بيده فشلت واستمرت شلاء وقد جاء في حديث ما يصرح بما في النظم على نسخة واحدا وهو لقد
رأيتني يوم أحد وما في الارض بقربي مخلوق غير جبريل عن يميني وطلحة عن يساري وقد قال صلى الله عليه وسلم
يوم أحد أوجب طلحة أي وجبت له الجنة وذلك أن النبي كان قد ظاهر بين درعين وأراد أن ينهض وهما عليه
ليصعد صخرة هنالك فلم يستطع فبرك له طلحة فصعد على ظهره واستوى عليها فقال أوجب طلحة وقد أصيب
يومئذ بسبعين أو أقل أو أكثر ما بين طعنة وضربة ورمية وكان قد خرج هو والزبير على علي ثم اجتمع بهما يوم
الجمل فروى للزبير الحديث الآتي في مناقبه ووعظ طلحة فتأخرا عن القتال ووقف في بعض الصفوف فجاءه
سهم في ركبته فقتله في جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين عن أربع وستين سنة ودفن بالبصرة **(قوله
وحواريك)** أي وأقسم عليك بحواريك الزبير بن العوام القرشي ابن عمة رسول الله صفية حضر فتح مصر مع
عمرو بن العاص ولما اشتد الخوف يوم الاحزاب ندب النبي أي طلب من يأتيه بخبر بني قريظة فقال الزبير
أنا فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان لكل نبي حواريا وحواري الزبير وقوله حواريا قال القسطلاني بفتح
الحاء المهملة وواو بعدها ألف وبعد الالف راء مكسورة فتحتية مشددة أي خاصة من أصحابه اهـ ونقل
الزركشي عن الزجاج أن حواريا منصرف لانه منسوب الى حواري وليس كبخاتي وكراسي لان ذلك جمع
واحده بختي وكرسي وقوله وحواري الزبير قال القسطلاني أضافه الى ياء المتكلم فحذف الياء وضبطه
جماعة بفتح الياء وآخرون بكسرها وهو القياس لكنهم استثقلوا ثلاث ياآت حذفوا ياء المتكلم وأبدلوا
من الكسرة فتحة كذا ضبط الشيخ العجمي وكان مع الخارجين على علي يوم الجمل فلما دنت الصفوف خرج
علي وهو على بغلة رسول الله فنادى يا أيها الناس ادعوا الى الزبير فدعى له فأقبل حتى اختلفت أعناق دوابهما
فقال له علي أنشدتك بالله أتذكر يوم مر بك رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن في مكان كذا وكذا فقال
يا زبير أتحب عليا فقلت ألا أحب ابن خالي وابن عمي وعلى ديني فقال يا زبير أما والله لتقاتلنه وأنت ظالم له
فقال بلى والله لقد نسيته منذ سمعته من رسول الله ثم ذكرته الآن والله لا أقاتل ثم أدبر راجعا فلما وصل
وادي السباع محل قريب من البصرة نام فجاءه رجل فقتله في جمادى الاولى سنة ست وثلاثين وعمره سبع
وستون سنة وحمل الى البصرة فدفن بها وقبره مشهور هنالك وقوله أبي القرم بفتح القاف وسكون الراء أي
السيد الجليل المراد به ابنه عبد الله وقوله الذي أنجبت أي أتت به في غاية النجابة والشجاعة والرأي الحازم
وهذا نعت للقرم الذي هو عبد الله وقوله أسماء بنت أبي بكر الصديق ذات النطاقين وكانت ولادتها له بعد
عشرين شهرا من الهجرة بالمدينة وكان أول مولود بعد الهجرة واشتد فرح المهاجرين به لان اليهود كانوا
زعموا أنهم صنعوا لهم ما أبطل نسلهم وشرب دم النبي صلى الله عليه وسلم وقد خرج عليه الحجاج أرسله له يزيد
وهو بالشام فجاءه بمكة أول الحجة سنة اثنتين وسبعين فحاصره واستمر الحصار الى أن قتله سابع جمادى الاولى
سنة ثلاث وسبعين وكان صواما واصل الجمعة عشر يوما أو أكثر وكان أطلس أي لا لحية له وهو أحد
العبادلة الاربعة والثلاثة عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو بن العاص **(قوله والصفيين)**
تثنية صفي وهو الصفي من حظوظ الشهوات وقوله توأم الفضل من أتأمت المرأة ولدت اثنين أي ان الفضل
أنتجهما لكثرة ما قام بهما منه ولو قال توأمي الفضل لكان أوضح أي انهما لما اشتركا في الفضائل الجليلة
صارا كأنهما مولودان في حمل واحد وقوله سعد أي ابن أبي وقاص بن مالك القرشي الزهري شهد المشاهد
كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أول من رمى بسهم في سبيل الله ورمى يوم أحد ألف سهم ومن
كراماته الظاهرة انه قطع بجيوشه البحر على ظهور الخيل لم يبلغ الماء منها الى حزمها والناس في غاية الطمأنينة
كأنهم سائرون بالبر وكان الذي يسايره سلمان الفارسي وأقبل على النبي ذات يوم وهو جالس مع أصحابه فقال
هذا سعد خالي فليرني امرؤ خاله وقال له اجلس يا خالي فان الخال والد توفي بقصره بالعقيق وهو واد بظاهر

وحواريك الزبير أبي القر
م الذي أنجبت به أسماء
والصفيين توأم الفضل سعد
وسعيد ان عدت الاصفياء

(قوله أوجب طلحة) قال العلامة الصاوي وعن عائشة أنها قالت قال أبو بكر كنت أول من جاء يوم أحد فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولأبي عبيدة بن الجراح عليكما بصاحبكما يريد طلحة وقد نزف فأصلحنا من شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أتينا طلحة فاذا به بضع وسبعون أو أقل أو أكثر بين طعنة وضربة ورمية واذا قد انقطعت أصبعه فأصلحنا من شأنه اهـ

وابن عوف من هوّنت نفسه الدنـ
يا ببذل يعده اثراء
والمكنى أبا عبيدة اذيعـ
زى اليه الامانة الامناء
وبعميك نيرى فلك المجـ
د وكل أتاه منك اتاء

المدينة على عشرة أميال منها فحمل اليها وصلى عليه مروان بن الحكم وهو يومئذ وال بالمدينة وصلى عليه أمهات المؤمنين في حجرهن ودفن بالبقيع سنة خمس وخمسين عن تسع وسبعين سنة وكان أوصى أن يكفن في جبة صوف لقي المشركين فيها يوم بدر وقال انما كنت خبأتها لذلك وهو آخر المهاجرين موتا وقوله وسعيد أي ابن زيد بن عمرو بن نفيل القرشي وهو ابن عم عمر وزوج أخته والسبب في اسلامه توفي سنة خمسين عن بضع وسبعين سنة ودفن بالمدينة وأبوه زيد توفي في الجاهلية لكن جاءت أحاديث تدل على أنه من أهل الجنة وقوله ان عدت الاصفياء أي فهذان من أكابرهم وكيف وفي اسمهما ما يشعر ببلوغهما مرتبة عظمى من مراتب السعادة (قوله وابن عوف) أي وعبد الرحمن بن عوف بن الحرث القرشي الزهري صح أنه صلى الله عليه وسلم اقتدى به في غزوة تبوك وصلى وراءه ركعة من صلاة الصبح وهذه منقبة عظيمة وسببها أنه صلى الله عليه وسلم ذهب يقضي حاجته وأدركهم الوقت فأقاموا الصلاة فتقدمهم عبد الرحمن فجاءه صلى الله عليه وسلم فاقتدى به مع القوم ولما أتم أقام ما فاته خلفه قال ما قبض نبي حتى يصلي خلف رجل صالح من أمته وائتم أيضا بأبي بكر وبجبريل وكان عبد الرحمن كثير الانفاق في سبيل الله أعتق في يوم واحد ثلاثين عبدا حتى جاء أن جملة ما أعتقه ثلاثون ألفا قال الزهري تصدق على عهد النبي بشطر ماله أربعة آلاف دينار وأربعين ألف دينار ثم حمل على خمسمائة فرس ثم بخمسمائة راحلة وأوصى لامهات المؤمنين بحديقة فبيعت بمائة ألف دينار وأوصى بخمسين ألف دينار في سبيل الله ولكل واحد ممن بقي ممن شهد بدرا بأربعمائة دينار وكانوا مائة من جملتهم عثمان وأخذ مائة وهو أمير المؤمنين وبألف فرس في سبيل الله وكان أهل المدينة عيالا عليه ثلث يقرضهم وثلث يقضي ديونهم وثلث يصلهم روي أنه صلى الله عليه وسلم قال له لن تدخل الجنة الا زحفا فأقرض الله يطلق لك قدميك قال ما الذي أقرضه قال تبرأ من كل مالك فهم بذلك فأتاه جبريل فقال مره فليضف الضيف وليطعم المسكين وليعط ابن السبيل فاذا فعل ذلك كان كفارة لما هو فيه وقوله من هونت بدل مما قبله وقوله هونت نفسه الدنيا أي صيرتها خسيصة عنده وقوله ببذل أي بسبب بذله لها في وجوه الخير بذلا دائما مستمرا وقوله يعده بضم الياء وكسر الميم اثراء أي كثرة المال الذي فتح الله عليه به وكثرته من التجارة لانه كان ذا حظ وافر فيها بحيث لو أمسك التراب صار ذهبا (قوله والمكنى أبا عبيدة) وهو عامر بن الجراح القرشي الفهري أمين هذه الامة قال صلى الله عليه وسلم ان لكل أمة أمينا وأمين هذه الامة أبو عبيدة ولما قدم عمر الشام تلقاه الناس فقال أين أخي أبو عبيدة فقالوا يأتيك الساعة فأتاه على ناقة مخطومة بخطام ليف فنزل عمر عن راحلته واعتنقه وقال للناس انصرفوا عنا ثم دخل معه الى بيته فلم يجد فيه سوى سيفه وترسه وقوسه وراحلته فبكى وقوله اذ يعزى اذ ظرف لا قسم المقدر أو تعليل اه قال الجوهري عزوته وعريته الى أبيه اذا نسبته اليه فالمعنى حين ينسب اليه أي الى أبي عبيدة الامانة الامناء وأجلهم نبينا فانه قال لكل أمة أمين الى آخر ما تقدم توفي سنة ثماني عشرة بالطاعون في طاعون عمواس وهي قرية بين الرملة وبيت المقدس أول ما وقع بها ذلك الطاعون فنسب اليها ثم انتشر بالشام واعلم أن ما ورد في أبي عبيدة وفي غيره كقوله في أبي ذر ما أصدق من أظلت الخضراء وأقلت الغبراء لا يقتضي تفضيلا على الخلفاء الراشدين لان أولئك كملت فيهم الصفات كلها واعتدلت فلم يترجح بعضها على بعض وأما هذان فكملت فيهما صفة الامانة والصدق فتميزا بهما على من لم يكملا فيهم وأوسلم زيادتهما فيهما على أولئك لم يقتض ذلك لان المفضول قد يتميز بمزية أو مزايا لا توجد في الفاضل لانه خلف تلك المزايا مزايا أخرى أجل منها وأعظم (قوله وبعميك) أي وأقسم عليك بعميك أخوي أبيك وهما حمزة والعباس وكل منهما أسن من النبي بنحو السنتين أي ولد قبل ولادته بنحو السنتين ولم يسلم من أعمامه التسع غيرهما والبقية ماتوا في الفترة فلم يدركوا بعثة النبي صلى الله عليه وسلم الا أبو طالب وأبو لهب فأدركا البعثة ولم يسلما وماتا مشركين وقوله نيرى تثنية نير وهو الكوكب المضيء وهذا من التشبيه البليغ

(قوله وابن عوف) قال العلامة الصاوي أحد الثمانية السابقين الى الاسلام والستة أهل الشورى والعشرة المبشرين والخمسة الذين أسلموا على يد أبي بكر اه (قوله وبعميك) أي أخوي أبيك لابيه وهما حمزة والعباس قال العلامة الصاوي وعن ابن مسعود ما رأينا رسول الله صلى الله عليه وسلم باكيا قط أشد من بكائه على حمزة وضعه في القبلة ثم وقف على جنازته وبكى حتى كاد يغشى عليه يقول يا حمزة يا عم رسول الله يا أسد الله وأسد رسوله يا حمزة يا فاعل الخيرات يا حمزة يا كاشف الكربات يا ذابا عن وجه رسول الله وليس في هذا نوح بل اخبار بفضله وشمائله رضي الله عنه اه

فشبههما بالنيرين أي الشمس والقمر بجامع مطلق الاشراق في كل وان كان في العلمين معنويا وفي الشمس والقمر حسيا وقوله فلك المجد الفلك ما يسير فيه الكوكب واضافة النيرين اليه ترشيح للتشبيه واضافته الى المجد تجريد للتشبيه اذ المجد الكرم والحسب وقوله وكل منهما أتاه أي حصل له منك اتاء بوزن كتاب وهو ثمر الشجر كما في القاموس وهذا بالنظر لاصل معناه والا فالمراد به هنا النعم والخيرات الواصلة منه اليهما أما حمزة ويكنى أبا عمارة ويلقب بأسد الله وأسد رسوله فكان شجاعا أخا النبي من الرضاع أسلم قديما قبل عمر بثلاثة أيام استشهد بأحد نصف شوال في السنة الثالثة بعد أن قتل ثلاثين كافرا قتله وحشي وهو عبد لعقبة السلمي قال لقد رأيت حمزة يهد الابطال هدا فاختفيت له فلما تمكنت منه رميته بحربتي فأصابته وليت هاربا فتبعني ثم سقط وبعد ذلك أسلم وحشي وخرج يوم اليمامة في جيش أبي بكر فشارك رجلا في قتل مسيلمة الكذاب فكان يقول هذه بتلك ولما رأى النبي حمزة قتيلا بكى ولما رأى ما مثل به شهق وقال لن أصاب بمثلك أبدا ما وقفت موقفا أغيظ لي من هذا وبكى عليه صلى الله عليه وسلم وقال يا حمزة يا عم رسول الله يا أسد الله وأسد رسوله يا فاعل الخيرات يا كاشف الكربات وصحح الحاكم حديث والذي نفسي بيده انه لمكتوب عند الله في السماء السابعة حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله وورد من طرق ان الملائكة غسلته ❊ وأما العباس وكنيته أبو الفضل فكان جليلا جوادا ذا رأي وعقل كامل معظما بين الصحابة رئيسا في قريش قبل الاسلام وكان مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم العقبة فعقد له البيعة مع الانصار وكان صلى الله عليه وسلم يثق به في أموره كلها أسر ببدر وقد قال لهم صلى الله عليه وسلم من لقيه فلا يقتله فانه خرج مستكرها وسمعه النبي صلى الله عليه وسلم يئن لكونهم شدوا وثاقه فلم ينم فقيل له ما يسهرك يا رسول الله قال أنين العباس فقام رجل فأرخى من وثاقه وثاق البقية وفادى نفسه وعقيلا ابن أخيه وأسلم في بدر سرا وكتم اسلامه الى قبيل الفتح فخرج مهاجرا فلقي النبي بالابواء فأظهر اسلامه وبه ختمت الهجرة وكان ردأ للنبي بمكة يكاتبه بأخبار أهلها وكان يحب القدوم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكتب اليه ان بقاءك بمكة خير لك وثبت معه يوم حنين توفي بالمدينة ثاني عشر رجب أو رمضان سنة اثنتين وثلاثين وله من العمر ثمانية وثمانون سنة وقبره مشهور بالبقيع وقال له صلى الله عليه وسلم ألا أبشرك يا عم ان من ذريتك الاصفياء والخلفاء والمهدي وكون المهدي من ولد العباس يحمل على أن فيه شعبة منه لما صح أنه من ولد فاطمة وصح أنه من ولد الحسن وجاء انه من ولد الحسين ولا تعارض لان فيه شعبة من ولد الحسن أيضا فهو حسني وفيه شعبة من الحسين وشعبة من العباس وأخرج الخطيب حديث يا عباس أنت عمي وصنو أبي وخير من أخلف بعدي من أهلي اذا كان سنة خمس وثلاثين ومائة فهي لك ولولدك منهم السفاح ومنهم المنصور ومنهم المهدي (قوله وبأم السبطين) أي وأقسم عليك بأم السبطين الحسن والحسين فاطمة وهي أصغر بناته صلى الله عليه وسلم وقوله زوج علي زوجها له النبي صلى الله عليه وسلم في السنة الثانية من الهجرة بوحي من الله وبنى بها بعد تزوجها بسبعة أشهر ونصف في ذي الحجة على رأس اثنين وعشرين شهرا وكان سنها حينئذ خمس عشرة سنة وخمسة أشهر ونصف شهر وقيل كان سنها نحو عشرين سنة وكان سن علي اذ ذاك احدى وعشرين سنة وأشهرا توفيت بعده صلى الله عليه وسلم في رمضان سنة احدى عشر فبينهما نحو ستة أشهر وسنها تسع وعشرون سنة دفنها علي ليلا بوصية منها واختلف في محل دفنها فقيل انها في المسجد الشريف بقرب قبر والدها والاشهر أنها في قبة ولدها الحسن قرب محرابه وكان القطب أبو العباس المرسي يجزم بهذا ولعله كوشف به وروى أحمد في المناقب والدولابي أنها اغتسلت ولبست ثيابا جددا واضطجعت وقالت اني مقبوضة الآن فلا يغسلني أحد ولا يكفنني فماتت فامتثل علي وصيتها لكن يعارضها ما جاء انها أمرت فاطمة بنت عميس أن تغسلها وهذه الرواية مقدمة لان الاصل عدم الخصوصية وقوله وبنيها يعني أولادها الحسن والحسين ومحسنا وهو بفتح الميم وفتح

وبأم السبطين زوج علي
وبنيها ومن حوته العباء

الحاء المهملة وتشديد السين المكسورة كما في سيرة الشامي وهذا مات صغيرا وأم كلثوم وزينب ولم يكن له صلى الله عليه وسلم عقب الا منها فانتشر نسله من جهة السبطين فقط وتزوج عمر بن الخطاب أم كلثوم فولدت له ذكرا وأنثى وماتا صغيرين ثم بعد عمر تزوجت بعون بن جعفر ثم بعده وته تزوجت بأخيه محمد ثم بأخيه عبد الله ولم تعقب منهم شيأ ثم تزوج الاخير وهو عبد الله بن جعفر بأختها زينب فولدت له عدة منهم على وأم كلثوم وانتشر نسلهما ولهم شرف أعلى من شرف أولاد عبد الله من غير زينب وأدنى من شرف أولاد الحسنين لمزيتهما بعلو ردفيهما وجعفر الصادق ولدا سمه اسحق تزوج بالسيدة نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن على كرم الله وجهه ولدت منه اولدين لم يعقبا وقال السيوطى فى الخصائص الصغرى ويطلق على آله صلى الله عليه وسلم الاشراف والواحد شريف وهم أولاد على وعقيل وجعفر والعباس هذا ما اصطلح عليه السلف وانما حدث تخصيص الشريف بولد الحسن والحسين فى مصر خاصة من عهد الخلفاء الفاطميين وقوله ومن حوته العباء وهم النبى وفاطمة وعلى وأبناؤهما ومراده بعض هؤلاء فقال وصح أنه صلى الله عليه وسلم جعل على علي وفاطمة وابنيهما كساء وقال اللهم هؤلاء أهل بيتى وخاصتى أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا انتهى أسكفة الباب وحوائط البيت فقالت آمين ثلاثا والاسكفة بضم الهمزة وسكون السين وضم الكاف وفتح الفاء المشددة عتبة الباب (قوله ازواجك) أى وأقسم عليك بأزواجك اللواتى تشرفن بأن صانهن عن النار والنقائص وقوله مطلقا سواء من قرنه بالدخول أى بدخول وطاهر كلامه أن من تزوجها ولم يدخل بها لا يحصل لها ذلك الشرف وينبغى تخريجه على حرمتها على غيره فان قلنا تحرم وهو الاصح حصل لها الشرف أو تحل لم يحصل لها وهن احدى عشرة متفق عليهن ستة قرشيات وأربع عربيات واسرائيلية فالاولى خديجة وتزوجها بعد زوجين ولها يومئذ أربعون سنة وله خمس وعشرون وأولاده كلهم منها الا ابراهيم فمن مارية القبطية توفيت قبل الهجرة بثلاث سنين ودفنت بالحجون عن خمس وستين سنة ثم تزوج سودة بنت زمعة بعد عقده على عائشة ودخل بها قبل عائشة توفيت بالمدينة فى شوال سنة أربع وخمسين ثم تزوج عائشة بمكة فى شوال سنة عشر من النبوة ودخل بها فى شوال فى المدينة على رأس ثمانية عشر شهرا وهى بنت تسع سنين ولم يتزوج بكرا غيرها ماتت بالمدينة سنة سبع وخمسين ثم تزوج حفصة بنت عمر سنة ثلاث من الهجرة توفيت سنة خمس وأربعين ثم أم سلمة سنة أربع وماتت سنة تسع وخمسين ودفنت بالبقيع ثم أم حبيبة رملة بنت أبى سفيان بن حرب بعد أن مات زوجها عبيد الله بن جحش بالحبشة مرتدا وتزوجها سنة ست زوجها النجاشى بعمرو بن أمية الضمرى وكيله صلى الله عليه وسلم وأصدقها عنه أربعمائة دينار وبعث بها اليه ماتت بالمدينة سنة أربع وأربعين ثم تزوج زينب بنت جحش بعد زيد مولاه وزوجه الله بها ونزل عليها الخبر فقد كادت عليه الآية وكانت تفتخر بذلك على أمهات المؤمنين سنة خمس وقيل ثلاث وهى أول من مات منهن بعده ماتت بالمدينة سنة عشرين وتزوج زينب بنت خزيمة الهلالية سنة ثلاث ثم ماتت بعد ثلاثة أشهر وتزوج ميمونة بنت الحرث الهلالية سنة سبع بعد خيبر بسرف وبنى بها فيه وكان حلالا بعد ان أدى عمرة القضاء ورواية أنه كان محرما معناها أنه فى الحرم وقيل ان من خصائصه أن له أن ينكح وهو محرم وماتت بسرف سنة احدى وخمسين وقبرها به مشهور يزار ويتبرك به وتزوج جويرية بنت الحرث الخزاعية وعمرها اذ ذاك عشرون سنة توفيت سنة خمسين وتزوج صفية بنت حيى بن أخطب من نسل هرون وهى من سبى خيبر أعتقها صلى الله عليه وسلم وتزوجها وبنى بها وهو راجع الى المدينة ماتت فى رمضان سنة خمسين ودفنت بالبقيع فهؤلاء نساؤه المجمع عليهن واختلفوا فى اثنى عشر امرأة بعضهن الاصح فيه أنه طلق قبل الدخول وبعضهن الاصح فيه أنه لم يتزوجه ومحل بسط هذا كتب السير واختلف فى عدد أولاده عليه الصلاة والسلام وجملة ما اتفق عليه منهم ستة القاسم ولد قبل النبوة وبه كان يكنى ومات بعد نحو سنتين وأربع بنات أولاهن زينب وهى

وباز واجك اللواتى تشرفـ
ـن بأن صانهن منك بناء

(قوله وهذا مات صغيرا) وأم كلثوم وزينب خلفتا ذرية لكن انقرضت وللعباسيين والطالبيين ذرية باقية الى الآن أيضا ومن ثم لقب كل عباسى بالشرف ببغداد وعلوى بمصر ولجعفر الصادق ولد اسمه اسحق تزوج السيدة نفيسة بنت الحسن بن زيد ابن الحسن بن على كرم الله وجهه وولد منها ولدان لم يعقبا اه صاوى

(قوله فهؤلاء نساؤه المجمع عليهن) وقد نظم بعضهم اللاتى توفى عنهن بقوله

توفى رسول الله عن تسع نسوة
اليهن تعزى المكرمات وتنسب
فعائشة ميمونة وصفية
وحفصة تتلوهن هند وزينب
جويرية مع رملة ثم سودة
ثلاث وست نظمهن مهذب

رضى الله عنهن ونفعنا بهن اه صاوى

اكبرهن

أكبرهن ماتت سنة ثمان من الهجرة عند زوجها أبي العاص بن الربيع ولدت منه عليا ومات قبل البلوغ
وامامة التي حملها صلى الله عليه وسلم في الصلاة تزوج بها علي بعد فاطمة ثم رقية توفت وهو صلى الله عليه وسلم
ببدر ولما عزي بها قال الحمد لله دفن البنات من المكرمات ثم أم كلثوم لا يعرف لها اسم وانما تعرف بكنيتها توفت
سنة تسع تزوجها عثمان بعد ابني أبي لهب وهما عتيبة بالتصغير وعتبة بالتكبير ثم فاطمة قال ابن عبد البر
ولدت سنة احدى وأربعين من مولده والذي رواه ابن اسحق أنهم اولدت قبل النبوة واختلفوا هل ولد له غير
أولئك الستة فقيل نعم ولد له الطيب والطاهر وعبد الله وعبد مناف والمطهر وقيل الطيب والطاهر لقبان
لعبد الله وهذا كله في أولاده من خديجة ولم يولد له من غيرها الا ابراهيم من مارية القبطية ولد في ذي الحجة سنة
ثمان ثم توفي وله سبعون يوما وقيل وله سنة وعشرة أشهر وقيل غير ذلك (قوله الامان) مفعول به أو مطلق
وعامله مقدر فتقديره على الاول أنلنا وعلى الثاني أمنا والثاني تأكيد أي أمنا يا رسول الله من عقاب ما اقترفته
من الذنوب وتطيعنا مما جمعته من العيوب وقوله ان فؤادي بالفتح تعليلا والكسر استئنافا وفيه ايماء الى العلة
ايضا وقوله هواء أي خال من فهم ما ينفعني وفي نسخة هباء أي لا وجود له (قوله قد تمسكت) أي ومما يعطفك
على حتى يزيد اعتناؤك بي وامدادك لي أني قد تمسكت أي توثقت واعتصمت من ودادك بالحبل أي بالسبب
الاقوى وهو العهد الوارد عنك في الاحاديث الصحيحة ان المرء مع من أحب وان لم يعمل بعملهم فالحبل هو المحبة
وقوله الذي استمسكت به الشفعاء أي من الانبياء والعلماء والصالحين فلم يحصل لهم مرتبة الشفاعة الا بواسطة
محبتهم لك واذا دبرتهم بمحبتك مرتبة قبول شفاعتهم في الاغيار أو رتبي وقوع شفاعتك في بجامع أني
أحببتك كما يحبونك وان اختلف مقدار المحبة في الطرفين وكون المحبة يستلزم الاتباع انما هو أغلبي بما يدل عليه
حديث يا رسول الله المرء يحب القوم ولا يعمل بعملهم فقال المرء مع من أحب وان لم يعمل بعملهم (قوله وأبى
الله) أي لم يرد كما جرت به عادة كرمه وفضله وجوده ودل عليه ما تفضل به عليك بقوله ولسوف يعطيك ربك
فترضى وقوله بحال أي في أي حال من الاحوال الدنيوية والاخروية وقوله ولي اليك أي والحال ان لي
اليك التجاء أي استنادا لمزيد محبتي لك ومن هو كذلك حقيق بأن لا يناله من ربه عذاب ولا سخط ولا حرمان
ولا قطيعة (قوله قد رجونالك) أي معشر محبيك وخدامك أيها النبي الكريم أي أملناك وقوله للامور أي
العظيمة من الذنوب والمخالفات والغفلات والشهوات وقوله التي أبردها أي أيسرها وقوله رمضاء أي نار تتقد
أي من شدة خوف المؤاخذة بما كسبته قلوبنا وألسنتنا وجوارحنا (قوله وأتينا اليك) أي بقلوبنا أي
وجهناها الى الاستعاذة بك من كل مكروه أو أتينا الى قبرك المكرم وقوله أنضاء حال أي حال كوننا أنضاء
جمع نضو بكسر النون أي مهازيل وقوله فقر أي من الاعمال الصالحة فلكثرة ما حملنا من الذنوب ضعفنا
عن حمله وهزلنا بسبب ثقله وقوله الى الغنى أي الى محله وهو حضرتك المشرفة التي بها الغنى الاكبر وقوله
أنضاء أي ركاب مهازيل أجهدها طول السير وشدة الاسراع بها الى الوصول الى حضرتك العلية اغتناما
للوقوف بساحة كرمها والتملي بشهود احسانها ونعمها (قوله وانطوت) أي استترت في الصدور أي القلوب
حاجات نفس أملت حصولها من جنابك الكريم ترفعها اليك اذا وصلت الى حضرتك وحظيت بحلول نظرك
من تلك الحاجات الامداد من مزاياك والتوسل والتشفع بك الى مولاك وقوله عن ندى يديك أي عطاء
يديك الكريمتين وقوله انطواء أي استتار واستغناء بل لا يقضيها غير جاهك الواسع (قوله فأغثنا) أي بشفاعتك
يا من هو الغوث أي للمكروبين والملجأ للمنقطعين وقوله والغيث أي المطر المريع للمضطرين المشبع
للجائعين فأزل شكوانا وارفع لأوانا وقوله اذا أجهد الخ أي اذا ضيق على الخلق الجدب حتى أشرفوا على
التلف فاللأواء شدة الحاجة (قوله والجواد) أي الاعظم الذي به أي بسببه تفرج الغمة عنا معشر أمتك
وقوله وتكشف الحوباء بفتح أوله وضمه أي الاثم أي عقابه والشدة والحاجة والحالة القبيحة وفي نسخة به

الامان الامان ان فؤادي
من ذنوب أتيتهن هواء
قد تمسكت من ودادك بالحبـ
ـل الذي استمسكت به الشفعاء
وأبى الله أن يمسني السو
ء بحال ولي اليك التجاء
قد رجونالك للامور التي أبـ
ـردها في قلوبنا رمضاء
وأتينا اليك أنضاء فقر
حملتنا الى الغنى أنضاء
وانطوت في الصدور حاجات
نفس
مالها عن ندى يديك انطواء
فأغثنا يا من هو الغوث والغيـ
ـث اذا أجهد الورى اللأواء
والجواد الذي به تفرج الغمـ
ـمة عنا وتكشف الحوباء

(قوله قد تمسكت من ودادك) أي توثقت واعتصمت بالحبل أي السبب الاقوى حال كونه من ودادك أي أي محبتي لك الذي استمسكت به الشفعاء جمع شفيع من الانبياء والاولياء والعلماء والصلحاء فلم يحصلوا مرتبة الشفاعة في غيرهم الا بواسطة محبتهم لك اهـ صاوي

تفريج الكربة عنا وتكشف الغماء وهي بمعنى الاولى لتساوى الغمة والكربة اذهما الغم الذى يشتد على النفس الى أن يكاد يقتلها (قوله يارحيما) هذا نداء يتضمن غاية الاستعطاف والترحم وهو معطوف على النداء قبله بحذف حرف العطف وقوله رحيما من الرحمة وهي رقة فى القلب تقتضى التفضل الذى هو غايتها او الانعام أو ارادته ما وقوله اذا ما ظرف لرحيما وما زائدة وقوله ذهلت أي غفلت وهذا مقتبس من قوله تعالى يوم ترونها تذهل كل مرضعة الآية وتقييد رحمته بالمؤمنين بهذا ليس لانتفائها فى غيره بل لانها فى هذا اليوم أظهر وأعم لان الله تعالى يظهر له صلى الله عليه وسلم من العظمة والسودد والتقدم على جميع الانبياء والمرسلين ويخصه بالشفاعة العظمى فى فصل القضاء ما يعلم أهل جميع ذلك الموقف أنه لا أقرب منه الى ربه وان كل نسب ينقطع فى ذلك اليوم الا حسبه ونسبه (قوله ياشفيعا) من الشفاعة وهي السعي فى نيل المشفوع فيه عند المشفوع له وقوله فى المذنبين أي فى غفران ذنوبهم وكشف كروبهم وقوله اذا أشفق ظرف لشفيعا أي ذل اذ الشفق يطلق على المشقة وشأن من حصلت له المشقة الذلة والدهشة وقوله من خوف أي من أجل خوف عقاب ذنبه وهذا الضمير عائد على البرآء المتقدم رتبة لكونه فاعلا وافراده لكون البرآء مرادا به الجنس وقوله البرآء أي من الكبائر أي الذين لا كبيرة لهم جمع برىء بوزن قتيل وذكرهم لان خوفهم من الصغائر فقط يدل على شدة ذلك اليوم ومناقشة الحساب فيه وان كان الخوف من الذنوب يعم أكثر الناس لانهم لا يخلون من صغيرة بل صغائر ولا يخرج من ذلك الا المعصومون والمحفوظون ومع ذلك يعمهم الخوف أيضا (قوله جد) أي يا من تحلى بكمال الرحمة ونهاية الشفاعة وقوله لعاص أي أسرته الخطايا وأحاطت به البلايا ومقتضى الظاهر أن يقول جد لى أولنا لكنه ارتكب التجريد أو الالتفات وآثر التنكير لياتى ولم يعين ما يجود به عليه قصد العموم المسؤل أن يجود عليه فى ذلك اليوم بايصال شفاعته له الى كل مرغوب وصرفه عن كل مرهوب وقوله وما سواى ما نافية أي وما غيرى هو العاصى ولكن تنكرى أي تنكيرى نفسى واسمى الواقع فى قولى لعاص وقوله استحياء أي منك أن أذكرك نفسى بلفظ يدل عليها بخصوصها واجهك بالتصريح بارتكابها مانهيتها عنه وحمل الاستحياء على التنكر مبالغة كرجل عدل هذا تقرير عبارته وفيها مؤاخذة من وجهين أحدهما الذى عليه الجمهور ان ضمير الفصل انما يفيد قصر المسند على المسند اليه نحو ان الله هو الرزاق أي لا رازق سواه لكن فى الفائق أن تعريف الخبر قد يكون لقصر المسند اليه وقد يكون لقصر المسند بحسب المقام فعلى الاول أن هو العاصى دال على حصر العصيان فى سواى كزيد هو القائم والمستفاد من النفى اذا دخل على الجملة نفى ذلك الحصر بناء على المشهور أن النفى يتوجه للقيد وحينئذ فمفهومه يشمل شيئين أنه عاص وحده وانه عاص هو وغيره واذا أفهم النظم ذلك لم يصح قوله ولكن الخ لانه أتى على احتمال العصيان لغيره معه وهو خلاف قصده مع انه العاصى وحده الوجه الثانى ان التنكير هنا لا نسلم انه يفيد الاستحياء ولئن أفاده فشأن السائل عدم الحياء لان المطلوب من المحتاج ان يرفع حاجته مبينا النفس حتى يعرف حاله فيتعطف عليه نابهامه لنفسه غير لائق ولك أن تجيب عن الوجه الاول بان من الواضح ان سوى كغير فلا تتعرف بالاضافة وان أل فى العاصى للعهد الذهنى فهى للجنس فيراعى فيها التعريف تارة والتنكير أخرى وحينئذ ان الحصر الموهم مفهومه مامر وصار المعنى وما سواى عاصيا بل انا العاصى وحدى وعن الوجه الثانى بأن السائلين أقسام منهم من يغلب عليه الحياء والخجل فيبهم نفسه (قوله وتداركه) أي أدركه بالعناية منك له بأن تمده بسوابغ كرمك وقوله مادام له بالذمام بجيم مكسورة وهذا قسم متعلق بتداركه والالزم خلوه عن معنى يليق بالسياق أي تداركه بحق حرمتك التى أنعم الله بها عليك والذمام هو الحرمة وقوله ذماء بفتح الذال المعجمة أي تعلق وأصله بقية الروح فى المذبوح أي مادام فيه أدنى تعلق واستمساك بك لانك أكرم الكرماء وعادة الكريم أن كل من تعلق به نجاه من كل ما يخاف (قوله أخرته) أي ذلك العاصى وقوله الاعمال أي السيئة التى ارتكبها وقوله والمال

يارحيما بالمؤمنين اذا ما
ذهلت عن أبنائها الرحماء
ياشفيعا بالمذنبين اذا أشـ
فق من خوف ذنبه البرآء
جد لعاص وما سواى هو العا
صى ولكن تنكرى استحياء
وتداركه بالعناية مادا
م له بالذمام منك ذماء
أخرته الاعمال والمال عما
قدم الصالحون والانبياء

(قوله وتقييد رحمته بالمؤمنين الخ) عبارة العلامة الصاوى وتقييد رحمته بالمؤمنين ليس لانتفائها فى غيرهم بل لكون نفعها التام خاصا بهم والا فرحمته عامة ينفذ الناس بها جميعا من هول الموقف وأمنوا بها فى الدنيا من تعجيل العقوبة بالعذاب العام انتهت.

أى الفانى الذى أمسكه عن صرفه فى وجوه الخير أى من الاعمال الصالحة بالنسبة للصالحين والانفاق فى وجوه الخير بالنسبة للاغنياء أو الذى جمعه من وجوه الشر حتى اشتغل به قلبه وقوله عما قدم الصالحون جمع صالح وهو المشتغل بحقوق الله وحقوق العباد وقوله والاغنياء هذا لف ونشر مرتب لان الاول يرجع للاعمال والثانى للمال (قوله كل يوم) اعترف رحمه الله بذنوبه لان الاعتراف مظنة العفو قال تعالى وآخرون اعترفوا بذنوبهم الآية نادما عليها للحديث الصحيح الندم توبة فقال كل يوم أى وليلة ذنوبه صاعدات أى مع ملائكة الليل والنهار الذين يرفعون أعمال العباد فهما الى الله تعالى أظهار العظيم فضل الطائع وقبيح فعل العاصى وقوله وعليها أى من أجلها وقوله صعداء أى متواترة ممدودة من شدة كرب الندم وفرط الاسف عليها وسبب الوقوع فى ورطتها أنه ألف البطنة الخ (قوله ألف البطنة) بالكسر أى ملء بطنه من الطعام والشراب وقوله المبطئة السير أى الى الله تعالى أى المعوقة عن الجهاد فى رضاه باستفراغ الوسع فى الاعمال الصالحة وقوله بدار أى فيها وهى الدنيا وقوله بها أى فيها البطان جمع بطين ككرام جمع كريم وقوله بطاء جمع بطىء على وزن الجمع قبله فهم متأخرون عن الفائزين متخلفون عن السابقين (قوله فبكى ذنبه) أى فبسبب عصيانه بكى ذنبه وقوله بقسوة قلب أى مع قسوته وغلظه المؤديين الى أن البكاء صورى لا حقيقى ومن ثم قال نهت تلك القسوة الدمع عن أن يبرز منه شئ فى عين ذلك الباكى وقوله فالبكاء أى فبسبب هذا النهى انقلب البكاء عن حقيقته وهو حزن يعترى القلب فيحصل له من الهيبة والقلق المزعج والخوف المقلق ما يجرى الدموع وينتج الرجوع وصار ذلك البكاء كأنه مكاء بالتخفيف أى كالصفير أى التصفير بالفم بجامع أن كلا صوت يجرى على اللسان ولم يؤثر به القلب وهذا تلميح لقوله تعالى ما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية الآية (قوله وغدا) أى صار ذلك العاصى بعد ما وقع منه من المعاصى والبكاء الذى لا يفيد لمزيد قسوة قلبه وقوله يعتب القضاء أى يتعلل به ويستند اليه ويعتذر كأن يقول قدر الله على هذا الامر ولا حول منى ولا قوة وقوله ولا عذر أى والحال أنه لا عذر لعاص يحتج به على الله حتى يسقط عنه الاثم والمؤاخذة وقوله فيما يسوق القضاء أى من المعاصى وذلك لان الله تعالى أجرى عادته الالهية بترتيب المسببات على اسبابها ونسبة تلك المسببات الى المكلف نظرا للصورة واختياره فيها وكونه متمكنا بحسب الظاهر من تركها أو فعلها فيثاب ويعاقب بهذا الاعتبار وان كان فى نفس الامر مكرها لان الكل من الله سبحانه وتعالى ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن فيجب على المكلف رعاية المقامين بأن يسند الافعال الى فاعلها بحسب الصورة فيستحق المدح أو الذم والى الله تعالى حقيقة من حيث عجز العبد عن التنصل والتخلص منها هذا هو مذهب أهل السنة وبطل مذهب القدرية والجبرية كما هو مقرر فى محله فان قلت قوله ولا عذر لعاص الخ ينافيه احتجاج آدم بالقضاء والقدر فى قصته مع موسى لما اجتمع به فى عالم الارواح او الاشباح فقال موسى أنت أبونا آدم الذى أخرجتنا من الجنة بخطيئتك فقال له ألم تجد فى التوراة أن الله قدر ذلك على أى كتبه فى اللوح المحفوظ قبل أن أخلق بأربعين سنة ولذلك قال نبينا صلى الله عليه وسلم بعد أن أخبر بهذه القصة فحج آدم موسى أى غلبه بالحجة قلت لا ينافيه وذلك لان الاحتجاج بالقدر ان كان قبل الوقوع فى الذنب ليكون وسيلة للوقوع فيه لم يجز وان كان بعد الوقوع فيه وقبل أن يستوفى منه مقتضاه كحد أو تعزير ليمنع ذلك باحتجاجه لم يجز أيضا وان كان لا يمنع ذلك بل ليمنع تعييره به ساغ له ذلك كما صرح به قوله صلى الله عليه وسلم حج آدم موسى (قوله أوثقته) أى حبسته فى الدنيا عن الخلوص من التبعات وفى الآخرة عن مقامه الكريم وقوله من الذنوب حال مقدمة على صاحبها وهو دون أى ديون تراكمت عليه حال كونها ناشئة من كثرة ذنوبه وتفريطه فى حقوق الله وحقوق عباده وقوله فى اقتضائها أى طلبها منه وانما اشتدت لان حقوق الآدميين مبنية على المشاحة والمضايقة (قوله ماله حيلة) أى طريق فى التخلص من تلك الذنوب وقوله الموثق أى الاسير الذى صار لا يقدر على هرب ولا تخلص وحيلة

كل يوم ذنوبه صاعدات
وعليها أنفاسه صعداء
ألف البطنة المبطئة السيـ
ـر بدار بها البطان بطاء
فبكى ذنبه بقسوة قلب
نهت الدمع فالبكاء مكاء
وغدا يعتب القضاء ولا عذ
ر لعاص فيما يسوق القضاء
أوثقته من الذنوب ديون
شددت فى اقتضائها الغرماء
ماله حيلة سوى حيلة المو
ثق اما توسل أو دعاء

(قوله فبكى ذنبه) قال العلامة الصاوى ثم شرع يعترف بذنوبه لان الاعتراف مظنة العفو قال تعالى وآخرون اعترفوا بذنوبهم الآية متندما عليها بقوله كل يوم الخ للحديث الصحيح الندم توبة ولقوله تعالى ان الله يحب التوابين اهـ

راجيا أن تعود أعماله السو
ء بغفران الله وهي هباء
أو ترى سيئاته حسنات
فيقال استحالت الصهباء
كل أمر تعنى به تقلب الاع
يان فيهو تجب البصراء
ورب عين تفلت في ماء الملـ
ـح فأضحى وهو الفرات الرواء
آه مما جنيت ان كان يغني
ألف من عظيم ذنب وهاء
أرتجي التوبة النصوح وفي القلـ
ـب نفاق وفي اللسان رياء

من هو كذلك تنحصر في شيئين لا ثالث لهما فلذلك قال اما توسل الى الله في خلاصه بما سبق له من عمل صالح أو دعاء أي اليه تعالى أي في أن يرضي عنه غرماءه (قوله راجيا) حال من عاص في قوله جد لعاص أي مؤملا أملا قريبا وقوله أن تعود أعماله السوء أي أن تعود عليه متلبسة بغفران الله له مغفرة عامة لا تبقي عليه وصمة ذنب وقوله وهي هباء أي والحال أن تلك الاعمال في جنب الغفران من الله هباء أي مثله في أنها لا وجود لها اذ هو غبار يرى في شعاع الشمس اذا دخل عند طلوعها أو غروبها في كوة أي طاقة (قوله أو ترى سيئاته حسنات) أي منه عليه بان دراجه في سلك الا من تاب وآمن وعمل صالحا الآية وقوله فيقال أي فيسبب استحالة السيئات حسنات يقال عند رؤية ذلك استحالت الصهباء أي الخمر من الخمرية والخباثة الى الخلية والطهارة فشبهت السيئات بالصهباء التي هي الخمر على سبيل الاستعارة التصريحية والاستحالة ترشيح (قوله كل أمر تعنى به) على صورة المفعول فهو بضم التاء أو بفتحها مبنيا للفاعل أي تعتني وتهتم و[illegible] (وقوله) تقلب الاعيان جمع عين أي ذوات الاشياء وأجرامها أن تتحول عن صفتها التي لا تريدها الى الصفة التي تريدها وقوله وتعجب البصراء جمع بصير [illegible] أي تتعجب من ذلك [illegible] بالابصار الذي لا [illegible] (قوله ورب عين) هي [illegible] بركة [illegible] بعضهم [illegible] الاحمر [illegible] وقوله تفلت أي [illegible] في مائها الملح الذي لا [illegible] الخ وقوله فأضحى أي ذلك الماء الملح أي صار وتحول وقوله وهو الفرات جملة حالية ان كانت أضحى تامة وخبرها ان كانت ناقصة على ما جوزه بعضهم من اقتران الخبر بالواو وقوله الفرات بضم الفاء أي العذب السائغ للشاربين أو كالفرات أي النهر المسمى بهذا الاسم الذي هو أحد الانهار الاربعة النازلة من الجنة وقوله الرواء الذي يحصل الري الكامل بتناوله لشاربه (قوله آه) اسم فعل مضارع بمعنى أتوجع أي أتوجع توجع تحسر وندم أي توجعي عظيم [illegible] وقوله مما جنيت أي من أجل ما جنيت واقترفت من الذنوب [illegible] العيوب وقوله ان كان يغني ان التعليل [illegible] على حد [illegible] كنتم مؤمنين وذلك لان التوجع يفيد الندم الوارد في الحديث انه توبة أي [illegible] المتكفل [illegible] وقوله من عظيم ذنب من اضافة الصفة للموصوف والمراد [illegible] مسماها وهو آه أي مدلول مسماها وهو التوجع المفيد للندم المفيد [illegible] ويصح أن تكون ان على بابها من الشك [illegible] ان [illegible] آه سبب التوجع والتوبة لكن قوله [illegible] لاقطعي [illegible] الاعتبار (قوله ارتجي الخ) لما عرض بوقوع التوبة صرح بوجائها [illegible] أن الاهتمام [illegible] من الاكتفاء بالتعريض [illegible] أرتجي أي أؤمل [illegible] الحديث القدسي أنا عند ظن عبدي بي فلا يظن بي الا خيرا وقوله التوبة وهي الندم على الذنب من حيث هو ذنب [illegible] الندم عليه [illegible] كاطلاع الناس عليه ومن ذلك الندم لا ينفع شيأ أو الاقلاع عن المعصية [illegible] الندم [illegible] آخر أيضا وعزم أن لا يعود اليه [illegible] من أجل الندم [illegible] الخروج عن كل مظلمة [illegible] بقضاء ما مضى [illegible] الى مالكه أو وكيله أو وارثه هذا ان قدر والا عزم عزما جازما أنه متى قدر على الخروج منه [illegible] والتوبة [illegible] الصغائر [illegible] من ذنب دون ذنب وتصح أيضا وان سبقها توبة من ذلك الذنب ثم عود اليه وان تكرر ذلك وقوله النصوح أي التي لا يعود من حصلت له الى الذنب أبدا لوقوعها خالصة [illegible] من شوائب الحظوظ بأن تكون لله وحده لا لغرض آخر وقوله وفي القلب أي والحال أن [illegible] في القلب أي في قلبي نفاق من حيث العمل بان [illegible] خلاف ما [illegible] لا من حيث الاعتقاد لان ذلك كفر وقوله وفي اللسان أي وبقية الاركان رياء أي [illegible] الى طلب رفعة

(قوله الرواء الخ) قال العلامة الصاوي أي الذي يحصل بتناوله الري الكامل لشاربه وأخذ الناظم ذلك مما وردت [illegible] صلى الله عليه وسلم بعذب المالح وفي حديث حسن أنه صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وليس بها ماء يستعذب غير بئر رومة أي وصارت بعد ذلك جميع مياهها عذبة ببركته صلى الله عليه وسلم [illegible] (قوله ارتجي الخ) ولما عرض بوقوع التوبة صرح برجائها بقوله أرتجي التوبة أي أؤمل بحسن ظني لقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح لا يموتن أحدكم الا وهو يحسن الظن بربه ولقوله تعالى في الحديث القدسي أنا عند ظن عبدي بي فلا يظن بي الا خيرا اه صاوي

أو ثناء من مخلوق ومع ذلك لا يترك التوبة ولا رجاء قبولها (قوله ومتى يستقيم) استفهام تعجبي واستقامة
القلب بأن لا يبقى فيه نظر الى ما يحجبه عن الله من أهل أو مال أو جاه أو غير ذلك بل نظره انما هو لله وحده
وقوله والجسم اعوجاج أى والحال أنى وصلت الى حالة تدل على غلظ القلب وشدته وعدم قبوله للخروج عما
جبل عليه من الغفلة واللهو وتلك الحالة هى أنه حصل للجسم اعوجاج من أجل كبرتى بكسر الكاف وسكون
الباء أى كبر سنى ووهن عظامى من كبر بكسر الباء أى أسن وقوله وانحناء أى اقامتى وهو من عطف الرديف
أو الاخص لان الاعوجاج يعم الاعضاء كلها والانحناء مختص بالقامة اذ هو تقوس الظهر ويبعد حينئذ
استقامته بخلاف أيام الشباب فان العود رطب والقلب لين فأدنى وعظ يؤثر فيه (قوله كنت) أى انما أخرت
التوبة الى هذا الزمن لانى كنت فى نومة الشباب الذى تكثر فيه الغفلات وتتوالى على أهله الهفوات
فاستحكمت غفلتى حتى صرت كالنائم المستغرق الذى لا يفيق من نومته الا بمحرك قوى وقوله فما استيقظت
أى من تلك الغفلة فى حال من الاحوال الا ولمتى أى والحال أن لمتى والمراد بها هنا اللحية والا فأصل معناها شعر
الرأس اذا لم يجاوز شحمة الاذن وقوله شمطاء أى اختلط سوادها ببياضها (قوله وتماديت) أى وحينئذ
بلغت هذا السن الذى تعسر فيه التوبة كما تقرر وتماديت أى طلبت أن أقتفى أى أتبع أثر القوم الصالحين
السابقين الى المراتب العالية وقوله فطالت مسافة أى بينى وبينهم لبعد الدرجات التى فازوا بها وقوله واقتفاء
أى لاعمالهم وأخلاقهم لانهم استغرقوا فيها أوقاتهم (قوله فورا السائرين) أى فبسبب طول المسافة التى بينى
وبينهم وراء خبر مقدم وقوله السائرين أى ليلا من السرى وهو السير فى الليل وعدل اليه عن ورائهم الذى هو
مقتضى الظاهر لينبه على انهم استغرقوا لياليهم بالعبادة وقوله وهو أى ذلك الوراء أمامى جملة معترضة بين الخبر
المقدم والمبتدأ المؤخر بالتصريح بما علم من قوله أقتفى الخ وهو أنه مع طول المسافة بينه وبينهم وتعذر اتباعه
لهم صار بينه وبينهم موانع أيضا وقوله سبل مبتدأ مؤخر أى طرق وقوله وعرة بفتح الواو وسكون العين
أى يعسر سلوكها الان أولئك القوم كلفوا أنفسهم من الاعمال ما أوجب لغيرهم عدم اللحوق بهم لعدم قدرته
على القيام بما قاموا به وقوله عراء بفتح أوله أى فضاء واسعة (قوله جد) بكسر الميم أولئك القوم المدلجون
أى السائرون من أول الليل الى آخره أو أكثره والقياس جدوا أيضا فعدل الى الظاهر ليبين أنهم على فرقتين
منهم من يحيي بعض الليل ومنهم من يحيي كله أو أكثره وهذا القسم الثانى أفضل وأكمل لانهم دأوا يجدد
به جدهم مما لم يره من قبلهم وقوله غب أى عاقبة سراهم من الفوز برضا الله وقربه وهذا مقتبس من قولهم
عند الصباح يحمد القوم السرى وقوله من تخلف أى عنهم فى سيرهم وقوله الابطاء أى التأنى فى السير المفوت
لادراك منازلهم وفى ذكر هذا ايماء الى غاية التحسر والتألم (قوله رحلة) أى سيرهم الذى قطعوه رحلة عظيمة
عن مواطن الشهوات وقواطع البطالات وهذه الرحلة عز على وتعسر أن اقتفيهم فيها لانى لم يزل يفندنى أى
يكذبنى الصيف وقوله اذا ما نويتها ما زائدة وقوله والشتاء أى يكذبنى أيضا أى اذا جاء الشتاء أنوى الى
الصيف لان الشتاء يكثر فيه البرد والامطار فيعسر فيه السير فاذا جاء الصيف أقول اصبر به الى الشتاء لان
الاعمال تتيسر فيه أكثر ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم الشتاء ربيع المؤمن طال ليله فقامه وقصر نهاره
فصامه وقال أيضا مرحبا بالشتاء فيه تنزل الرحمة أما ليله فطويل للقائم وأما نهاره فقصير للصائم وقال أيضا لم ينزل
عذاب من السماء على قوم الا عند انسلاخ الشتاء (قوله يتقى حر وجهى) بضم الحاء وتشديد الراء المضمومة
وهو ما يبدو من الوجه وقوله الحر والبرد أى باتقائه عنهما خوفا من مشقتهما وهما كنايتان عن مشقة العبادة
فى الشتاء والصيف كما أن ما فى البيت السابق كذلك وقوله وقد عز أى والحال أنه قد عز أى صعب على من
لظى أى جهنم متعلق بقوله الاتقاء لانى متلبس بما يؤول بى اليها الا أن يتغمدنى الله برحمته (قوله ضقت ذرعا)
بالمعجمة وقوله مما جنيت أى من أجل الذى جنيته أو من أجل جنايتى فما موصولة أو مصدرية ومعنى ضقت

ومتى يستقيم قلبي والجسـ
ـم اعوجاج من كبرتى وانحناء
كنت فى نومة الشباب فما استيـ
ـقظت الا ولمتى شمطاء
وتماديت اقتفى اثر القو
م فطالت مسافة واقتفاء
فورا السائرين وهو أمامى
سبل وعرة وارض عراء
جد المدلجون غب سراهم
وكفى من تخلف الابطاء
رحلة لم يزل يفندنى الصيـ
ـف اذا ما نويتها والشتاء
يتقى حر وجهى الحر والبر
د وقد عز من لظى الاتقاء
ضقت ذرعا مما جنيت فيومى
قمطرير وليلتى درعاء

ضعفت قوتى وطاقتى عن أن أتحمل وزره أى وزرالذى جنيته ولم أجد من يخلصنى من ثقله وقوله فيومى غطرير أى شديد وقوله وليلتى درعاء بالمهملة أى مظلمة وهذا كناية عن شدة ما يلقى فيها وأصل الدرعاء التى يطلع قمرها عند الفجر ومراده أن ذلك الضيق ملازم له ليلا ونهارا لا ينفك عنه فى واحد منهما (قوله وتذكرت) أى ولكن خفف عنى أنى تذكرت رحمة الله أى سعتها التى دل عليها قوله تعالى ورحمتى وسعت كل شئ وأنها سبقت غضبه كما دل عليه الحديث ان الله كتب كتابا فهو عنده فوق العرش ان رحمتى سبقت غضبى أى ان مظاهر رحمتى غلبت مظاهر الغضب يعنى أن العباد المرحومين أكثر من المغضوب عليهم وليس المراد أن الرحمة نفسها سابقة على الغضب لان ارادة الله لا أسبقية فيها وقوله فالبشر أى فبسبب ذلك البشر أى الفرح والسرور وهذا مبتدأ خبره قوله تلقاء وقوله لوجهى متعلق به أى بالخبر وقوله أنى اتجهى أى فى أى مكان أتجهى أى أقصد وأتوجه أى فالبشر مقابل لوجهى فى أى مكان توجهت اليه لانى مستشعر سعة الرحمة ومعول عليها (قوله فالخ) أى فبسبب تذكرى الاحاديث المقتضى لمزيد الخوف وتذكرى لسعة الرحمة المقتضية لسعة الرجاء الخ أى أقام الرجاء والخوف بالقلب فهما على حد سواء كما هو الراجح عند أئمتنا الانسان مادام صحيحا فالكون رجاؤه وخوفه مستويين وقيل يغلب الرجاء لئلا يغلب عليه داء اليأس من رحمة الله وقيل يغلب الخوف لئلا يغلب عليه داء الامن من مكر الله ورد بما انهما اذا استويا أمنت غلبة أحدهما ولا يخشى حينئذ بخلاف غلبة أحدهما فانه يخشى منها المحذور الذى فى مقابله أما المريض فيغلب الرجاء لحديث لا يموتن أحدكم الا وهو يحسن الظن بالله أى يظن أنه يغفر له ويرحمه وقوله والخوف والرجا أى اذا توارداعلى القلب اخفاء أى استخفاء ونزاع ومصادمة لتضادهما لتضاد مقتضاهما لان مقتضى الخوف اعتراء شدة وحصر للنفس لابطائه لان من لوازمه الكف عن كل شر ومقتضى الرجاء بسط النفس وانشراحها لان من لوازمه استحضار سعة الرحمة وأن الذنوب وان كثرت وعظمت يغفرها الله ويتجاوز عنها بكرمه واذا تنافى مقتضاهما لزم أن كلا يستقصى فى مقتضاه بما ينقصه به الآخر لكن قد علمت أن الاولى للصحيح أن يستوى عنده المقتضيات ومن ثم قال ناهيا عن غلبة الخوف المقتضى لليأس صاح الخ (قوله صاح) أى يا صاحبى وفيه تجريد اذ الاصل يا نفس جردمنها شخصا وخاطبه وقوله لا تأس أى لا تيأس من رحمة الله تعالى أيس من الشئ ويئس منه اذا لم يبق له طمع وقوله عن الطاعة أى عن الاكثار منها وليس المراد عنها بالكلية لان تركها رأسا والاتكال على عفو الله غرور وأى ان ضعفت عن الدأب فى الطاعة والمواظبة عليها لضعف همتك وغلبة بطالتها وايثارك الراحة وقوله واستأثرت أى انفردت بها أى بكثرتها الاقوياء أى أهل الهمة والنشاط وقهر النفس وتجريعها المكروهات حتى تدربت عليها وصارت عندها من ألذ ألوانها وأعظم مشتهياتها (قوله ان انه) ان وان كانت مكسورة لكن فيها اشارة بتعليل للنهى السابق وقوله رحمة أى عظيمة ادخرها لبعض عباده تعم القوى والضعيف والشريف والوضيع وقوله منه متعلق بقوله بالرحمة وقوله الضعفاء أى الذين لا يعولون على أعمالهم ولا يغترون بأحوالهم مع قيامهم بما لا بد منه واخلاصهم نية فى عبادتهم فهم أقوى نية فى العبادة وأبعد عن الرياء فربما حصلت لهم بسبب ذلك منقبة سبقوا بها الاقوياء (قوله فابق فى العرج) أى فبسبب الاحقية المذكورة ابق أيها العاقل الضعيف عزلا فى العرج أى فى الضعفاء المشبهين بالعرج جمع أعرج وهو من برجله داء منعه من استقامة المشى وقوله عند منقلب الذود أى توجهه بأمر صاحبه وارساله الى جهة من الجهات والذود جماعة الابل من الثلاثة الى العشرة وقوله ففى العود تسبق العرجاء أى الى صاحب التفر زمنه بأمولها فتأخرها أوجب لها السبق فكذلك تأخرك عن كثير من الطاعات أوجب لك السبق المكثر منها لانه قد يصحبك من الذل والافتقار والاخلاص ما يخالف تأخرك بخلاف المكثر فقد يصحبه من العجب والافتخار ما يوجب تأخره ومن ثم قال العارف ابن عطاء الله رب معصية أورثت ذلا وانكسارا خير من طاعة أورثت عزا واستكبارا واعلم أنه

وتذكرت رحمة الله فالبشر لوجهى أنى اتجهى تلقاء
فالخ الرجاء والخوف بالقلب والخوف والرجا اخفاء
صاح لا تأس ان ضعفت عن الطا عة واستأثرت بها الاقوياء
ان لله رحمة وأحق النـ ـاس منه بالرحمة الضعفاء
فابق فى العرج عند منقلب الذو د ففى العود تسبق العرجاء

(قوله فهو عنده) قال العلامة الصاوى وهذه العندية عندية شرف ومكانة لا مكان لتعاليه تعالى عنه علوا كبيرا اه (قوله سبقوا بها الاقوياء) وفى الحديث القدسى انا عند المنكسرة قلوبهم من أجلى اى لان مطلوبهم رضائى وقدمهم ان لا عمل لهم وفى الحديث ان الله لا ينظر الى الصور وانما ينظر الى الأعمال والقلوب اى لا الى الاعمال وحدها بل لما يصحبها مما فى القلوب من اخلاص وافتقار اه صاوى

لم

لم يجعل ذات المعصية خيرا من ذات الطاعة بل لا يتوهم ذلك من كلامه وانما الذى أفاده أن المعصية قد يصحبها وصف خير من الوصف الذى صحب الطاعة فيكون ذلك مقتضيا لعدم المؤاخذة بوصمة تلك وهذا مقتضيا لسقوط هذه وعدم الاعتداد بها فكذلك كلام الناظم هنا يتنزل على هذا **(قوله لا تقل)** أى اذا تأخرت عن الطاعة لضعفك عنها فلازم الذلة والانكسار ولا تقل حاسدا أى حال كونك حاسد الغيرك الذى أكثر من الطاعة والمراد بالحسد هنا حقيقته الشرعية وهى تمنى زوال نعمة الغير أى لا تقل ما سيأتى حال كونك متمنيا زوال نعمة التوفيق عنه وقوله هذا أى القوى فى الطاعة وقوله أثمرت نخله أى كثرت أعماله فتشبيهها بالنخل استعارة مصرحة وذكر الاثمار ترشيح وقوله ونخلى أى أعمالى عفاء بفتح العين أى كالتراب لا ثمرة لها بسبب ضعفى ولا يعتد بها ووجه النهى فى النظم أنك لو قلت ما ذكر مع الحسد تعترض على الحكيم فى فعله وتخصيصه لكل ما أراد وخرج بقوله حاسدا المنصرف الى الحسد المذموم الحسد الممدوح المسمى بالغبطة وهو ان تتمنى أن يكون لك مثل ما لغيرك مع بقاء نعمه بحالها وهذا مطلوب كما فى الحديث لا حسد الا فى اثنتين **(قوله وأت)** أى واحذر أن تتكل على رجائك فقط من غير عمل فانه لا ينفع رجاء الا مع العمل ومن ثم قالوا كل رجاء لم يصحبه عمل فهو غرور بل مع رجائك اجتهد وأت بالمستطاع من عمل البر امتثالا لقوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم وقوله فقد يسقط أى فقد ينتج القليل ما لا ينتجه الكثير بواسطة مزيد اخلاص أو انكسار كما أنه قد يسقط الثمار الكثيرة النفيسة الاثاء بفتح الهمزة والفوقية والمد وهو صغار النخل كما قاله الجوهرى وهو قد يثمر ثمرا كثيرا جيدا اذا خلصت أرضه وزاد ريه وخصبه ولا يسقط ذلك الكبار فكذلك أنت قد تفوز بسبب ضعفك بالمعنى السابق بما لم يفز به القوى الناظر الى قوته ونفسه فتلخص أن الاثاء بالكسر اسم لثمر النخل والشجر وقد تقدم بهذا المعنى آنفا وأن الاثاء بالفتح اسم لصغار النخل وهذا هو المراد هنا فسقط ما أطال به الشارح **(قوله وبحب النبى)** متعلق بقوله فابغ رضا الله أى اطلب رضا الله امتثالا لقوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله الآية وقوله فنى حبه أى من الله المنعم بما لا يحصى وقوله والحباء بفتح الحاء والمد أى العطاء منه تعالى لجميع الخيرات الدنيوية والاخروية كالتوفيق للاعمال الصالحة والفوز بالمقامات العالية **(قوله يانبى الهدى الخ)** فى هذا رجوع لما سبق من الضراعة واظهار المسكنة وقوله الهدى أى الدلالة الموصلة بالنسبة لخصوص المؤمنين ومنه انك لا تهدى من أحببت ومطلق الدلالة بالنسبة لمطلق المكلفين ومنه انك لتهدى الى صراط مستقيم وقوله استغاثة بالنصب مفعول مطلق أى استغثت بك استغاثة أى ناديتك نداء فالاستغاثة نداء من يخلص من شدة أو يخففها وقوله ما هوف أى مضطر محتاج الى من ينقذه مما يهلكه وقوله الحوباء بفتح الحاء وسكون الواو والمد أى مسكنة ذنوبه وضعف همته **(قوله يدعى الحب)** هذا فى المعنى تعليل لقوله أضرت بحاله الحوباء أى يدعى الحب لله ولرسوله وقوله وهو يأمر بالسوء أى والحال أنه يصدر عنه ما يكذب دعواه من مخالفتهما لانه لا يزال يأمر نفسه وغيره بالسوء أى الاثم فعلا وتركا والمخالفة تنبئ عن عدم المحبة كما هو واضح لمن تأمل ولهذا أشار الى تمنيه أن يصدق فى دعواه محبتهما فقال ومن لى من استفهامية أى من الذى يتكفل لى وكان الظاهر أن يقول له ففيه التفات من الغيبة الى التكلم وقوله أن تصدق الرغباء أى رغبتى وعزيمتى فى الرجوع الى الله بالتوبة والعمل الصالح **(قوله أى حب يصح منه)** فيه التفات من التكلم الى الغيبة وقوله وطرفى حال فيه التفات عكس ما قبله وقوله للكرى أى النوم وقوله واصل أى متصل لا ينفك عنه النوم وليس هذا شأن المحب وقوله وطيفك أى خيالك راء أى محتجب عنى كما احتجبت الراء عن واصل ابن عطاء الرجل المشهور لانه هجرها فلم يتكلم بكلمة فيها راء قط لعجزه عنها بل يرادفها أو يقاربها خشية أن يعير بلثغته بالراء فصار هجر الشئ المستمر تمثيلا عندهم بهجر واصل الراء ففى النظم تورية لان واصلا بالنظر للكرى اسم فاعل أى مواصل للكرى أى النوم أى مديم له وبالنظر للراء اسم علم وتلميح لانه أشار الى قصة

لا تقل حاسدا لغيرك هذا
أثمرت نخله ونخلى عفاء
وأت بالمستطاع من عمل البر
ر فقد يسقط الثمار الاثاء
وبحب النبى فابغ رضا اللـه
فنى حبه الرضا والحباء
يانبى الهدى استغاثة ملهو
ف أضرت بحاله الحوباء
يدعى الحب وهو يأمر بالسو
ء ومن لى ان تصدق الرغباء
اى حب يصح منه وطرفى
للكرى واصل وطيفك راء

(قوله يانبى الهدى الخ) قال العلامة الصاوى اى الدلالة على الله بالنسبة للكل ومنه وانك لتهدى الى صراط مستقيم والايصال اليه بالنسبة للمؤمنين ومنه انك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء اه

واصل وفيه الاستفهام الانكارى أى كيف تصدق محبتى وانا مواصل للكسل والنوم سلمنا أن مواصلة النوم لاتنافى المحبة لانها أمر وجدانى فكيف توجد مع عدم خطور خيال المحبوب بالضمير لافى اليقظة ولافى النوم وهذا ينافى المحبة كما هو محسوس لاستلزامها أن طيف المحبوب لايغيب عن خيال المحب نوما ولا يقظة نعم قد يتخلف هذا الاستلزام لمانع ولذا تردد مع ماقدمه فى أن عدم خطور الطيف هل هو لذلك أو لغيره فقال ليت شعرى الخ (قوله ليت شعرى) أى علمى أى ليتنى علمت أذاك اى عدم خطور طيفه بقلبى وقوله من عظم ذنب أى من أجل عظم ذنب وقع منى وهو ظاهر والعظم أكثر الشئ أى من أجل كثرة ذنب وقوله المتيمين أى المحبين وقوله حظاء بضم الحاء وكسرها جمع حظوة كذلك وهى المكانة والرتبة أى انصباؤهم الى المحبوب متفاوتة فبعضهم يحظى بالقرب من غير كثرة عمل و بعضهم لايحظى به الابعد كثرة العمل (قوله ان يكن عظم زلتى) أى انى ارتكبتها وفى نسخة ذنبى وقوله حجب رؤيا لك خبر يكن وقدم معمولها ... الاخبار أى ان يكن جزاء عظم ذنبى حجب رؤيالك أى رؤيا طيفك منى فى النوم وقوله فقد عز داء قلبى أى الداء قلبى فداء منصوب على نزع الخافض وقوله الدواء فاعل عز أى قل بل عدم الدواء الذى يكون لمرض قلبى ولا يوجد له شفاء لانه لايوجد الا ... المحبوب ... وتزيد الخوف وان الانسان لايأمن المؤاخذة به وان كان ... والرجاء فى ... وحينئذ ... كيف يصدا الخ (قوله كيف يصدا) أى ... بسبب الذنب الذى ارتكبته ... وقوله أى والحال أن له الخ وذكر لك مبتدأ والجميل نعت له وجلاء خبره وله متعلق بجلاء متقدم عليه وقوله ذكرك مضاف للمفعول أى ذكرى اياك بالصلاة والتسليم عليك وسؤال الوسيلة وغيرهما مما يعود عليه ويصح أن يكون مضافا للفاعل أى وذكرك له وقوله جلاء أى للصدا والمراد أنه ينفعه بالكلية لان ذاكره صلى الله عليه وسلم لايصدا قلبه (قوله هذه علتى) لما غلب على ... أشار الى التردد فيه بقوله ان يكن ... ان سبب حجب الرؤيا عنه عظم ذنبه ... ثم ... بعد ... فقال هذه علتى التى أحدثت حجبى وأذهبت قلبى ... وقوله وانت أى والحال انك طبيب العالم بها ... وقوله ليس يخفى عليك الخ أى وانك لا أحد من الخلق أكرم ولا أحلم منك فعجل لى بدواء ذلك الحاصل للشفاء من ... جميع ماهنالك فان شفاعتك لا ترد والمتوسل بك لا يخيب (قوله ومن الفوز الخ) اى وانما رفعت اليك قصتى وشكوت اليك قلة حيائى مما جنيت على نفسى لان من الفوز أى النجاة والظفر لى بجميع المطلوب أن أبث من بث وأبث نشر وأظهر وقوله شكوى هى الاخبار عن النفس أو الغير بسوء فعل وقوله هى شكوى اليك اى لكن هذه انما هى شكوى منى لنفسى اليك لا الى غيرك اى انشر واظهر بين يديك ... ما كان يهلكنى من عظائم ذنوبى ... رجاء أن تمنحنى بنظرة تزيل عنى كل وصمة وتوجب لى منك كل رحمة لان ... فيك واسع وقوله وهى اى تلك الشكوى الواقعة فى ضمن ذلك المدح اقتضاء اى أطلب من كرمك الواسع ... ان اتخلص من تلك الفرطات وانجو من هذه العثرات وان تحصل لى الشفاء من جميع الادواء فان جاهك متكفل بكل مطلوب ومحقق لكل مسؤل ومرغوب (قوله ضمنتها) بالبناء للمفعول والهاء عائدة على الشكوى وقوله مدائح نائب الفاعل أى ضمنت تلك المدائح الشكوى اليك اى جعلت الشكوى فى ضمن المدائح فقوله مدائح جمع مدحة ان لجنابك اى كلام متضمن للثناء الجميل الذى هو المدح وقوله مستطاب بالرفع صفة مدائح وقوله فيك منها اى من تلك الشكوى وهذان الظرفان متعلقان بما قبلهما او بعدهما ومن تبعيضية وقوله المديح اى لك وقوله والاصغاء اى من سامعيها اى سامعى تلك المدائح لان اوصافك ... ومن استطابة تلك المدائح ان الله يسر لى فى هذه القصيدة البديعة بركة امتداحى اليك (قوله فلما اولت) اى تلك الشكوى هكذا اقرره الشارح وفيه شئ لانه يقتضى ان الشكوى هى المقصودة بالذات مع انه فيما سبق

ليت شعرى أذاك من عظم ذنب
أم حظوظ المتيمين حظاء
ان يكن عظم زلتى حجب رؤيا
لك فقد عز داء قلبى الدواء
كيف يصدا بالذنب قلب محب
وله ذكرك الجميل جلاء
هذه علتى وأنت طبيبى
ليس يخفى عليك فى القلب داء
ومن الفوز أن ابث شكوى
هى شكوى اليك وهى اقتضاء
ضمنتها مدائح مستطاب
فيك منها المديح والاصغاء
قلما حاولت مديحك الا
ساعدتها اسيم وذال وحاء

(قوله واصل) وهو رئيس المعتزلة نفى المقام التورية لان واصلا بالنظر للمكرى اسم فاعل والمراد اسم علم وتلميذ لانه اشار الى قصة واصل وفيه الاستفهام الانكارى اى كيف تصدق محبتى وانا مواصل للكسل والنوم اه صاوى

جماها

جعلها متضمنة للمدح اى فى ضمنه فالاولى ارجاع الضمير على القصيدة المعلومة من السياق ولواحق كلامه تدل على هذا ويكون الاسناد على هذا مجازيا وكذا يقال فى قوله الاساعدتها وقوله ميم ودال وحاء اى مسمى هذه الاسماء وهو مدح اى ما توقف على معنى فوجهت همتى الى احسن منه الا وجدت الالفاظ الدالة على مدحك تبادرنى وتساعدنى عليه فتأتى قريحتى منه لما هو ابدع وابلغ وما فى قل مصدرية فالمعنى قلت محاولتها مدحك فى غير حال كونها مساعدة فهذه الحروف الثلاثة احالى تلك الحالة فانها لا تقل بل تكثر وعلى هذا يلزم وقوع الاستثناء المفرغ فى غير نفى او شبهه وهو النهى او الاستفهام وهو ممنوع عند اكثر النحاة وحينئذ فيتعين تأويل النظم بأن يقال فاعل قل محذوف دل عليه المذكور وما نافية والاستثناء مفرغ من أعم الاحوال والتقدير قل ان يستصعب على ما اردته من مدحك لانى ما حاولته فى حال من الاحوال الا ساعدنى مدحك على اكمل ما ينبغى ولاجل هذه المساعدة المسهلة على ما اردته من اعلى انواع البلاغة حق لى فيك الخ **(قوله حق)** بفتح الحاء وضمها أى ثبت واستقر وقوله فيك أى فى مدحك وقوله قوما وهم الشعراء الذين مدحوك ومعنى أساجلهم أفاخرهم وأغالبهم فأقول ما صنعته خير مما صنعتموه وأبين لهم ذلك حتى يذعنوا الى فيه وحينئذ أفوز منك بأبلغ ما فاز وابه والمساجلة تنازع المستقين على بئر بدلاء مختلفة ليريد كل منهم أن يظفر بملء دلوه قبل غيره شبههم المادحون فى تنازعهم وادعاء كل أن مدحه خير من مدح غيره فهى استعارة بالكناية واثبات المساجلة تخييل والدلو ترشيح **(قوله ان لى غيرة الخ)** هذا اشارة الى علة أخرى لتميزه عليهم وتسليمهم له والغيرة بالفتح أى حمية توجب لى أن لا أحب غيرى يسبقنى فى مدحك وقوله وقد أى والحال أنى قد زاحمتنى أى ضيقت على فى معانى ألفاظ مدحك الشعراء وأرادوا أن يسبقونى فيه **(قوله ولقلبى فيك الخ)** حال من الياء فى زاحمتنى وقوله فيك أى فى مدحك وقوله العلو أى مجاوزة الحد وقوله وأنى للسانى أى وأنى يكون للسانى فى مدحك الغلواء أى الاسراع والتقدم عليهم لولا اسعافك وامدادك لى بما يميزنى عليهم وأنى استفهامية بمعنى كيف أو بمعنى من أين ويصح كسر ان أى وانى فالياء اسمها لكن الاول أبلغ وأظهر **(قوله فاثب)** أى فبسبب صدق محبتى وشدة رغبتى أثب خاطرا أى قلبا بان تمده بما يتفوق به على مزاحميه ومسابقيه فانك أكرم من جازى محبيه وأجود من جاد على مادحيه وأنا أصدقهم محبة وأبلغهم مدحة وقوله يلذ بفتح اللام أى يلذ له مدحك لذة تحمله على أن يبذل وسعه مع صدق التوجه اليك وقوله عالما مفعول لاجله أى لاجل علمه بانه أى مدحك اللألاء أى المضىء والمشرق فى قلوب المادحين حتى تأتى فى مدحك بالمعانى البديعة والاساليب العجيبة كما وقع لى فى هذا النظم لتميزه على غيره بامور منها أنه حاك من صنعة القريض **(قوله حاك)** اى من تلك الامور التى تميز بها هذا النظم على غيره أنه حاك أى نسج ذلك الخاطر فيه وقوله القريض أى الشعر وقوله برودا جمع برد وهو نوع من انواع الثياب اليمانية فيه زينة وقوله لك متعلق بحاك وقوله لم تحك أى لم تشبه وقوله وشيها أى نقشها بالالوان المختلفة وقوله صنعاء مدينة باليمن مشهورة بجودة النسج والوشى **(قوله أعجز الدر)** أى ومن تلك الامور أنه أعجز الدر أى اللؤلؤ الابيض وقوله نظمه أى أن نظام هذه القصيدة المشتملة من البلاغة على غاية لم يشتمل عليها غيرها فان الدر النفيس المنظوم الذى يدهش الفكر ويخطف البصر لضوئه وصفائه وقوله فيه أى فى العجز عنه وقوله اليدان أى القريحتان وقوله الصناع بفتح الصاد المهملة وبالنون والعين المهملة أى الحاذقة الماهرة وقوله والخرقاء أى الغبية **(قوله فارضه)** أى فبسبب ما تميز به هذا النظم عن غيره ارضه أى اقبله باخير من أمله المادحون ورجاه العارفون وتجاوز عما فيه وقوله أفصح منادى أى يا أفصح امرئ نطق الضاد منصوب على نزع الخافض أى بالضاد أى يا أفصح العرب وهذا اقتباس من قوله صلى الله عليه وسلم أنا أفصح من نطق بالضاد وخصها لان غير العرب لا يحسن اخراجها من مخرجها والعرب وان أحسنوه لكنهم يتفاوتون فيه وكلهم لم يصل أحد منهم الى الحد الذى كان صلى الله عليه

حق لى فيك ان أساجل قوما
سلمت منهم لدلوى الدلاء
ان لى غيرة وقد زاحمتنى
فى معانى مديحك الشعراء
ولقلبى فيك الغلو وأنى
للسانى فى مدحك الغلواء
فأثب خاطرا يلذ له مد
حك علما بأنه اللألاء
حاك من صنعة القريض برودا
لك لم تحك وشيها صنعاء
أعجز الدر نظمه فاستوت فيـ
ـه اليدان الصناع والخرقاء
فارضه أفصح امرئ نطق الضا
د فقامت تغار منها الظاء

(قوله أى مجاوزة الحد) عبارة العلامة الصاوى والغلو الاسراع وقوله فأثب خاطرى أى قريحتى على هذا المدح البديع بان تمدها بما تفوق به جميع مزاحميها فانك أكرم من جازى محبيه وأجود ما جاد على مادحيه وأنا من أصدقهم محبة وأبلغهم مدحة كيف وقلبى يلذ له مدحك لذة تحمله على أن يبذل وسعه فاخترع ما لم يسبق اليه ولا حام أحد قبله عليه انتهت (قوله فقامت تغار منها الظاء) قال العلامة الصاوى أى فبسبب اختصاص الضاد بتعذر النطق على غير العرب وتعذر نهايته على غيره صلى الله عليه وسلم وقرب الظاء من مخرجها ولم تظفر بما ظفرت

وسلم يصل اليه فى تأديتها وقوله فقامت أى فبسبب اختصاص الضاد بتعذر أو تعسر النطق بها على غير العرب وتعذرها اتيانه على غير النبى صلى الله عليه وسلم وقرب الظاء من مخرجها ولم تظفر بما ظفرت به الضاد من فاعلة الظاء وقوله تغار نهاية جملة حالية وسبب الغيرة أن الضاد غيرت عليها بتلك المزية العالية فارادت الظاء أن يحصل لها مزية مثلها فلم تحصل فقامت تغار (قوله أبذكر الآيات الخ) أى ان طلبى من كرمك يا أكرم الخلق الرشايم نذا القصيدة ليس لكونها وفت بعض ما وقت الواجب استحقاقوها فى مدحك بل الطمع فى سعة حلمك وجودك وقوله أبذكر الآيات أى فى هذا النظم أى الخصائص والمعجزات الدالة على وصولك الى مالم يصل اليه خلوق والاستفهام انكارى أى لا يمكن ذلك الامن أحاط بها علما وقوله أين منى أى أين منى الوفاء بذلك والاستفهام أيضا انكارى وقوله وأين منها الوفاء أى بذلك فهو راجع لمعنى منى (قوله أم أمارى) أى أجادل بهن أى بذكرى لهن أى لتلك الآيات قوم نبى هو محمد صلى الله عليه وسلم والمراد بقومه اليهود باسمائه أى لم أذكر تلك الآيات بقصد أن أوفى مدحته ولا بقصد أن أجادل بها ... منهم فهو ... لا ينفعهم ولا يعقل شيأ وقوله الاغبياء أى لانهم لم تنفعهم ... عن ... (قوله وتلك الامة) استئناف ... أى تلك الآيات ... خير الامم وقوله ... العرب ... الهاو قوله الانبياء أى ... ليفوزوا بالعاية ... فازت بذلك أمتك الذين بعث فيهم واطاعوك وكان الظاهر أن يقول ... لانهم تمنوا أن يكون لهم أمة مثل أمتك لكنه ارتكب احد أنواع البديع الذى هو القلب ... وتقدير ... (قوله لم تخف بعدك الضلال) أى ... البيضاء التى لا يزيغ عنها الاهالك وهذا ... نسخة تخف ... وفى نسخة لم تخش ... ذلك ... أى ... أعلام الهدى ... وقوله العلماء ... أى علماء العقائد كابى الحسن الاشعرى ... والماتريدى ... والفروع كالائمة الاربعة ... كالغزالى وأضرابه (قوله فانقضت) أى ... انقضت آى الانبياء بالمدح ... أى معجزاتهم ... لا تنسخ شرائعهم ... آياتك أى معجزاتك فى الناس مالهن انقضاء ... من خوارق العادات ... لا يحصى (قوله والكرامات منهم) أى ... من الناس وقوله معجزات أى ... خوارق العادة ... التحدى ... معجزات لك وقوله من تراث أى ... وقوله ... الاولياء ... لم يخرج عن أمرهما ولا عن نهيهما ... ورسوله والاولياء ... وكرامات ... الولى أنه المداوم على فعل الطاعات واجتناب المعاصى المعرض عن الانهماك فى اللذات والشهوات (قوله ان من معجزاتك) ... وقوله العجز أى ... عن وصفك ... أى عن الاحاطة بكل فرد من أوصافك التى تختص بها وقوله اذ لا يحده أى الوصف المذكور واذ تعليلية وقوله الاحصاء أى العد (قوله كيف يستوعب الكلام) أى الصادر من واصفيك وقوله سجاياك أى ما بك من الاخلاق الكريمة والفضائل والاوصاف البالغة أقصى الكمال التى لاحد لها باعتبار أنك لا تزال ترقى فى مراتب القرب فى الحياة وبعد الممات وفى الموقف وفى الجنة الى مالانهاية له وقوله وهل تنزح البحار أى المشبه بها أوصافك ... الوجود الحسى وبهذه قيام الوجود المعنوى لانه صلى الله عليه وسلم روح الكون والحلقة الاكبر عن الله فى امداده وقوله الركية أى

أبذكر الآيات أوفيك مدحا
أين منى وأين منها الوفاء
أم أمارى بهن قوم نبى
ساء ما ظنه بى الاغبياء
وتلك الامة التى غبطتها
بك لما أتيتها الانبياء
لم تخف بعدك الضلال وفينا
وارثو نور هديك العلماء
فانقضت آى الانبياء وآيا
تك فى الناس مالهن انقضاء
والكرامات منهم معجزات
حازها من تراثك الاولياء
ان من معجزاتك العجز عن وصـ
ـفك اذ لا يحده الاحصاء
كيف يستوعب الكلام سجايا
ك وهل تنزح البحار الركاء

به الضاد من اختصاصه بها دون غيره علمت مما ... أن سكونه لها اه

(قوله أى علماء العقائد الخ) عبارة العلامة الصاوى فالمراد بالعلماء أهل السنة والجماعة وهم أتباع أبى الحسن الاشعرى وأبى منصور الماتريدى رضى الله عنهما ما ورد فى الاحاديث الصحيحة لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتيهم أمر الله وهم على ذلك أى هؤلاء هم أهل العلوم الشرعية والاتقن أهل السنة لان الناس مع وجودهم آمنون من كل محنة وضلالة دينا وقوله صلى الله عليه وسلم العلماء

التشبيه الا انها فوق أن كماله يتوصل بها الى حيازة بعض المطلوب دون انتهائه وهذا دليل من لنا الشمول علمهم الاستعارة المصرحة والترشيح لهما بذكر الترتيح ان أوصافه صلى الله عليه وسلم لوعبر عنها من أول الزمان الى آخره لا تعد ولا تحصى (قوله ليس من غاية) من زائدة وقوله لوصفك أى لاوصافك وخبر ليس محذوف تقديره توجد أو موجودة وقوله أبغيها أى أطلبها المتقرر أن ذلك الترقي لا نهاية له فلا مطمع في الاطلاع عليه وقوله والقول أى مني بل ومن كل مادح غاية وانتهاء من عطف المساوى فهو تأكيد (قوله انما فضلك) أى انما فضائلك الزمان أى كالزمان فالكلام على حذف أداة التشبيه وهذا التشبيه من حيث الاجمال في كل من المشبه والمشبه به وأشار الى تشبيه آخر من حيث التفصيل فيهما بقوله وآياتك الآناء من حيث ان جزئيات كل منهما كجزئيات الآخر في عدم احصاء كل فقوله وآياتك أى معجزاتك وخصائصك وقوله فيما نعده أى فيما نحسبه ونضبطه وقوله الآناء أى كالآناء أى كالازمان والساعات واللحظات فكما أن هذه لا تحد فكذلك تلك والآناء بالمد جمع انا بكسر وأمعاء ومعناه الساعة والوقت كما عرفت ويقال فيه أيضا آن بمد الهمزة (قوله لم أطل الخ) أى لا تظن انى باطالتي في هذه القصيدة تعداد أوصافه صلى الله عليه وسلم أخالف ما قدمته أنها لا تعد لانى لم أطل الخ وقوله ومرادي أى والحال أن مرادي بذلك استقصاء أى حصر لاوصافه واستيعاب لها وانما مرادي بتلك الاطالة برد الغليل وشفاء العليل كما أفاده قوله المشتمل على أداة الاستثناء المنقطع الذى هو قوله غير أنى الخ (قوله غير أنى الخ) أى غير أنى لم أرد الحصر والاستيعاب لكنى ظمآن بوجد أى بى من شدة شوقي لسماع تلك الاوصاف غاية الظما والعطش للارتواء من سماعها وقوله ومالى بقليل أى وليس يحصل لى بقليل من الورود والورود اتيان الماء للاستقاء والمراد هنا نفس الماء الذى يورد أى وليس لى ارتواء بقليل من أجل ما بى من شدة العطش فاطالتي لطلب مزيد الارتواء لا لطلب حصر لتعذره وفي كلامه استعارة مصرحة من حيث تشبيه شغفه وتولعه بتعداد الآيات وذكر الصفات بظمأ وعطش شديد لا يزيله الا الماء الكثير ورشح لذلك بذكر الورود والارتواء (قوله فسلام) أى فبسبب حصول الارتواء من تلك الاطالة أختمها بما هو المتعين على من الدعاء لك بالصلاة والسلام امتثالا لقوله تعالى صلوا عليه وسلموا تسليما وقوله سلام أى عظيم شريف أى زيادة تكريم وطيب تحية واعظام وقوله تترا أى يتكرر ويتبع بعضه بعضا دائما وفي القاموس ترى يترى كرمى يرمى تراخى وأترى عمل أعمالا متواترة بين كل عملين فترة اهـ وقد يشكل على استعمال الناظم تترا هنا مرادا به ماذكر الا أن يجاب بأنه أراد به أصل المعنى وهو مطلق التتابع من غير اعتبار تراخ ولا كثرة بقرينة المقام وقد يخرج البليغ عن المعنى اللغوى الى ما هو أخص أو أعم منه للضرورة مع الاستغناء بفهم ذلك الخصوص أو العموم منه من قرينة المقام والسياق فتأمله وقوله وتبقى به أى بسببه على مر الازمنة وقوله البأواء بفتح الباء الموحدة ثم الهمزة الساكنة أى الفخر لان تسليم أمتك عليك مع لتكرار والدوام زيادة في شرفك وفخرك (قوله وسلام عليك منك) انما قدم السلام من الله مبادرة الى شرفيته وسلامه على نفسه ثانيا لانه في الحقيقة لا يكافئه سلام مخلوق غير سلامه على نفسه وقوله فما غيرك أى أى ليس غيرك من المخلوقين وقوله منه متعلق بالسلام الواقع مبتدأ وقوله لك متعلق بكفاء الواقع خبرا والجملة في محل نصب خبر ما ان كانت حجازية وخبر عن غيرك ان كانت تميمية وقوله كفاء أى مكافئ لحضرتك من المكافأة وهي المساواة اذ كيف يساويك سلام من هو دونك ولم يحط بفضائلك ومع ذلك لا يطلب من غيرك عدم السلام عليك بل يطلب من كل أحد السلام عليك وان لم يكافئك سلامه فمن ثم قال وسلام عليك ٣ الخ (قوله وسلام من كل ما خلق الله) من ناطق وغيره وفي نسخة من خلق الله وفي الاولى تغليب غير العاقل لكثرته وفي الثانية تغليب العاقل لشرفه وقوله لتحيا بذكرك تعليل للعموم في كلامه اى وانما جئت بهذا العموم لتحيا بذكرك الاملاء جمع ملا وهو الجماعة وبالغ الناظم حيث طلب السلام عليه صلى الله عليه وسلم من ربه

ليس من غاية لوصفك أبغيها والقول غاية وانتهاء

انما فضلك الزمان وآيا تك فيما نعده الآناء

لم أطل في تعداد مدحك نطقي ومرادي بذلك استقصاء

غير أني ظمآن وجد ومالي بقليل من الورود ارتواء

فسلام عليك تترى من الله وتبقى به لك البأواء

وسلام عليك منك فما غيرك منه لك السلام كفاء

وسلام من كل ما خلق الله لتحيا بذكرك الاملاء

ورثة الانبياء أي ان الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وانما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر وفي رواية يحبهم أهل السماء وتستغفر لهم الحيتان في البحر انتهت

(قوله أى وليس يحصل لى بقليل الخ) لان المحافظ بها قيام الوجود الحسي وأوصافه بها قيام الوجود المعنوى لانه صلى الله عليه وسلم روح الكونين والخليقة الاكبر عن الله تعالى في امداده اهـ صاوى

٣ قوله فمن ثم قال وسلام عليك الخ لفظ عليك ليس في كلام الناظم صراحة اهـ مصحح

[illegible] من [illegible] الزوار لجمعه صلى الله عليه وسلم بين وجوه الصلاة والسلام والشرف والتعظيم [illegible]
[illegible] كر وافق آداب الزيارة أن الزائر يطلب منه في أول قدومه السلام عليه صلى الله عليه وسلم وتكرر [illegible] وأنه في
تلك الحالة [illegible] كد من الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم فلذا آخره الناظم او لانه في مقام الزيارة بجسمه وقلبه
أو بقلبه فقط (قوله وصلاة) وهي من الله الرحمة المقرونة بالتعظيم أي وصلاة من الله وسلام من كل مخلوق
نظير ما مر في السلام وقوله كالمسك أي في الطيب والنفع البالغ وقوله تحمله أي ذلك المسك وقوله شمال هي
الشمال وهي التي تهب من جهة القطب الى المغرب أي تحمله اليك لتعطر الوجود بعبيره وقوله أو نكباء وهي
الصبا وتهب من سهيل الى القطب والجنوب وتسمى الازيب وهي التي تهب من سهيل الى المغرب والدبور
وهي التي تهب من المغرب سميت بذلك لانها تهب من ظهر الكعبة (قوله وسلام على ضريحك) أي قبرك
المكرم ولكون المراد من الضريح هنا البقعة التي ضمت أعضاءه الشريفة لم يكن في افراد السلام هنا كراهة
لانه غير السلام عليه الذي ضم اليه الصلاة فيما مر أي فالسلام المتقدم كان على الحضرة المشرفة فلذا ضم اليه
الصلاة وأما السلام هنا فهو على البقعة المشرفة وهي لا يصلى عليها وانما يسلم عليها فلذلك أفرد السلام عليها
عن الصلاة وقوله تخضل بمعجمتين أي تبتل وقوله منه أي القبر وقوله وعساء أي لينة ذات رمل شبه السلام بالماء
الكثير الطيب البارد على سبيل الكناية وخيل لها بذكر تخضل (قوله وثناء الخ) ليس المراد منه الطلب
كالصلاة والسلام السابقين بل المراد الاخبار بأن ثناءه عليه الذي قدمه في هذه القصيدة قام مقام التصدق
الذي ينبغي تقديمه على مناجاة الرسول فقوله بين يدي نجواي أي سؤالي منك بلوغ المأمول الواقع في هذه
القصيدة بقولي جد لعاص الخ وفي غيرها وقوله اذلم يكن اذ تعليلية أي لاجل أنه لم يكن لدي أي عندي ثراء بفتح
المثلثة أي مال أتصدق به امتثالا لقوله تعالى اذا ناجيتم الرسول الآية وكان هذا الامر للوجوب ثم نسخ بقوله
أأشفقتم الآية ولا يلزم من نسخ الوجوب نسخ الندب ولذا يسن لمن يريد زيارته صلى الله عليه وسلم أن يقدم بين
يدي زيارته صدقة والناظم اعتذر بأنه لا مال له يقدمه على سؤاله فجعل حسن توسله وثنائه بدل المال الذي
يتصدق به (قوله ما أمام) ما مصدرية ظرفية وقوله الصلاة أي اللغوية أو الشرعية وأبد بهذا مع انقطاعه
استغناء عنه بما بعده على أنا لا نسلم انقطاعه لان أهل الجنة يدعون ربهم ويتعبدون تلذذا لا تكليفا كما جاء في
الحديث وقوله وقامت أي وما قامت أي بقيت وثبتت على أبلغ نظام وأتقن احكام وقوله بربها أي بايجاده
وامداده وقوله الاشياء أي الموجودات في الدنيا والآخرة وأبدها بالاول مع انقطاعه بفناء هذه الدار للملائم
وللتبرك بذكر المتعبد بن آخر كلامه وبالثاني الذي لا ينقطع بدوام نعيم الجنة وعذاب النار ليجمع بين شرف
الاول ودوام الثاني مع الاشارة بالختم بذكر الرب الى استفتاح أبواب تربيته واستمناح موائح لطفه وهدايته
جعلنا الله ممن حقق له حقائق قربه وامداده واسعافه وآمنا من كل فتنة ومحنة انه هو الجواد الكريم الرؤف
الرحيم وصلى الله وسلم وبارك على أفضل خلقه سيدنا محمد وآله وصحبه عدد معلوماتك ومداد كلماتك كلما ذكرك
وذكره الذاكرون وغفل عن ذكرك وذكره الغافلون ورضي الله عن التابعين وعن تابعيهم باحسان
الى يوم الدين وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين ووافق الفراغ من جمع هذه الحواشي قبيل
العصر يوم الخميس السابع والعشرين من شهر رمضان سنة ألف ومائة وثمانية وثمانين تجاه القطب الجوهري
أمدنا الله تعالى من مدده وأعاد علينا من نفحاته وعلى المسلمين أجمعين

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله * (أما بعد) * فقد تم طبع حاشية العلامة الشيخ سليمان الجمل على
القصيدة الهمزية للامام سيدي محمد البوصيري في مدح خير البرية موشحة الهامش بتقريرات ثنية للعلامة
الصاوي وذلك بالمطبعة الميمنيه بمصر المحروسة المحميه بجوار سيدي أحمد الدردير قريبا من الجامع الازهر
المنير ادارة المفتقر لعفو ربه القدير أحمد البابي الحلبي ذي العجز والتقصير وذلك في ربيع الاول سنة
١٣٠٦ هجريه على صاحبها أفضل الصلاة وازكى التحيه آمين

[illegible] صلاة كالمسك تحمله
[illegible]ى شمال اليك أو نكباء
[illegible] سلام على ضريحك تخضـ
[illegible] ل منه بمزنه وعساء
[illegible] ثناء قدمت بين يدي نجـ
[illegible] واي اذ لم يكن لدي ثراء
[illegible] ما أقام الصلاة من عبد الله
[illegible] ه وقامت بربها الاشياء

[illegible] تتمة تشتمل على بعض
[illegible] فضائل أمته صلى الله عليه
[illegible] وسلم) منها ما ورد عن أبي
[illegible] نعيم أن موسى عليه الصلاة
[illegible] والسلام لما رأى مدح هذه
[illegible] الامة في التوراة قال يارب
[illegible] اجعلني من أمة محمد فقال
[illegible] يا موسى اني اصطفيتك على
[illegible] الناس برسالاتي وبكلامي
[illegible] الآية فقال رضيت يارب
[illegible] وفي رواية أنه سأل ربه هل
[illegible] في الامم أكرم عليك من
[illegible] أمتي فبين أن فضل أمة محمد
[illegible] على سائر أمم الانبياء كفضله
[illegible] تعالى على سائر خلقه ومنها
[illegible] أن لا أحد يدخل الجنة
[illegible] قبلهم ومنها الوضوء على
[illegible] الكيفية المخصوصة واباحة
[illegible] الغنائم ومجموع الصلوات
[illegible] الخمس والركوع وصفوفهم
[illegible] كصفوف الملائكة والجمعة
[illegible] وساعة الاجابة يومها وليلة
[illegible] القدر التي هي خير من ألف
[illegible] شهر ورمضان اه صاوي
اختصار

